النصر المؤزر

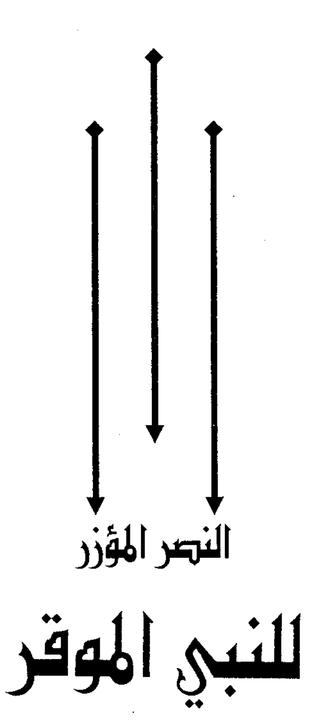
للنبي الموقر

وهو الدلائل الخمسون على عظم قدر النبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وبيان حقوقه السبعة عشر
على الأمة

تأليف
ماجد بن سليمان الرسي



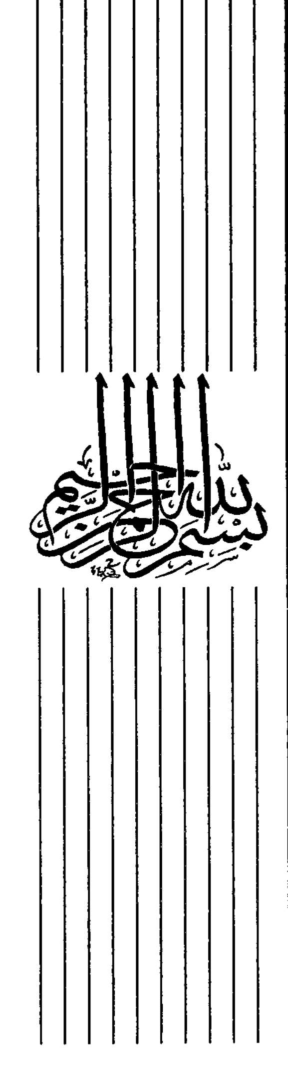

بسم الله الرحمن الرحيم


النصر المؤزر
للنبي الموقر



رقم الإيداع

صف ومراجعة وإخراج فني «النور»
0107356733
hasanrha@yahoo.com





مدينة نصر _ القاهرة _ جمهورية مصر العربية
جوال 0184048571 :
البريد الإلكتروني : dar_elatharia@yahoo.com
dar_elatharia1@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله تعالى خلق الخلق، وفضل بعضهم على بعض، فاصطفى من الملائكة رسلًا، ومن الناس أنبياء، وفضل النبيين بعضهم على بعض، فاصطفى منهم أولو العزم، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، واصطفى من الخمسة الخليلين، إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، واصطفى من الخليلين محمد ﷺ ليكون سيد البشر، وخاتمهم، وأكثرهم تابعًا، وأعلاهم قدرًا، ثم أوجب علينا طاعة رسوله محمد ﷺ، ومحبته واتباعه وتوقيره واحترامه من غير غلو ولا إفراط.

فكان مما أرشد إليه؛ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2]، وقوله عز وجل ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾[3]، وقوله جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

(1) الفتح : 8 – 9.

(2) الأحزاب : 57.

(3) الفتح : 8 - 9.

تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾[1][2].

ولغرض إفادة نفسي وإخواني؛ جمعت في هذا البحث أربعة مواضيع تتعلق بالإيمان بالنبي ﷺ، وقسمتها على خمسة فصول:

1. مقدمات في الإيمان بالنبي ﷺ
2. مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ الأربعة عشرة
3. الدلائل الخمسون على علو قدر النبي ﷺ على الإنس والجن.
4. حقوق النبي ﷺ السبعة عشر على الأمة
5. نواقض الإيمان بالنبي ﷺ

وقد زاد في رغبتي في إخراج هذا البحث حدث الاستهزاء بجناب النبي ﷺ من قبل بعض الجرائد الأوربية في العام الماضي والذي قبله (1427 – 1428 هجري)، وقد كان لها ردود أفعال واستنكارات في طول العالم وعرضه، الإسلامي وغير الإسلامي، فرأيت أن ذِكْرَ حقوق النبي ﷺ على أمته مناسب جدًّا؛ لعلها تكون معونة للعاقل، وتذكرة للجاهل.

---

(1) الحجرات: 1 – 2.

(2) مقدمة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان لكتاب «حقوق النبي ﷺ بين الإخلال والإجلال»، بتصرف يسير.

وفهم حقوق النبي ﷺ أمر في غاية الأهمية؛ لأنه مرتبط بتحقيق العبد لشهادة أن محمدًا رسول الله، وذلك أن تحقيقها لا يحصل بمجرد النطق باللسان، بل بالقيام بما تضمنه تلك الشهادة وارتكزت عليه من شروط، كما سنبينه إن شاء الله، فإن أقوامًا شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ولكنها لم تدخلهم في الإسلام، كأبي طالب عم النبي ﷺ، فقد كان مقرًّا لابن أخيه بالنبوة، ولكنه لم ينقد لشريعته، خوفًا من ملامة قومه، فمات كافرًا عياذًا بالله، ولم تنفعه شهادته .

وكذلك النفر الذين خرجوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك من المؤمنين، فلما كانوا ببعض الطريق سخروا من شخص النبي ﷺ وصحابته، فنزل القرآن بالحكم بكفرهم؛ لأنهم لم يقوموا بحق التوقير للنبي ﷺ، الذي هو من لوازم تلك الشهادة، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[1] .

وصنف آخر على النقيض الآخر تمامًا، وهم الذين عبدوا محمدًا ﷺ، فلم يكتفوا بالإيمان بأنه رسول، بل وصفوه بأنه إله، فصرفوا له بعض العبادات، من دعاء وذبح ونذر وغير ذلك، ووصفوه بصفات الله الخاصة به، كعلم الغيب وغيره .

وكلا الفريقين لم يفهموا معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ الفهم الصحيح، وإن كانوا منتسبين للإسلام، مدعين له، بل دخل عليهم الشيطان من مدخل الإفراط أو التفريط، فأخرجهم من الإسلام، عياذًا بالله .

---

(1) التوبة : 65 – 66.

والحق أن « شهادة أن محمدًا رسول الله » كقسيمتها « شهادة أن لا إله إلا الله » تمامًا، لها معنى وشروط ونواقض ومقتضيات، وهي داخلة في الإيمان بالرسل الذي هو الركن الرابع من أركان الإيمان، فعلى هذا فلا يتم للعبد تحقيق ركن الإسلام الأول وركن الإيمان الرابع إلا بتحقيقها، فحري به أن يتعلمها؛ ليكون على بصيرة من أمره، ليكون ممن اعتقدها بجنانه، وقالها بلسانه، وحققها بأركانه، فيكون ممن قال تعالى فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾ .

وقد التزمت في بحثي هذا الاختصار وعدم التطويل، وأن يكون الكلام منصبًّا على الموضوع، دون الخوض في التحليلات، وفي ثنايا البحث ذكرت مراجع علمية مطولة لمن أراد الاستزادة، نفع الله بها .

وصاحب هذه الكليات ليس بشيء وليس عنده شيء، بل استفادها من بحوث عدة، على رأسها كتاب: «حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال»، ويتضمن عدة بحوث علمية لبعض المشائخ الفضلاء، قدم لهذا الكتاب معالي الشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله، وكذا كتاب: « حقوق النبي ﷺ على أمته » للشيخ د. محمد بن خليفة التميمي حفظه الله، وقد استفدت منه استفادة جمة، وكذا كتاب: « عظيم قدر نبينا محمد ﷺ وحقه على الإنس والجن » لفضيلة د. عبد الرحيم بن إبراهيم الهاشم حفظه الله، ثم زدت عليها ما يسر الله تعالى .

فجزى الله خيرًا هؤلاء المشائخ على جهودهم في بيان الحق، وإفادة الخلق، وكثّر الله من أمثالهم، وجعلنا وإياهم ممن حقق الشهادتين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه أجمعين .

وكتبه

ماجد بن سليمان الرسي

صبيحة الخميس السادس من ذي القعدة

لعام تسع وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة

Readquran1000@hotmail.com

هاتف : 00966505906761

المملكة العربية السعودية

www.saaid.net/book

الفصل الأول

مقدمات في الإيمان بالنبي ﷺ

المبحث الأول: تعريف معنى الإيمان

تعريف معنى الإيمان لغةً: الإيمان لغة يتضمن معنيين؛ الأول هو التصديق كما في قوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، أي صدقوا بما أنزل إليهم من ربهم.

والمعنى الثاني هو (أقر له)، وذلك إذا عدي باللام، كما في قوله تعالى عن إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾، وقوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾، أي: أقر له.

تعريف معنى الإيمان شرعًا: تنوعت عبارات السلف الصالح في تعريف الإيمان، ولا مشاحة في الاصطلاح، ولكن حقيقة كلامهم متفقة على أن الإيمان هو قول اللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية[1].

قال ابن تيمية في بيان أن الإيمان لغة هو الإقرار ومعنى الإقرار:

إن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضُمّن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد[2].

---

(1) بحث هذه المسألة وغيرها ابن تيمية رحمه الله بحثا مستفيضا في كتابه «الإيمان»، وانظر «مجموع الفتاوى» (7/ 642).

(2) «مجموع الفتاوى» (7/ 638 – 639).

فعلى هذا فالإيمان في الشرع يتضمن التصديق والانقياد.

فعلى هذا فلا يصح حصر الإيمان بالتصديق فقط، فإن التصديق وحده لا يكفي؛ إذ لابد من الإقرار والطمأنينة، فقد صدق أبو طالب عم النبي ﷺ بنبوة ابن أخيه ﷺ، ولكن لم يقر له ويتبعه ويطمأن قلبه بالإيمان له، فمات على الشرك عياذًا بالله، كما أخبر النبي ﷺ بذلك.

وهكذا بعض الكفار اليوم يؤمنون بنبوة محمد ﷺ، ويسمونه بذلك، أي بالنبي محمد، وهم باقون على دين قومهم، لم يقروا بالشهادتين ويعملوا بمقتضاها.

وكذلك النفر من اليهود، الذين جاءوا إلى النبي ﷺ وسألوه عن أشياء فأخبرهم، فقالوا نشهد أنك نبي، ولم يقروا بالإيمان ولم يتبعوه.

بل اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ كانوا يعرفون أنه نبي كما يعرفون أبناءهم، كما حكى الله عنهم ذلك في آيات من سورة البقرة، ومع هذا حكم الله عليهم بالكفر لأنهم لم يتبعوه.

وهناك من يقول إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدًا، ويرى أن النجاة في الآخرة تحصل بمتابعة الرسول ﷺ وبغير متابعته، كما هو قول الفلاسفة الصابئة، وهو دين التتار ومن دخل معهم، مع كونهم صدقوا الرسول ﷺ وأطاعوه، وهذا مذهب خبيث باطل؛ إذ لا نجاة للعبد يوم القيامة إلا بعبادة الله وحده، ومتابعة الرسول ﷺ وحده، والكفر بما يعبد من دونه[1].

---

(1) انظر «مجموع الفتاوى» (7/ 639).

وفي قصة هرقل عظيم الروم عبرة، فقد سأل عن النبي ﷺ، فلما علم أنه نبي وتيقن من خرجه وظهور أمره؛ رأى أن يبايعه على الإيمان، ونادى عظماء قومه ليبايعوه، وقال لهم: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا لهذا النبي؟

فأبوا، فخاف نكولهم عن طاعته، فنكص على عقبيه وقال: إني قلت مقالتي آنفًا اختبر بها شدتكم على دينكم[1]!

وكان مما قاله هرقل لأبي سفيان: إن يكن ما تقول فيه حقًّا فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم[2]، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي.

والشاهد من القصة أن علمه بأن محمدًا ﷺ نبي لم يدخله في الإيمان؛ لأنه لم ينقد له، لكونه استحب الحياة الدنيا على الآخرة، وخشي ذهاب ملكه ونكول قومه عن طاعته، نعوذ بالله من الخذلان.

ولو أن الإيمان هو التصديق فقط بدون انقياد؛ لكان إبليس مؤمنًا، لأنه يعلم الحق من الباطل، ولكنه لم ينقد للحق استكبارًا عليه.

---

(1) رواه البخاري (7) ومسلم (1773) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(2) أي العرب.

المبحث الثاني: أهمية الإيمان بالنبي ﷺ

لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان بالرسول ﷺ، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه؛ إذ هو الطريق إلى الله سبحانه، ولهذا كان ركنا الإسلام «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله»[1].

المبحث الثالث: معنى النبوة والرسالة

معنى النبوة لغةً: النبوة لغة مشتقة من النبأ وهو الخبر، أو النَّباوة والنَّبْوة وهو الارتفاع، أو النبيء وهو الطريق الواضح[2].

ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعاني اللغوية، « إذ النبوة إخبار عن الله ﷻ، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم، وهي الطريق الموصلة إلى الله سبحانه »[3].

والنبوة في اصطلاح الشرع: خبر خاص، وهو الذي يكرم الله ﷻ به أحدًا من عباده، فيميزه عن غيره بإلقائه إليه، ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد[4].

معنى الرسول لغة:

الرسول لغة مأخوذ من الرِّسل – بتشديد الراء وكسرها – أو الرَّسل، – بتشديد الراء وفتحها –.

---

(1) قاله ابن تيمية رحمه الله، كما في « مجموع الفتاوى » (7/ 638-639)، بتصرف يسير.

(2) انظر « لسان العرب ».

(3) « حقوق النبي ﷺ على أمته »، ص 63.

(4) « شعب الإيمان » للبيهقي، (1/ 150).

فأما الرِّسل فهو الانبعاث على تؤدة، يقال: على رِسلك، أي سر بمهل وتؤدة[1].

فالرسول على هذا الاشتقاق هو المنبعث.

وأما الرَّسل فهو التتابع، يقال جاءوا أرسالًا أي متتابعين.

فالرسول على هذا الاشتقاق هو الذي يتابع أخبار من بعثه[2].

والرسول يطلق كذلك على متحمل القول والرسالة.

معنى الرسول شرعًا: وكل المعاني المتقدمة يدل عليها المعنى الشرعي لكلمة رسول، فالرسول مبعوث من قبل الله، وهو أيضًا يتابع أخبار من بعثه، وهو كذلك متحمل لرسالة ربه.

والرسل وسائط بين الله وبين خلقه، يبلغونهم أمره ونهيه، فهم السفراء بين الله وبين عباده في مجال التبليغ، يبلغونهم شرع ربهم، ويرشدونهم إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم، وبهذا كانوا حجةً لله على الناس، كما قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[3]،[4].

(1) « لسان العرب »، مادة « رسل ».

(2) « لسان العرب »، مادة « رسل ».

(3) سورة النساء: 165.

(4) وقد تجاوز أقوام هذا الحد الشرعي، فجعلوا الرسل وسائط في الدعاء، فمن هذا قول بعضهم: (نحن ندعو النبي ﷺ ليكون وسيطًا بيننا وبين الله، فنحن ندعوه، وهو يدعو الله، فيستجاب لنا)، وهذا الفعل شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام، فقد أمر الله بدعائه وحده، وما أرسل الله الرسل ليدعوهم الناس، بل أرسلهم ليبلغوا رسالته، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك الله، فمن دعا غير الله - أيا كان ذلك المدعو - فقد خالف أصل الرسالة الإلهية، وضل عن السبيل المستقيم، والله الهادي.

المبحث الرابع: الفرق بين النبي والرسول

اختلف العلماء في تعريف النبي على عدة أقوال، والذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو أن النبي هو الذي أوحى الله إليه، وعمل بشريعة رسول قبله، بين قوم مؤمنين.

وكذا اختلف العلماء في تعريف الرسول على عدة أقوال، والذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أيضًا هو أن الرسول هو الذي ينبئه الله، ثم يأمره أن يبلغه رسالته إلى قوم كافرين.

ويشهد لصحة هذا المعنى أن نوحًا وُصف بالرسالة مع أنه قد تقدمه أنبياء على مدى عشرة قرون، وما ذاك إلا لأنه بعث لقوم كافرين أول ما وقع الشرك في الأرض، بخلاف من تقدمة من الأنبياء، فإنهم بعثوا إلى قوم مؤمنين.

وبناء على هذا؛ فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا [1].

المبحث الخامس: أدلة وجوب الإيمان به

أدلة وجوب الإيمان بالنبي ﷺ كثيرة جدًّا، منها قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[2].

ومن السنة قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[3].

---

(1) « النبوات »، (2/ 714، 717)، تحقيق د. عبد العزيز الطويان، دار أضواء السلف.

(2) سورة التغابن: 8.

(3) رواه البخاري (25) ومسلم (22) عن ابن عمر رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما.

وعن أبي هريرة ﵁، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار»[1].

المبحث السادس: دلائل نبوته

أيد الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالدلائل والآيات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به وصدق رسالته، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما مِن الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيت وحيًا أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[2].

فقه الحديث:

قال النووي ﵀: أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيث فَاخْتُلِفَ فِيهِ عَلَى أَقْوَال؛ أَحَدُهَا: أَنَّ كُلّ نَبِيّ أُعْطِيَ مِنْ الْمُعْجِزَات مَا كَانَ مِثْله لِمَنْ كَانَ قَبْله مِنْ الْأَنْبِيَاء، فَآمَنَ بِهِ الْبَشَر، وَأَمَّا مُعْجِزَتِي الْعَظِيمَة الظَّاهِرَة فَهِيَ الْقُرْآنُ الَّذِي لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِثْله، فَلِهَذَا قَالَ: أَنَا أَكْثَرهمْ تَابِعًا.

وَالثَّانِي مَعْنَاهُ: أَنَّ الَّذِي أُوتِيتَه لا يَتَطَرَّق إِلَيْهِ تَخْيِيلٌ بِسِحْرٍ وَشُبْهَةٍ، بِخِلَافِ مُعْجِزَة غَيْرِي؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُخَيِّلُ السَّاحِرُ بِشَيْءٍ مِمَّا يُقَارِب صُورَتهَا، كَمَا خَيَّلَتْ السَّحَرَةُ فِي صُورَة عَصَا مُوسَى ﵇، وَالْخَيَال قَدْ يَرُوج عَلَى بَعْض الْعَوَامّ، وَالْفَرْق بَيْن الْمُعْجِزَة وَالسِّحْر وَالتَّخْيِيل يَحْتَاج إِلَى فِكْر وَنَظَر، وَقَدْ يُخْطِئ النَّاظِر فَيَعْتَقِدهُمَا سَوَاء.

---

(1) رواه مسلم (153).

(2) رواه مسلم (152).

وَالثَّالِث مَعْنَاهُ: أَنَّ مُعْجِزَات الْأَنْبِيَاء اِنْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارهمْ وَلَمْ يُشَاهِدهَا إلا مَنْ حَضَرَهَا بِحَضْرَتِهِمْ، وَمُعْجِزَةُ نَبِيِّنَا ﷺ الْقُرْآنُ الْمُسْتَمِرّ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، مَعَ خَرْق الْعَادَة فِي أُسْلُوبه وَبَلَاغَته وَإِخْبَاره بِالْمُغَيَّبَاتِ، وَعَجْز الْجِنّ وَالْإِنْس عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْله مُجْتَمِعِينَ أَوْ مُتَفَرِّقِينَ فِي جَمِيع الأَعْصَار، وَمَعَ اِعْتِنَائِهِمْ بِمُعَارَضَتِهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا وَهُمْ أَفْصَح الْقُرُون، مَعَ غَيْر ذَلِكَ مِنْ وُجُوه إِعْجَازه الْمَعْرُوفَة. وَاَللَّهُ أَعْلَم.

وَقَوْله ﷺ: «فَأَرْجُو أَنْ أَكُون أَكْثَرهمْ تَابِعًا» عَلَمٌ مِنْ أَعْلام النُّبُوَّة، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلام بِهَذَا فِي زَمَن قِلَّة الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ مَنَّ اللهَّ تَعَالَى وَفَتَحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْبِلادَ وَبَارَكَ فِيهِمْ، حَتَّى اِنْتَهَى الأَمْرُ وَاتَّسَعَ الْإِسْلام فِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَة الْمَعْرُوفَة، وَللهَّ الْحَمْد عَلَى هَذِهِ النِّعْمَة وَسَائِر نِعَمه الَّتِي لا تُحْصَى وَاَللهَّ أَعْلَم. انتهى باختصار.

وهذه الدلائل تسعة أنواع؛ **فالأولى**: بشارات الأنبياء قبله، ولهذا شهد له بعض علماء أهل الكتاب بالنبوة قبل نبوته لما كان صغيرًا وبعد نبوته، **والثانية**: أنه لو لم يكن نبيًّا لحذر الأنبياء منه، ولانتشر هذا في كتبهم وسيرهم، بينما الواقع خلاف ذلك، **والثالثة**: أنه ﷺ من أعقل الناس وأصدقهم، يقر له بهذا أصدقاؤه وأعداؤه، قبل النبوة وبعدها، **والرابعة** من الدلائل على نبوته: انقطاع استراق السمع من السماء قبيل بعثته، لئلا يختلط الوحي بأكاذيب الكهان، **والخامسة من الدلائل**: أنه كان لا يرى رؤيا في المنام إلا جاءت مطابقة للواقع، **والسادسة من الدلائل**: إنزال القرآن الكريم، وهو آية خالدة إلى يوم القيامة، **والسابعة**: أن الله خرق له العادة مرارًا، وهذه آيات ظهرت وانقضت، **والثامنة**: إخباره ببعض الأمور الغائبة عن عيون الناس في حينها، **والتاسعة**:

إخباره عن أمور مستقبلية، فوقعت كما أخبر ﷺ.

الأولى: بشارات الأنبياء به، ومن ذلك ذكر مبعثه في التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾.

قال في «أضواء البيان» في تفسير هذه الآية:

وقد بشرت به ﷺ جميع الأنبياء، ومنهم موسى عليه السلام، ومما يشير إلى أن موسى مبشرًا به؛ قول عيسى عليه السلام في هذه الآية: ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾، والذي بين يديه هي التوراة، أنزلت على موسى.

وقد جاء صريحًا التعريف به ﷺ وبالذين معه في التوراة في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾.

كما جاء وصفهم في الإنجيل في نفس السياق في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾، إلى آخر السورة.

وجاء النص في حق جميع الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى[1] ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2].

وجاء مصداق ذلك في قصة النجاشي لما سمع من جعفر عنه ﷺ فقال:

---

(1) الأخذ هو القبول، والإصر هو العهد والوصية، والمعنى: أقبلتم هذا العهد والميثاق؟

(2) آل عمران: 81.

أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نَجِدُ في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم[1].

وكذلك دعوة نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾، ولذا قال ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي التي رأت»[2].

وقد خُص عيسى بالنص على البشرى به ﷺ لأنه آخر أنبياء بني إسرائيل، فهو ناقل تلك البشرى لقومه عما قبله، كما قال: ﴿ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾، ومَن قبله ناقل عمن قبله، وهكذا، حتى صرح بها عيسى عليه السلام وأداها إلى قومه. انتهى[3].

ولما كانت نبوءة محمد ﷺ مستقرة في كتب أهل الكتاب؛ شهد بعض علماء اليهود والنصارى للنبي ﷺ بالنبوة قبل بعثته وبعدها، لما رأوا عليه من أماراتها، فمن حين مولده ﷺ كان الذي يراه من أهل مكة من غير أهل

---

(1) رواه أحمد (1/ 461) وغيره.

(2) رواه ابن حبان عن العرباض بن سارية الفزاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني؛ أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام. (14/ 313). ورواه أحمد (4/ 128)، والطبراني في «مسند الشاميين» (2/ 340).

منجدل أي ملقى على الجدالة وهي الأرض. «النهاية».

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة البقرة، آية 129: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلًا للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى بن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها، ولهذا جاء في الصحيحين: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.

وفي صحيح البخاري: وهم بالشام. انتهى.

(3) تفسير سورة الصف، باختصار.

الكتاب يشعر أن سيكون له شأنًا إذا كبر، ثم لما شب أيقن بنبوته بعض الرهبان من أهل الكتاب وشهدوا له بالنبوة، أما العرب فليس عندهم من خبره شيء، وذلك أن العرب كانوا كما قال ابن إسحاق في «السيرة»: كانت العرب أُميين، لا يدرسون كتابًا، ولا يعرفون من الرسل عهدًا، ولا يعرفون جنةً ولا نارًا ولا بعثًا ولا قيامةً، إلا شيئًا يسمعونه من أهل الكتاب لا يثبت في صدورهم، ولا يعملون به شيئًا من أعمالهم[1].

وسنكتفي بذكر عشر قصص في ذلك، أولها: قصته ﷺ مع صاحب الدير[2]، وذلك أن عمه أبو طالب ذهب به في تجارة إلى الشام، فنزلوا على صاحب دير، فقال صاحب الدير: ما هذا الغلام منك؟

قال: ابني.

قال: ما هو بابنك، ولا ينبغي أن يكون له أبٌ حي.

قال: ولم؟

قال: لأن وجهه وجه نبي، وعينه عين نبي.

قال: وما النبي؟

قال: الذي يوحى إليه من السماء، فينبئ به أهل الأرض.

قال: الله أجلُّ مما تقول.

قال: فاتق عليه اليهود.

(1) «السيرة»، ص (62)، باب قصة الأحبار. تحقيق محمد حميد الله.

(2) الدير هو خان النصارى. «لسان العرب».

ثم خرج حتى نزل براهب أيضًا صاحب دير، فقال: ما هذا الغلام منك؟

قال: ابني.

قال: ما هو بابنك، وما ينبغي أن يكون له أب حي.

قال: ولم ذلك؟

قال: لأن وجهه وجه نبي، وعينه عين نبي.

قال: سبحان الله، الله أجلُّ مما تقول.

وقال: يا ابن أخي، ألا تسمع ما يقولون؟

قال: أي عم، لا تنكر لله قدرةً[1].

وأما القصة الثانية: فرواها ابن سعد في «الطبقات» عن محمد بن صالح بن دينار وعبد الله بن جعفر الزهري وداود بن الحصين قالوا: لما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ في المرة الأولى وهو ابن اثنتي عشرة سنة؛ فلما نزل الركب «بُصرى[2]» من الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه، فلما نزلوا صنع لهم بحيرا طعامًا ثم دعاهم، وإنما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تُظل رسول الله ﷺ من بين القوم حتى

---

(1) رواه ابن سعد في «الطبقات»، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه، (1/ 73 - 74).

(2) بصرى بضم الباء مدينة معروفة بالشام، وهي مدينة حوران، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل، قاله النووي رحمه الله في شرح الحديث.

نزلوا تحت الشجرة، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة، واخضلت[1] أغصان الشجرة على النبي ﷺ حين استظل تحتها، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به وأَرسل إليهم، فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه، فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يَعرف ويجدها عنده، وجعل ينظر ولا يرى الغمامة على أحد من القوم، ويراها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ، قال بحيرا: يا معشر قريش، لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي.

قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام، وهو أحدث القوم سنًّا في رحالهم.

فقال: ادعوه فليحضر طعامي، فما أقبح أن تَحضروا ويتخلف رجل واحد، مع أَني أراه من أنفَسِكم.

فقال القوم: (هو والله أوسطنا نسبًا، وهو ابن أخي هذا الرجل)، يعنون أبا طالب، (وهو من ولد عبد المطلب).

فقال الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف: والله إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا.

ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام، والغمامة تسير على رأسه، وجعل بحيرا يلحظه لحظًا شديدًا، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك.

---

(1) أخضلت أي ابتلت.

فقال رسول الله ﷺ: لا تسألني باللات والعزى، فو الله ما أبغضت شيئًا بغضهما.

قال: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه.

قال: سلني عما بدا لك.

فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر بين عينيه، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده، فقَبّل موضع الخاتم، وقالت قريش: إن لمحمد عند هذا الراهب لقدرًا، وجعل أبو طالب لِما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه.

فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟

قال أبو طالب: ابني.

قال: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا.

قال: فابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟

قال: هلك وأمه حبلى[1] به.

قال: فما فعلت أمه؟

قال: توفيت قريبًا.

---

(1) أي حامل به.

قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف؛ ليبغُنه عنتًا[1]، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وما رُوينا عن آبائنا، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجاراتهم خرج به سريعًا، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته، فأرادوا أن يغتالوه، فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره، فنهاهم أشد النهي، وقال لهم: أتجدون صفته؟

قالوا: نعم.

قال: فما لكم إليه سبيل.

فصدقوه وتركوه، ورجع به أبو طالب، فما خرج به سفَرا بعد ذلك خوفًا عليه[2].

وروى ابن سعد عن نفيسة بنت مُنية أن رسول الله ﷺ لما بلغ خمسًا وعشرين سنةً؛ خرج في تجارة لخديجة رضي الله عنها مع غلام لها اسمه ميسرة[3]، حتى قدِما «بصرى» من الشام، فنزلا في سوق بصرى في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان يقال له نسطور، فاطلع الراهب إلى ميسرة وكان يعرفه قبل ذلك فقال: يا ميسرة، من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة؟

(1) أي يريدون أن تصيبه المشقة والهلاك.

(2) مختصرا من «الطبقات» لابن سعد، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه، (1/ 73-74)، وكذا ابن إسحاق في السيرة، ص (53-55)، والقصة نقلها ابن هشام في «السيرة» (1/ 147-149)، قصة بحيرا، الناشر دار الخير، وقد رواها الترمذي (3620)، والحاكم (2/ 615 - 616)، وصححها الألباني كما في صحيح الترمذي.

(3) خرجوا في تجارة لخديجة.

فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم.

فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثم قال: في عينيه حمرة؟

قال ميسرة: نعم، لا تفارقه.

قال الراهب: هو هو آخر الأنبياء، يا ليت أني أُدركه حين يؤمر بالخروج.

ثم حضر رسول الله ﷺ سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى غيرها، فكان بينه وبين رجل اختلاف في شيء، فقال له الرجل: احلف باللات والعزى.

فقال رسول الله ﷺ: ما حلفت بهما قط، واني لأمُرُّ فأعرض عنهما.

قال الرجل: القول قولك.

ثم قال لميسرة - وخلا به -: يا ميسرة، هذا والله نبي، والذي نفسي بيده إنه لهو، تجده أحبارنا في كتبهم منعوتًا، فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعًا.

وكان ميسرة يرى رسول الله ﷺ إذا كانت الهاجرة واشتد الحر؛ يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره، قالوا: كأن الله قد ألقى على رسوله المحبة من ميسرة، فكان كأنه عبدٌ لرسول الله ﷺ، فلما رجعوا فكانوا بمر الظهران قال: يا محمد، انطلق إلى خديجة، فاسبقني، فأخبرها بما صنع الله لها على وجهك، فإنها تعرف ذلك لك.

فتقدم رسول الله ﷺ حتى قدم مكة في ساعة الظهيرة، وخديجة في عُلِّيَّةٍ[1] لها معها نساء فيهن نفيسة بنت مُنية، فرأت رسول الله ﷺ حين دخل

---

(1) أي غرفة. «النهاية».

وهو راكب على بعيره، وملكان يُظلان عليه، فأرته نساءها فعجبن لذلك، ودخل عليها رسول الله ﷺ، فخبَّرها بما ربحوا في وجههم[1]، فسُرّت بذلك، فلما دخل ميسرة عليها أخبرته بما رأت، فقال ميسرة: قد رأيتُ هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بقول الراهب نسطور، وما قال الآخر الذي خالفه في البيع، وربحَت في تلك المرة ضعف ما كانت تربح، وأضعفت له ضعف ما سمّت[2] له[3].

وروى ابن سعد في الطبقات عن بَرّة ابنة أبي تجراة قالت: إن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة؛ كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتًا، ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجرة إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله ﷺ، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدًا[4].

وأما قصته مع ورقة بن نوفل؛ فإنه لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ في غار حراء؛ رجع إلى خديجة فزعًا يرجف فؤاده، فأخبرها بالذي رأى، فلما ذهب روعه انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك.

---

(1) لما انطلقوا في سفرهم تجاه الشام حيث ولوا وجوههم.

(2) أي أعطته ضعف الذي حددت له سلفًا جزاء له على ما قام به.

(3) باختصار من «الطبقات» لابن سعد، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه، (1/ 74-75)، ورواها كذلك ابن إسحاق في السيرة، (2/ 59)، وقد نقل القصة ابن هشام في السيرة، باب حديث تزويج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها، (1/ 152-153).

(4) رواه ابن سعد في «الطبقات»، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه، (1/ 75).

فقال ورقة للنبي ﷺ: يا ابن أخي، ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس[1] الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَع[2]، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ: أوَمُخرجي هم؟

قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي[3].

وروى ابن إسحاق في «السيرة» عن عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني أشياخ منا قالوا:

لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله ﷺ مِنّا، كان معنا يهود، وكانوا أهل كتاب، وكُنا أصحاب وَثَنٍ، فكنا إذا بلَغنا منهم ما يكرهون قالوا: إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم، فلما بعث الله تعالى رسوله اتبعناه وكفروا به، ففينا والله وفيهم أنزل الله ﷻ ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ الآية[4].

(1) قال السيوطي في «الديباج»: (هذا الناموس)؛ إشارة إلى الملَك الذي ذكره النبي ﷺ في خبره، وهو اسم لجبريل، وأصله في اللغة: (صاحب سر الخير)، يقال: نمست الرجل، أي ساررته، ونمست السر؛ كتمته. (1/ 187)، الناشر دار ابن عفان، تحقيق أبي إسحاق الحويني.

(2) أي ياليتني أثناء نبوتك أكون جذعًا، والجذع هو الشاب.

(3) رواه البخاري (3) ومسلم (160).

(4) ص (63)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (2/ 75)، وكذا في (2/ 76) عن ابن عباس رضي الله عنهما

ومن دلائل نبوته عند أهل الكتاب ما قاله ابن الهيّبان وكان حبرًا[1] من أحبار اليهود، وكان عابدًا لله، وكان إذا دعا الله بالسقيا سُقوا وسالت الشعاب، أتى من الشام إلى المدينة، فلما حضرته الوفاة اجتمع إليه ثلاثة فتية فقال لهم: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخَمَر[2] والخمير[3] إلى أرض البؤس والجوع[4]؟

قالوا: أنت أعلم.

قال: فإنه إنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلاد مُهاجَرُه، فأتَّبِعُه، فلا تُسبَقُنَّ إليه إذا خرج يا معشر يهود، فإنه يُبعث بسفك الدماء، وسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

ثم مات، فلما كانت الليلة التي فُتحت فيها قريظة؛ قال أولئك الفتية الثلاثة - وكانوا شبابًا أحداثًا -: يا معشر يهود، والله إنه الذي كان ذَكر لكم ابن الهيبان[5].

فقال: ما هو به.

قالوا: بلى والله، إنه لصفته.

---

(1) الحَبر هو العالم، وكان يقال لابن عباس الحَبر البحر.

(2) الخَمَر: بفتح الميم هو المكان الكثيف الأشجار. انظر «النهاية»، والذي يقصده بأرض الخمر هي الشام.

(3) الخمير هو الخبز، سمي بذلك لأن عجينته تتخمر فتذهب فطورته. ولعله سمى أرض الشام بذلك لطيب ما يصنع من الخبز هناك والله أعلم. انظر «لسان العرب».

(4) يقصد المدينة.

(5) يقصد القتل والسبي لمن خالف أمره.

ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم[1].

وكذلك قصة سلمان الفارسي مع الراهب النصراني الذي كان بعمورية، وكان سلمان الفارسي مجوسيًّا، فلما حضرت الراهب الوفاة قال سلمان له: إلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟

قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي، هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجرًا إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

فلما مات لحق سلمان بالمدينة ثم التقى برسول الله ﷺ وآمن به، في قصة طويلة رواها أحمد في «مسنده»[2].

وكذا قصة زيد بن عمرو بن نفيل مع حبر من أحبار الشام، دله على النبي ﷺ، وكان هذا قبل أن يبعث، قال الحبر لزيد: إنك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته، وقد خرج في أرضك نبي، أو هو خارج يدعو إليه، ارجع إليه وصدِّقه واتبعه وآمن بما جاء به[3].

وختامًا: قصة النجاشي لما هاجر إليه جعفر بن أبي طالب وبعض الصحابة، فلما بينوا له دين الإسلام وأن عيسى هو روح الله وكلمته، وأنه ابن

---

(1) رواه ابن إسحاق في «السيرة»، ص (64-65)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (2/ 81).
(2) (5/ 441 - 443).
(3) روى هذه القصة الحاكم في «مستدركه» (3/ 216)، والنسائي في «الكبرى» (8132)، كتاب المناقب، باب زيد بن عمرو بن نفيل. الناشر مكتبة الرشد.

مريم العذراء التي لم يقربها بشر؛ تناول النجاشي عودًا من الأرض وقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزِن هذه[1]، مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، والذي بشر به عيسى بن مريم[2].

وقد جاءت صفة رسول الله ﷺ في الإنجيل، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن،يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا[3] للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب[4] في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا[5].

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ، فجاء حَبر من أحبار اليهود فقال: جئت أسألك.

---

(1) أي العود الذي تناوله.

(2) روى هذه القصة ابن أبي شيبة في «مصنفه» (36629)، باب ما جاء في الحبشة وأمر النجاشي وقصة إسلامه، وصحح إسنادها الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة»، ص 105.

(3) الحرز هو الموضع الذي يتحصن به الإنسان من أسباب الهلاك، والمقصود أن من اتبعه من الأميين وهم العرب فقد نجا من الهلاك، وسمي العرب بالأميين لأن الكتابة كانت في وقتهم قليلة. انظر «النهاية» لابن الأثير.

(4) السخب هو الصياح، والمقصود التساخب على الدنيا شحًا وحرصًا في الأسواق.

(5) رواه البخاري (2125).

فقال له رسول الله ﷺ: أينفعك شيء إن حدّثتك؟

قال: أسمع بأذُنَـي.

فنكَت[1] رسول الله ﷺ بعود معه فقال: سل.

فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟

فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر[2].

قال: فمن أول الناس إجازة[3]؟

قال: فقراء المهاجرين.

قال اليهودي: فما تحفتهم[4] حين يدخلون الجنة؟

قال: زيادة كبد النون[5].

قال: فما غذاؤهم على إثرها[6]؟

قال: يُـنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها.

قال: فما شرابهم عليه؟

---

(1) أي ضرب الأرض. «النهاية».

(2) الجسر هو الصراط الذي يضرب على متن جهنم. انظر شرح النووي على صحيح مسلم.

(3) إجازة أي عبورا على الصراط.

(4) التحفة هي ما يلاطف به الرجل ليذهب به عنه المشقة والشدة، كالفاكهة ونحوها. انظر «لسان العرب».

(5) النون هو الحوت، والمقصود بزيادة كبده هي طرفها، وهي أطيبها. انظر شرح النووي على «صحيح مسلم».

(6) أي بعدها.

قال: مِن عين فيها تسمى سلسبيلا.

قال: صدقت.

قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان.

قال: ينفعك إن حدّثتك؟

قال: أسمع بأذُنَي.

قال: جئت أسألك عن الولد[1].

قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مَنِيُّ الرجل مَنِيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مَنِيُّ المرأة منِيَّ الرجل آنثا بإذن الله.

قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي.

ثم انصرف فذهب.

فقال رسول الله ﷺ: لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به[2][3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مَقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي.

(1) أي عن خلقه في بطن أمه.

(2) أي عن طريق الوحي، وكان هذا في نفس المجلس الذي سأله فيه اليهودي.

(3) رواه مسلم (315).

• قال: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع[1] الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أَخواله؟

فقال رسول الله ﷺ: خَبّرني بهن آنفًا جبريل.

فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

فقال رسول الله ﷺ: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب[2].

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة[3] كبد حوت.

وأما الشبه في الولد؛ فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها.

• **قال: أشهد أنك رسول الله.**

ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت[4]، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم[5] بهتوني عندك.

فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟

قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا.

---

(1) أي: أيُّ شيء يجذبه في الشبه إلى أبيه.
(2) أي من أشراط الساعة الكبرى.
(3) تقدم الكلام عليها.
(4) البُهت هو الكذب والافتراء، والمقصود أنهم أهل كذب وافتراء.
(5) أي قبل أن تسألهم عني.

فقال رسول الله ﷺ: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟

قالوا: أعاذه الله من ذلك.

فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فقالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه[1].

وقد ذكر البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما «دلائل النبوة» قصصا كثيرة في هذا الباب فليراجعها من أراد الاستزادة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتاب الموروثة عن الأنبياء قبله، حتى تناهت النبوة إلى آخر أنبياء بني إسرائيل، وهو عيسى ابن مريم، وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل، وقص اللهُ خبره في ذلك فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾.

(1) رواه البخاري (3329).

وقد وجدت البشاراتُ به ﷺ في الكتب المتقدمة، وهي أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر"[1]. انتهى مختصرًا.

ثم نقل رحمه الله شيئًا مما ورد في كتب أهل الكتاب التي يعترفون بصحتها، قدر أربع صفحات، فليراجعها من أراد الاستزادة.

والأناجيل المتوافرة بأيدي النصارى الآن – على ما فيها من التحريف – تبشر به، انظر بحوث د. أحمد ديدات رحمه الله.

ولهذا استشهد الله على نبوة محمد ﷺ بشهادة من عنده علم الكتاب، أي الكتب المنزلة من قبل وهي التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾.

والثانية من أنواع الدلائل: أنه لو لم يكن نبيًّا لحذر الأنبياء منه، ولانتشر هذا في كتبهم وسيرهم، بينما الواقع خلاف ذلك، قال ابن كثير رحمه الله:

ثم إنه قد انتشرت دعوته فى المشارق والمغارب، وعمَّت دولةُ أُمتِه أقطار الآفاق عمومًا ما لم يحصل لأمة من الأمم قبلها، فلو لم يكن محمد ﷺ نبيًّا؛ لكان ضرره أعظم من كل أحد، ولو كان كذلك لحذَّر عنه الأنبياء أشد التحذير، ولنَفَّروا أممهم منه أشد التنفير، فإنَّ جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة في كتبهم، ونهوا أممهم عن اتِّباعِهم والاقتداء بهم، ونصوا على المسيح الدجال، الأعور الكذاب، حتى قد أنذر نوح – وهو أول الرسل – قومَه.

---

(1) كتاب «دلائل النبوة»، باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ، (6/ 264)، والكتاب يقع في كتابه الكبير «البداية والنهاية»، الناشر دار ابن كثير.

ومعلوم أنه لم ينص نبي من الأنبياء على التحذير من محمد ﷺ، ولا التنفير عنه، ولا الإخبار عنه بشيء خلاف مدحه، والثناء عليه، والبشارة بوجوده، والأمر باتِّباعه، والنهى عن مخالفته، والخروج عن طاعته[1]. انتهى.

النوع الثالث من دلائل نبوته ﷺ: أنه من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمفارق، يدل على ذلك أنه لو لم يكن واثقًا بما أخبر به لكان ذلك من أشد المنفرات عنه، ولا يُقدم على ذلك عاقل، والغرض أنه من أعقل الخلق حتى عند من يخالفه، بل هو أعقلهم في نفس الأمر[2].

النوع الرابع من دلائل نبوته: انقطاع استراق الجن للسمع قبيل بعثته، فقد كان الكهان من العرب تأتيهم الأخبار من السماء عن طريق الشياطين التي تسترق السمع، فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ ودنا مبعثه حجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع، وصار من يقعد لاستراق السمع يُرمى بشهاب ثاقب من النجوم كما أخبر الله في سورة الجن، فعرفت الجن أن ذلك لأمرٌ هام من أمر العباد، قال الله عنهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[3]، وظنت قريش لما رأت الرمي بالنجوم أن ذلك علامة على قيام الساعة، ثم لما بعث النبي ﷺ وأسلمت الجن؛ عرفت سبب منعها من السمع وأنه لئلا يختلط الوحي بما يسترِقُونه ويلقونه إلى الكهان[4].

---

(1) بتصرف يسير من كتاب «دلائل النبوة»، باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ، (6/ 264)، والكتاب يقع في كتابه الكبير «البداية والنهاية».

(2) باختصار يسير من «دلائل النبوة» لابن كثير، (6/ 264)، وهو كتاب كامل يقع في «البداية والنهاية».

(3) سورة الجن آية: 9 - 10.

(4) انظر «سيرة ابن هشام»، باب إخبار الكهان من العرب، والأحبار من يهود، والرهبان من النصارى. (1/ 165 - 166).

وصدق الله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[1].

النوع الخامس من دلائل نبوته: أنه كان لا يرى رؤيا في المنام إلا جاءت مطابقة للواقع مثل فلق الصبح، فقد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض فيها نخل، فوقع الأمر كما رأى، وهاجر إلى المدينة[2].

ورأى أنه سيدخل المسجد الحرام بعدما هاجر من مكة؛ فوقع ذلك، ودخل المسجد الحرام فاتحًا، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

ورأى في ليلة عشرين من رمضان أنه ساجد في ليلة القدر في ماء وطين، فلما كانت ليلة إحدى وعشرين من رمضان أصابهم مطر، فابتل المسجد، فصلى بهم رسول الله ﷺ تلك الليلة، فلما انقضت الصلاة رأوا أثر الماء والطين على جبهة النبي ﷺ وأنفه، تصديقًا لرؤياه التي رأى أنه يسجد في ماء وطين[3].

ورؤاه الصادقة ﷺ كثيرة، ومن أراد التوسع فعليه بكتاب التعبير من صحيح البخاري، وكذا كتاب الرؤيا من صحيح مسلم، باب رؤيا النبي ﷺ.

النوع السادس من دلائل نبوته: إنزال القرآن الكريم، وسيأتي الكلام على وجوه دلالته على نبوة محمد ﷺ.

(1) سورة الشعراء آية: 210 - 212.

(2) انظر صحيح البخاري (3622)، ومسلم (2272) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(3) رواه البخاري (813) ومسلم (1167) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

النوع السابع من دلائل نبوته: أن الله خرق العادة له مرارًا، ومن ذلك تكثير الطعام ببركة دعائه، وقد حصل هذا للنبي ﷺ مرارًا، فعن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟

قالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير، ثم أخرجت خمارًا لها فلَفّت الخبز ببعضه، ثم دسّته تحت يدي ولاثتني[1] ببعضه، ثم أرسلَتني[2] إلى رسول الله ﷺ، قال: فذهبت به، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: آرسلك أبو طلحة؟

فقلت: نعم.

قال: بطعام؟

فقلت: نعم.

فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا.

فانطلق وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم.

فقالت: الله ورسوله أعلم.

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: هلمي يا أم سليم ما عندك.

---

(1) لاث أي لف، والمقصود أنها لفت بعض الخبز على رأسه وبعضه على إبطه. «فتح الباري».
(2) المتكلم هو أنس رضي الله عنه.

فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ، ففتّ، وعصرت أم سليم عُكّة[1] فأدمته[2]، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول[3]، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة، فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلًا»[4].

وعن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة فيها ثريد، فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة، يقوم ناس ويقعد آخرون.

قال له رجل: هل كانت تمد.

قال: فمن أي شيء تعجب؟ ما كانت تمد إلا من ههنا، وأشار إلى السماء[5].

وقصص تكثير الطعام بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة، ليس المقام مقام استقصائها، وقد جمعها الشيخ مقبل في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة» في نحو من عشر قصص[6].

---

(1) العُكة وعاء من جلد مستدير، يختص لحفظ السمن أو العسل، وهو للسمن أخص. «النهاية».

(2) أدم الشيء أي جعل معه إدامًا من لحم ونحوه. «النهاية».

(3) أي ما يقول من الدعاء.

(4) رواه البخاري (3578) ومسلم (2040).

(5) رواه أحمد (5/ 18)، والترمذي (3625)، وهو في صحيح الترمذي، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(6) ومواطن تلك القصص كالتالي:

1) حديث جابر، رواه البخاري (2127).

2) حديث عبد الرحمن بن أبي بكر، رواه البخاري في كتاب الأطعمة (2618) ومسلم (2056).

=

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ؛ تكثير الماء القليل ببركة يده، فعن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه، أن الماء قل ذات يوم عند المسلمين فقال النبي ﷺ: اطلبوا فضلة[1] من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك، **والبركة من الله.**

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ[2].

وفي لفظ: فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه، فعلمت أنه بركة.

قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟

قال: ألفًا وأربع مائة[3].

=

3) حديث جابر، رواه البخاري في المغازي (4101) ومسلم (2039).

4) حديث أنس بن مالك، رواه البخاري في النكاح (5163).

5) حديث أبي هريرة، رواه البخاري في الرقاق (6452).

6) حديث أبي هريرة، رواه مسلم (27).

7) حديث دكين بن سعيد الخثعمي، رواه أحمد (4/ 174)، وصححه محققو المسند.

8) حديث قيس بن النعمان، رواه الحاكم (3/ 8 – 9)، وصححه الذهبي، وذكره الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

9) حديث ابن مسعود، رواه أحمد (1/ 379)، وحسن إسناده محققو المسند.

10) حديث أبي هريرة، رواه أحمد (2/ 352)، والترمذي (3839)، وحسن الألباني إسناده.

(1) أي بقية من ماء قليلة.

(2) رواه البخاري (3576) عن جابر رضي الله عنه، ورواه النسائي (77)، والترمذي (3633)، وأحمد (1/ 460)، والدارمي في المقدمة، باب «ما أكرم الله النبي صلى الله عليه وسلم من تفجير الماء من بين أصابعه»، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(3) رواه البخاري (5639).

وانظر حديث المسور بن مخرمة ومروان الذي رواه البخاري في كتاب الشروط[1]، وحديث أنس الذي رواه البيهقي في «الدلائل»[2].

وقصص تكثير الماء بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة، ليس المقام مقام استقصائها، وهي مذكورة في صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وكذا في صحيح مسلم، في كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، وغيرها من كتب الحديث والدلائل.

ومن خوارق العادات التي جرت له ﷺ ما جعل الله من البركة والشفاء في ريقه وعرقه وما انفصل من جسده كشعره، وهذا خاص بالنبي ﷺ دون غيره، فعن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟

فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر.

فقال الناس: أصيب سلمة.

فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة[3].

وقصص استشفاء بعض الصحابة بسبب بركة رسول الله ﷺ كثيرة، ليس المقام مقام استقصائها، وهي مبثوثة في كتب السنة[4].

---

(1) (2731، 2732).

(2) (6/ 136).

(3) رواه البخاري (4206).

(4) انظر حديث سعد بن أبي وقاص الذي رواه مسلم (2404)، وحديث السائب بن يزيد الذي رواه البخاري في المناقب (3540)، وانظر كذلك قصة حنظلة التي رواها الإمام أحمد (5/ 68)، وصحح إسنادها محققو «المسند»، وقصة أبي العلاء بن عمير التي رواها الإمام أحمد (5/ 28)، وصحح إسنادها محققو «المسند».

ومن خوارق العادات حادثة انشقاق القمر لما سأله أهل مكة أن يريهم آية دالة على نبوته، فانشق القمر فرقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا»[1].

ومن خوارق العادات حنين الجذع إليه، فقد كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع نخلة في المسجد، فصنعوا له منبرًا، فلما كانت الجمعة قعد إليه النبي ﷺ، فبكى جذع النخلة الذي كان النبي ﷺ يخطب عنده، حتى سمعوا له صوتًا مثل صوت العِشار[2]، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه وضمه فسكت[3].

ومن خوارق العادات أنه في غزوة حنين أخذ قبضة من تراب فرمى بهن وجوه الكفار وقال: «شاهت الوجوه»، أي قبحت، فما بقي منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله ﷻ وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين[4].

---

(1) انظر صحيح البخاري (3636، 3870)، ومسلم (2802).

تنبيه: قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث رقم (3870):

وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة، وقد قال العماد بن كثير: في الرواية التي فيها مرتين نظر، ولعل قائلها أراد فرقتين.

قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعًا بين الروايات. انتهى.

(2) العشار جمع عشراء، وهي الناقة التي تم على حملها عشرة أشهر.

(3) انظر صحيح البخاري (918، 2095).

(4) انظر صحيح مسلم (1777) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

ومن خوارق العادات التي حصل له ﷺ؛ **رفْعُ بيت المقدس له وهو في مكة** حتى رآه ووصفه للناس وهو ينظر إليه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبتني قريش؛ قمت في الحِجر[1]، فجلّا[2] الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه[3].

ومن دلائل نبوته أنه **أوتي جوامع الكلم**، فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي».

قال أبو عبد الله[4]: وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك[5].

وفي رواية مسلم؛ قال أبو هريرة: (وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها).

قال ابن حجر في «فتح الباري»: ومفاتيح خزائن الأرض المراد منها ما يفتح لأمته من بعده من الفتوح، وقيل المعادن.

وقول أبي هريرة (وأنتم تنتثلونها) أي تستخرجونها[6].

(1) أي حِجر الكعبة الملاصق لها.

(2) جلا أي كشف وأوضح.

(3) رواه البخاري (3886) ومسلم (170) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(4) أي البخاري رحمه الله، واسمه محمد بن إسماعيل.

(5) رواه البخاري (7013) ومسلم (523).

(6) انتهى باختصار من «فتح الباري»، شرح حديث (2977).

وعن ابن عباس أن ضمادًا قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقي من هذه الريح[1]، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمدًا مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل، لعل الله يشفيه على يدي.

قال: فلقيه فقال: يا محمد، إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟

فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد.

قال: فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء.

فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات.

فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر[2].

قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام»[3].

ومن خوارق العادات أنه يرى من خلفه وهو يصلي بالناس إمامًا، فعن أنس بن مالك قال: أقيمت الصلاة، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: «أقيموا صفوفكم وتراصوا، فإني أراكم من وراء ظهري»[4].

---

(1) قال النووي: المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن. وفي غير رواية مسلم: (يرقي من الأرواح)، أي الجن، سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس، فهم كالروح والريح.

(2) أي وسطه ولجته.

(3) رواه مسلم (868).

(4) رواه البخاري (719) ومسلم (425).

ومن لطيف دلائل نبوته أنه **نصر بالصَّبا**، وهي ريح تهب من جهة المشرق، فعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»[1].

والنكتة هنا أن الريح كانت مسخرة لسليمان عليه السلام تجري بأمره، أما الصبا فإنها مسخرة له بدون أمره، بل تأتيه بدون أمر، وهذا أبلغ في الدلالة على نبوته[2].

ومن دلائل نبوته ﷺ؛ **حصول الكرامات لبعض أتباعه**، سواء من الصحابة أو من التابعين أو من بعدهم[3].

النوع الثامن من دلائل نبوته ﷺ إخباره ببعض الأمور الغائبة عن عيون الناس في حينها، فمن ذلك أنه نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وصلى عليه صلاة الغائب[4].

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث جيشًا لغزوة مؤته، فاستعمل عليهم زيد بن حارثة، وأوصاهم إن أصيب زيد فأميرهم جعفر، وإن أصيب جعفر فأميرهم عبد الله بن رواحة، وبينما الصحابة في المدينة مع رسول الله ﷺ إذ نعى زيدًا ثم جعفرًا ثم ابن رواحةَ وهو قاعد في المدينة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرةٍ ففُتح له»[5].

---

(1) رواه البخاري (1035) ومسلم (900) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) انظر «فتح القدير» للمناوي (6/ 283)، الناشر دار الفكر، ط 2، سنة 1391 هجري.

(3) أنظر أمثلة كثيرة على ذلك في كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، لابن تيمية رحمه الله.

(4) انظر صحيح البخاري (1245) ومسلم (951) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(5) رواه البخاري (1246).

ولما نزل النبي ﷺ بدرًا قبل المعركة حدد مواضع قتل بعض رؤوس المشركين، فعن أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب قال: «إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله».

فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق؛ ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ[1].

ومنها قصة حاطب بن أبي بلتعة، وفيها: أن رسول الله ﷺ أرسل عليًّا والمقداد والزبير في إثر امرأة تحمل رسالة إلى المشركين، فقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا روضة «خاخ»، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب إلى المشركين».

وحصل الأمر، وأدركوها في تلك الروضة، ومعها كتاب إلى المشركين فيه إفشاء لسر المسلمين[2].

والأمثلة على هذا النوع من الدلائل عديدة، وقد جمع شيئًا كثيرًا منها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

النوع التاسع من دلائل نبوته ﷺ توقير بعض الحيوانات والجمادات له ﷺ، فعن أنس بن مالك قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسْنون[3] عليه، وان الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسْني عليه، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل.

---

(1) رواه مسلم (2873).

(2) والقصة في صحيح البخاري (3007) ومسلم (2494) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(3) أي يستقون عليه الماء من البئر.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا»، فقاموا، فدخل الحائط[1]، والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا نبي الله، إنه قد صار مثل الكلْبِ الكَلِب[2]، وإنا نخاف عليك صولته، فقال: «ليس علي منه بأس»، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتى أدخله في العمل[3].

وعن عبد الله بن قُرط، أنه قُرِّب إلى رسول الله ﷺ يوم النحر خمس بدنات أو ست ينحرهن، فطفقن يزدلفن[4] إليه، أيتهن يبدأ بها[5].

ومن دلائل نبوته؛ تسليم بعض الجمادات عليه، كالحجر الذي بمكة، فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»[6].

---

(1) الحائط هو البستان.

(2) هو الكلب يشتد في أكل لحوم الناس، فيصيبه داء شبيه بالجنون، فإذا عض إنسانًا أصابه – أي الإنسان – داء الكلب، فيمزق ثيابه، ويعوي عواء الكلب. «لسان العرب».

(3) رواه أحمد (3/ 158)، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

وفي الباب عن عبد الله بن جعفر، رواه أحمد (1/ 204)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(4) طفق أي أخذ في فعل شيء ما، وهو هنا الازدلاف إلى النبي ﷺ، وهو التقرب، والمقصود: جعلن يتقربن إليه، كلهن يُردن أن يبدأ النبي ﷺ بنحرها قبل أختها.

(5) رواه أحمد (4/ 350)، وأبو داود (1765)، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي كما في «الصحيح المسند من دلائل النبوة»، ص 118، وكذا صححه محققو «المسند» والألباني رحمه الله.

(6) رواه مسلم برقم (2277).

ومن دلائل نبوته؛ تعظيم بعض الجمادات له ﷺ، ومنها جبل أحد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد إلى أُحُدٍ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال: «اُثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»[1].

ومن ذلك أيضًا: حنين جذع نخلة كانت في المسجد إليه، فقد كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع نخلة في المسجد، فصنعوا له منبرًا، فلما كانت الجمعة قعد إليه النبي ﷺ، فبكى جذع النخلة الذي كان النبي ﷺ يخطب عنده، حتى سمعوا له صوتًا مثل صوت العِشار[2]، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه وضمه فسكت[3].

النوع العاشر من دلائل نبوته؛ إخباره عن أمور مستقبلية تحصل تبعًا مع مرور الزمن، فحصلت كما أخبر، فمن هذا إيماؤه إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه[4].

وإخباره عن مجيء أويس القرني من اليمن، وأن له والدة هو بها بر، وأن به بياض بقدر موضع درهم أو دينار، لو أقسم على الله لأبره، فأتى إلى المدينة كما أخبر، ولقيه عمر رضي الله عنه[5].

وإخباره عن استقامة القرون الثلاثة، فحصل الأمر كما أخبر، فكانوا خير القرون التي مرت عليها الأمة الإسلامية، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[6].

---

(1) رواه البخاري برقم (3675، 3472).

(2) العشار هي الإبل، واحدتها عشراء، وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر. «النهاية».

(3) انظر صحيح البخاري (918، 2095).

(4) انظر حديث عائشة في صحيح البخاري (5666) ومسلم (2387).

(5) رواه مسلم (2542).

(6) رواه البخاري (2652) ومسلم (2533)، واللفظ للبخاري.

ومنها إخباره بفتح اليمن والشام والعراق، فوقع الأمر كما أخبر[1].

ومنها إخباره بفتح مصر[2].

ومنها إيماؤه إلى انتصار الروم على فارس، فوقع الأمر كما أخبر، وذلك قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾، والبضع هي ما دون العشر في العدد، فغلبوا قبل تمام المدة[3].

ومنها إخباره بفتح خيبر على يد علي بن أبي طالب[4].

ومنها إخباره بمقتل عثمان مظلومًا[5].

ومنها إخباره بمقتل عمار بن ياسر مظلومًا[6].

ومنها إخباره بأن ابنته فاطمة أول الناس لحوقًا به من أهل بيته بعد وفاته[7].

ومنها إخباره بأن أول زوجاته لحوقًا به بعد وفاته زينب[8].

---

(1) انظر صحيح البخاري (1776)، ومسلم (1388)، وكذا أبو داود (2483)، وهو في صحيح أبي داود.

(2) انظر صحيح مسلم (2543).

(3) انظر «جامع الترمذي» (3193)، والبيهقي في «الدلائل» (2/ 330)، وصححه الألباني رحمه الله.

(4) انظر صحيح البخاري (2942) ومسلم (2406).

(5) انظر جامع الترمذي (3708)، وهو في صحيح الترمذي للألباني.

(6) انظر صحيح البخاري (2812) ومسلم (2915).

(7) انظر صحيح البخاري (3626) ومسلم (2450).

(8) انظر صحيح البخاري (1420) ومسلم (2452).

ومنها إخباره بإخراج اليهود من خيبر، فوقع الأمر كما أخبر في خلافة عمر[1].

ومنها إخباره أن بعض أمته سيركبون البحر غزاة، وأن أم حرام منهم، فكان الأمر كذلك في خلافة عثمان رضي الله عنه[2].

ومنها إخباره بفتح فارس[3].

ومنها إخباره بهلاك كسرى وقيصر، وإنفاق كنوزهما في سبيل الله[4].

ومنها إشارته ﷺ لوقوع بعض الفتن بالمدينة[5].

وقد وقعت فتن كما أخبر، فأولها مقتل عمر ثم عثمان ثم وقعة الحَرَّةِ في زمن يزيد بن معاوية.

ومن دلائل نبوته إخباره ﷺ بأن الطاعون لا يدخل المدينة، فوقع الأمر كما أخبر، فلم يدخلها قط[6].

ومنها إخباره عن تفرق الأمة من بعده على فرق كثيرة، فوقع الأمر كما أخبر[7].

---

(1) انظر صحيح البخاري (2730).

(2) انظر صحيح البخاري (2789) ومسلم (1912).

(3) انظر صحيح مسلم (2900).

(4) انظر صحيح البخاري (3595) ومسلم (2918)، وكذا حديث جابر بن سمرة الذي رواه مسلم (2919).

(5) انظر صحيح البخاري (1878) ومسلم (2885).

(6) انظر صحيح البخاري (5731) ومسلم (1379).

(7) انظر سنن أبي داود (4596)، وقال الألباني: حسن صحيح، وكذا سنن ابن ماجه (3992)، وهو في «صحيح ابن ماجه».

ومنها إخباره بأن أناسًا من أمته سيُكذِّبون بالقدر، فوقع الأمر كما أخبر، فظهر أناس يدعون أن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه، تعالى الله عن ذلك[1].

ومنها إخباره عن الفرقة التي تسمي نفسها بالقرآنيين، وهم الذين يدّعون الإيمان بالقرآن ويكفرون بالسنة ولا يؤمنون بها، فوقع الأمر كما أخبر، وهم موجودون الآن، أراح الله العباد والبلاد من شرهم[2].

ومنها إخباره ﷺ بأن بعض أمته سيتشبه باليهود والنصارى، فوقع الأمر كما أخبر[3].

ومن دلائل نبوته؛ إخباره أنه سيأتي على أمته زمان لا يبالي المرء فيه من أين أَخذ ماله من حلال أو من حرام[4].

ومن دلائلها أيضًا: إخباره بظهور الخوارج، وكان أول أمرهم لما أتى علي رضي الله عنه بمال من اليمن، فقسمه النبي ﷺ بين أربعة نفر، فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله، اتق الله!

فقال له رسول الله ﷺ: «ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتق الله؟!».

ثم لما ولى الرجل قال النبي ﷺ: «إنه يخرج من ضِئْضِئ[5] هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

(1) انظر صحيح مسلم (8).
(2) انظر سنن أبي داود (4604)، والترمذي (2664) وابن ماجه (12)، وصححه الألباني رحمه الله.
(3) انظر صحيح البخاري (3456) ومسلم (2669).
(4) انظر صحيح البخاري (2059).
(5) الضئضىء هو الأصل، والمقصود هو النسل. انظر «النهاية».

إلى أن قال: «آيتهم رجل أسود إحدى عضديه[1] مثل ثدي المرأة، أو مثل البُضعة[2] تدردر[3]، ويخرجون على حين فرقة من الناس».

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمِس فأُتي به، حتى نظرت إليه على نعتِ النبي ﷺ الذي نعته[4].

وفي رواية مسلم في وصفهم: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»[5].

ومن دلائل نبوته ما ذكره النبي ﷺ من أن أقوامًا من أمته سيستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف، فوقع الأمر كما أخبر[6].

ومن دلائل نبوته: إخباره عن بعض أشراط الساعة الصغرى، فظهر بعضها كما أخبر، ومن ذلك: قبض العلم[7] وكثرة الزلازل وتقارب الزمان

---

(1) العضد هو ما بين الكتف والمرفق. «النهاية».

(2) البُضعة هي القطعة من اللحم. «النهاية».

(3) تدردر أي ترتج، وأصلها تتدردر، ولكن حذفت إحدى التاءين تخفيفا. «النهاية».

(4) انظر صحيح البخاري (3610، 3344) ومسلم (1064).

(5) قال مقيده عفا الله عنه: والخوارج فرقة ظهرت في ذلك الزمان، وهي موجودة إلى الآن، وهناك من الطوائف الآن من يحمل فكرها الثوري، كالجماعة المسلحة في مصر، قال الشيخ مقبل في «دلائل النبوة»، ص 600: هذا الحديث وأمثاله ينطبق على جماعة التكفير والهجرة التي ظهرت بمصر وامتدت إلى جميع الأقطار الإسلامية.

(6) انظر صحيح البخاري (5590).

الحِر هو الفرج، والمقصود انتشاره كما لو أنه حلالًا، وقد انتشر الزنا في بعض البلاد الإسلامية انتشارًا واسعًا عياذًا بالله.

(7) ويكون هذا بقبض العلماء.

وظهور الفتن وكثرة القتل وكثرة المال[1]، وفشو الجهل وشرب الخمر والزنا[2] ويكثر النساء ويقل الرجال[3]، وإخباره ﷺ أن المسلمين سيقاتلون قومًا ينتعلون نعال الشعر[4]، قال الحافظ في «الفتح»: وَقَدْ وَقَعَ لِلْإِسْمَاعِيلِي مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَصْحَابَ بَابَك كَانَتْ نِعَالُهُمْ الشَّعْر.

قُلْت: بَابَك مِنْ طَائِفَةٍ مِنْ الزَّنَادِقَةِ، اِسْتَبَاحُوا الْمُحَرَّمَات، وَقَامَتْ لَهُمْ شَوْكَة كَبِيرَة فِي أَيَّام الْمَأْمُون، وَغَلَبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْعَجَم كَطَبَرِسْتَان وَالرَّي، إِلَى أَنْ قُتِلَ بَابَك الْمَذْكُورُ فِي أَيَّام الْمُعْتَصِم، وَكَانَ خُرُوجُه فِي سَنَة إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ أَوْ قَبْلَهَا، وَقَتْلُهُ فِي سَنَة اِثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ. انتهى.

ومما ذكره النبي ﷺ في أشراط الساعة الصغرى إخباره ﷺ أن المسلمين سيقاتلون الترك، وقد جاء وصفهم بأن وجوههم كالمجان المطرقة[5]، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف[6] الأنوف[7].

قال النووي رحمه الله: وهذه كلها معجزات لرسول الله ﷺ، فقد وُجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، عِراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقتالهم الآن،

---

(1) انظر صحيح البخاري (1036).

(2) انظر صحيح البخاري (80) ومسلم (2671).

(3) انظر صحيح البخاري (81) ومسلم (2671).

(4) انظر صحيح البخاري (2927) عن عمرو بن تغلب، وكذا مسلم (2912) عن أبي هريرة.

(5) المجان جمع مجن وهو الترس، والطرق هو إلباسها العَقَب وهو العصب، ولعل العصب خص بذلك لبياضه، والمقصود عراض الوجوه، بياضها.

(6) ذُلف الأنوف أي صغارها.

(7) انظر صحيح البخاري (2927) عن عمرو بن تغلب، وكذا مسلم (2912) عن أبي هريرة.

ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم، وسائر أحوالهم، وإدامة اللطف بهم والحماية، وصلى الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. انتهى.

ومما ذكره ﷺ في أشراط الساعة الصغرى، فظهر كما أخبر، ما جاء في حديث عمر بن الخطاب في «صحيح مسلم»[1] لما سأل جبريل النبي ﷺ عن علامات الساعة فقال: أن تلد الأمة ربتها، وأن يتطاول الرعاة في البنيان.

ومن ذلك أيضًا ما حدّث به عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدَم[2]، فقال:

«اُعدُد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتَان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا»[3].

قال ابن حجر في «الفتح»:

مُوْتَانِ، قَالَ الْقَزَّاز: هُوَ الْمَوْت، وَقَالَ غَيْره: الْمَوْت الْكَثِير الْوُقُوع.

قَوْله: «كَعُقَاصِ الْغَنَم»؛ هُوَ دَاء يَأْخُذ الدَّوَابّ فَيَسِيل مِنْ أُنُوفهَا شَيْء، فَتَمُوت فَجْأَة، وَيُقَال إِنَّ هَذِهِ الْآيَة ظَهَرَتْ فِي طَاعُون عمَوَاسٍ فِي خِلَافَة عُمَر، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْد فَتْح بَيْت الْمَقْدِس.

---

(1) رقم (8).

(2) الأدم هو الجلد.

(3) رواه البخاري (3176).

قَوْله: «ثُمَّ اِسْتِفَاضَة الْمَال» أَيْ كَثْرَته، وَظَهَرَتْ فِي خِلَافَة عُثْمَان عِنْد تِلْكَ الْفُتُوح الْعَظِيمَة.

وَالْفِتْنَة الْمُشَار إِلَيْهَا اُفْتُتِحَتْ بِقَتْلِ عُثْمَان، وَاسْتَمَرَّتْ الْفِتَن بَعْده، وَالسَّادِسَة لَمْ تَجِئْ بَعْدُ.

قَوْلُهُ: «بَنِي الْأَصْفَر» هُمْ الرُّوم.

قَوْله: «غَايَة» أَيْ رَايَة، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا غَايَة الْمُتَّبِع، إِذَا وَقَفَتْ وَقَفَ. انتهى باختصار.

قال مقيده: وقد ظهرت كلها إلا الهدنة المشار إليها، وهذا من دلائل نبوته ﷺ، اللهم انصر المسلمين على من بغى عليهم.

ومن ذلك أيضًا: ما حدث به أنس أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»[1]، وقد وقع الأمر كما أخبر، فصار الناس يتباهون بزخرفة المساجد، وبعضهم ينفق الأموال الطائلة في سبيل التزيين ويعدها صدقة وقربة، وهذا ليس بسبيل شرعي، بل السبيل الشرعي هو ما كان في سبيل تقوية البناء أو توسعته.

ومنها إخباره بأن عبد الله بن بسر سيعيش مائة سنة، فكان الأمر كذلك[2].

ومنها إخباره عن خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى[3]، وهي مدينة بالشام، وقد خرجت هذه النار سنة خمس وستين وست مئة، وشاهد الناس أعناق الإبل ببصرى[4].

(1) رواه أبو داود (449) وابن ماجه (739)، وهو في «صحيح ابن ماجه».

(2) رواه أحمد (4/ 189)، وانظر ترجمة عبد الله بن بسر في «سير أعلام النبلاء».

(3) رواه البخاري (7118) ومسلم (2902) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) انظر «البداية والنهاية»، أحداث سنة 654 هـ.

فصل

وهناك أمور مستقبلية لم تظهر بعد إلى زماننا هذا، ولكنها ستظهر قطعًا، مصداقًا لقول النبي ﷺ، ومن ذلك ما حدث به ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله»[1].

ومن ذلك أيضًا ما أخبر به ﷺ من أن المدينة النبوية لا يدخلها الدجال[2].

فصل

وأعظم الدلائل التي أعطيها نبينا محمد ﷺ هي القرآن الكريم، وهو معجز في ذاته من سبعة وجوه:

الأول: بيانه وفصاحته، فالقرآن الكريم نزل على قريش بلغتهم، وفي زمان بلغت فيه قريش الذروة في الفصاحة والبلاغة والبيان وحسن نظم الشعر، فظنوا في أول الأمر أنهم يستطيعوا الإتيان بمثله فقالوا -كما أخبر القرآن عنهم-: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[3]، فنزل القرآن بتحديهم على ثلاثة مراحل؛ الأولى أن يأتوا بمثله[4]، والثانية أن يأتوا بعشر سور مثله[5]، والثالثة أن يأتوا بسورة مثله[1]، فعجزوا مع شدة حرصهم

(1) رواه البخاري (3593) ومسلم (2921)، وفي الباب عن أبي هريرة، رواه البخاري (2926)، ومسلم (2922).

(2) انظر صحيح البخاري (5731) ومسلم (1379).

(3) سورة الأنفال: 31.

(4) الطور: 33 – 34.

(5) سورة هود: 13.

على مغالبة القرآن وقوة فصاحتهم، فقطع الله طمعهم إلى قيام الساعة في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2].

ثانيًا: حفظه من التحريف على مر العصور والدهور، ووجه الإعجاز أنه لم يحفظ كتاب من الكتب السماوية كما حفظ هذا الكتاب، وصدق الله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.

ثالثًا: حسن ما تضمنه من تشريع وأحكام، تصلح لجميع البشر ولجميع الأزمنة والأمكنة، وتشمل جميع ما يصلح العباد في دنياهم وآخرتهم، في العقيدة والشريعة والآداب والاقتصاد والسياسة وغيرها.

رابعا: صدق الأخبار التي تضمنها، سواء التي مضت، أم التي تحصل تبعًا مع مرور الزمن أثناء تنزيل القرآن، أو الآيات التي فيها ذكر بعض الأمور المستقبلية، **فأما الأخبار التي مضت** فهي كالإخبار عن خلق السماوات والأرض، وقصة آدم وإبليس، ثم قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم، وقصة صاحب الجنتين، وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين، وغيرها، جاءت كل هذه الأخبار على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

وتضمن القرآن كذلك ذكر بعض الأحكام الواردة في التوراة، وبيان كتمان أحبار اليهود لها، حتى تحداهم القرآن بقوله: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

=

(1) سورة البقرة: 23.

(2) سورة الإسراء: 88.

وأما الآيات التي نزلت تبعًا مع التنزيل فكالآيات التي نزلت لكشف أحوال المنافقين، والآيات التي فيها إجابة على أسئلة، كالتي تصدَّرَها قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾، وكذا المواقف التي كشفت عن صدق الله وعده لنبيه بالنصر في الحروب، وغير ذلك.

وأما الآيات التي فيها أخبار ما سيأتي في المستقبل فوقعت مطابقة لما أخبر فكدخول المسجد الحرام، وهي في آخر سورة الفتح.

وأيضا قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾، فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم أن عمر لما نزلت هذه الآية قال: أي جمع يُهزم؟

فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾.

وفي رواية لابن أبي حاتم: فعرفت تأويلها يومئذ.

وكذلك الآيات التي فيها تقرير عجز الناس عن أن يأتوا بآية مثل آيات القرآن، فعجز الناس فعلًا، وكالآيات التي تقرر حفظ الله لكتابه، كقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾، فوقع الأمر كما أخبر، فكم من ملحد حاول ثم نكص على عقبيه.

وكالآيات التي تقرر حصول العزة والكرامة والسيادة والظهور للأمة الإسلامية إن استقامت على أمر الله، فوقع الأمر كما أخبر الله في القرون الثلاثة المفضلة الأولى، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ

ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾، ثم لما فشا فيهم الشرك والبدع، والبعد عن منهج السلف الصالح في العقيدة والشريعة والسلوك؛ صاروا في ذيل الأمم، وتسلطت عليهم الأمم الأخرى، واستعمروهم قرونًا.

جاء فيها ذكر أشراط الساعة الصغرى، وقد ظهر بعضها، وغير ذلك.

كذلك، فإن القرآن شاهد على صدق الحقائق العلمية التي تضمنها، فتكوين الإنسان في بطن أمه تحدثت عنه عدة آيات قبل أربعة عشر قرنًا، بينما لم يهتد علماء الطب إلى مراحل ذلك التكوين إلا في العقود المتأخرة من الزمن.

وكذا الأمر بالنسبة لأمور علمية أخرى كتكوين البحار والجبال وغيرها، وقد ألفت في هذا مؤلفات، بل أسلم بسبب هذا كثير من علماء الطبيعة، ومن أراد التوسع فليرجع إلى هيئة الإعجاز العلمي التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وصدق الله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[1].

خامسًا: تنوع العلوم التي احتواها، فعلاوة على أن القرآن الكريم قدم علم العقيدة الصحيحة غضة طرية، وهدم أساطير الخرافة والتعلق بالمخلوقات؛ فإنه لم يقتصر على هذا، فقد اغترف منه علماء النحو والبلاغة واللغة الشيء الكثير، بل هو المعيار الأساس لضبط علومهم.

ووجوه الإعجاز هذه كلها تدل على أن النبي ﷺ صادق فيما يبلغه عن ربه، فإنه من المستقر المعلوم عند قومه أنه أمي، لا يقرأ ولا يكتب، فمن أين

(1) سورة الإسراء: 89.

سيأتي بكل هذه الأخبار القرآنية لولا أنه يوحى إليه من ربه؟ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[1].

سادسًا: ومن وجوه إعجاز القرآن؛ تأثيره في النفوس التأثير البليغ، سواء كانت نفوسًا مؤمنة أو كافرة، أو جمادات، وصدق الله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

وقد تأثر بالقرآن بعض الصناديد من قريش، ومن ذلك قصة الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن، فقد روى ابن جرير في «تفسيره»[2] والحاكم في «مستدركه»[3] واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالًا.

قال: لم؟

قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرِض لما قِبَله[4].

---

(1) سورة العنكبوت: 48 – 49.

(2) تفسير سورة المدثر.

(3) (2/ 507).

(4) أي لتدري ما عنده، يريدون أنه طمع بما عنده، فلهذا ذهب إليه.

قال: قد علِمت قريش أني من أكثرها مالًا.

قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برَجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لِقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطُلاوة[1]، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق[2] أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطِم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعني حتى أفكر.

فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثِره عن غيره[3]، فنزلت: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾.

وأخرج ابن إسحاق في السيرة[4] والبيهقي في «الدلائل»[5] واللفظ له عن الزهري قال: حُدِّثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلسًا ليستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: (لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا)، ثم

---

(1) أي رونقًا وحسنًا، وقد تفتح الطاء. «النهاية».

(2) الغدَق هو الماء الكثير، وفي التنزيل: ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾، والمقصود بالمغدق في الكلام هنا هو كثرة خيره. انظر «لسان العرب».

(3) أي يرويه عن غيره.

(4) كتاب السيرة، ص (169).

(5) باب جماع أبواب المبعث (2/ 206).

انصرفوا، حتى إذا كان الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقالوا: (لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود)، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد.

فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها.

قال الأخنس: وأنا، والذي حلفت به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفَرسي رهان؛ قالوا: (منا نبي يأتيه الوحي من السماء)! فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه، فقام عنه الأخنس بن شريق. انتهى.

ولما سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[1]، وكان جبير يومئذ مشركًا؛ قال: كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي[2].

ولما كان القرآن يتصف بهذا التأثير البليغ في النفوس؛ تعاهد الكفار ألا

---

(1) سورة الطور آية: 36.

(2) رواه البخاري مفرقًا، (4853)، (4023).

يستمعوا للقرآن، قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾، وما ذاك إلا لتأثيره في نفوسهم، وإحساسهم به في أعماقهم، ولكنهم قوم يستكبرون عن سماع الحق.

وقد أثر القرآن في بعض النصارى فآمنوا به، قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

أما المؤمنين فتأثير القرآن عليهم واضح، قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، والكلام في هذا يطول، وهو موجود في مظانِّه، ويكفي في هذا ما ذكره السيوطي رحمه الله في كتابه «الإتقان»[1]: أن جماعة ماتوا عند سماع آيات الله، وقد أفردت أسماؤهم في مصنف.

سابعًا: ومن وجوه إعجاز القرآن الاستشفاء به من الأمراض الحسية والمعنوية (أي النفسية)، فأما الأمراض الحسية فقد حذر القرآن من جملة من المطعومات والمشروبات والسلوكيات على سبيل الوقاية من الأمراض، ومن ذلك تحريم الخمر والخنزير والزنا واللواط وإتيان النساء في المحيض.

وبعد الإصابة بالأمراض فقد أرشد النبي ﷺ إلى التداوي بقراءة سورة الفاتحة، وأخبر أنها رقية، كما أرشد القرآن إلى التداوي بالعسل، ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

(1) باب: النوع الرابع والستون؛ في إعجاز القرآن.

وأما الأمراض النفسية فالقرآن هو أفضل الأدوية لها، بل إن سبب هذه الأمراض هو البعد عن القرآن، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾، ومن تلك الأمراض القلق والاكتئاب والسحر والأخلاق الرديئة من طمع وكبر والانجراف وراء الشهوات وغير ذلك، وذلك أن هذه الأمراض تحصل نتيجة الخواء الروحي، وليس للخواء الروحي داء إلا الرجوع إلى الله تعالى، وصدق الله: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾، ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾، ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾.

فصل

ودلائل نبوة النبي ﷺ كثيرة، كلها تدل على صدق نبوته وأنه رسول من عند الله حقًّا، وقد حفظ علماء السنة رحمهم الله في القرون المتقدمة تلك الدلائل في كتب مفردة، ورووها بالأسانيد، وأشهر تلك الكتب أربعة:

1. «دلائل النبوة» ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر البيهقي.
2. «دلائل النبوة»، للحافظ أبي بكر الفريابي.
3. «دلائل النبوة»، لأبي القاسم الأصبهاني.
4. «دلائل النبوة»، لأبي نعيم الأصبهاني.

ثم جاء علماء متأخرون واختصروا تلك الكتب، ومن أشهر كتبهم:

1. «أعلام النبوة»، لعلي بن محمد الماوردي (450 هـ).
2. «دلائل النبوة»، لعماد الدين بن كثير، ويقع في كتاب «البداية والنهاية».

3. «الصحيح المسند من دلائل النبوة»، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

4. «دلائل النبوة»، لسعيد باشنفر (يحوي أكثر من 1400 دليل).

فصل في بيان تصنيف الآيات والدلائل بحسب استمراريتها أو انقضائها

ويمكن تقسيم الآيات والبينات التي أيد الله بها نبيه ﷺ بعد مبعثه بحسب استمراريتها أو انقضائها إلى ثلاثة أصناف:

الأول: آيات حصلت وانقضت في عهد النبي ﷺ إذ كان حيًّا، كانبعاث الماء من بين أصابعه، وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل، وحادثة انشقاق القمر، وتسليم الحجر عليه لما أشار إليه، وحنين الجذع إليه.

الثاني: آية خالدة، منذ بعث النبي ﷺ إلى قيام الساعة، وهي القرآن الكريم وسنته المطهرة، وهو أعظم الأدلة على نبوته ﷺ، وسيأتي تفصيل الكلام في ذلك قريبًا إن شاء الله.

الثالث: آيات تأتي تبعًا مع مرور الزمن وتنقضي، وهي ما أخبر به النبي ﷺ من الغيبيات، كوقوع بعض الحروب، وغيرها مما سيأتي في كلام ابن تيمية قريبًا، وكعلامات الساعة الصغرى والكبرى، وما يحدث بعد قيام الساعة إلى دخول الناس منازلهم، في جنة أو نار.

قال ابن تيمية رحمه الله:

والآيات نوعان: منها ما مضى وصار معلومًا بالخبر، كمعجزات موسى وعيسى، ومنها ما هو باق إلى اليوم، كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ﷺ، وكالعلم والإيمان الذي في أتباعه، فإنه من أعلام نبوته، وكشريعته التي

أتى بها، فإنها أيضًا من أعلام نبوته، ووقوع ما أخبر بوقوعه كقوله: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك»[1]، وقوله: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى»[2]، وقد خرجت هذه النار سنة خمس وستين وست مئة، وشاهد الناس أعناق الإبل ببصرى[3]، وظهر دينه وملته بالحجة والبرهان واليد والسنان، ومثل المثلات والعقوبات التي تحيق بأعدائه، وغير ذلك، وكنعته الموجود في كتب الأنبياء قبله، وغير ذلك[4].

تنبيه إلى الفرق بين الآية والمعجزة:

ذكر ابن تيمية ﷺ أن لفظ الآية والبينة والبرهان هو الوارد في الكتاب والسنة، وذكر جملة من الأمثلة على هذا[5]، وأما لفظ المعجزة فلم يرد في القرآن، ولا يدل على كون المقصود آية أو دليلًا إلا إذا فسر به.

ثم إن الإعجاز من حيث هو لم يرد إلا في سياق التحدي والإعجاز للخصم، وليست كل الآيات التي أيد الله بها أنبياءه من قبيل الإعجاز، فالقرآن آية على نبوة محمد ﷺ وفيه تحدٍّ، فيكون معجزة، أما حنين الجذع إليه[6]، وتسليم الحجر عليه فإنه آية على نبوته ﷺ وليس فيه تحدٍّ، فلا يوصف بأنه معجزة[7].

---

(1) رواه البخاري (2928) ومسلم (2912) عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(2) رواه البخاري (7118) ومسلم (2902) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) انظر «البداية والنهاية»، أحداث سنة 654 هـ

(4) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (5/ 420-421).

(5) انظر (القصص: 32)، و(النساء: 174)، و(الإسراء: 111)، و(الأنعام: 124)، و(الشعراء: 145)، و(الأعراف: 73)، و(آل عمران: 49)، (الأنعام: 5، 25)، وغيرها.

(6) انظر «صحيح البخاري» (3585).

(7) انظر «الجواب الصحيح» (5/ 412-419).

المبحث السابع: الغاية من إرسال الرسل

الغاية من إرسال الرسل هي بيان العقيدة والشريعة، فمن التزمها وعمل بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فأما العقيدة فتتضمن الأصول العظيمة التالية:

1. بيان الغاية من الخلق – وهي العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وبيان أن العبادة حق الله وحده، كما في حديث معاذ الذي رواه البخاري ومسلم[1].

2. التعريف بأصول الاعتقاد، ورأس ذلك أركان الإيمان الستة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وأما الشريعة فتتضمن تفاصيل العبادات وكيفياتها، من مأمورات ومنهيات، وبيان ما أحل الله لهم وما حرم عليهم.

وليس ثمة طريق لدخول الجنة والنجاة من النار غير الطريق الذي جاء به النبي ﷺ، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

فمن جاء بعبادة لم يرشد إليها النبي ﷺ فقد زاد في دين الله ما ليس منه، وعبادته مردودة عليه غير مقبولة، وكل عبادة لم يفعلها النبي ﷺ فهي بدعة، لقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا[3] ما ليس منه فهو رد»[4].

---

(1) رواه البخاري (5967)، ومسلم (30).

(2) سورة الأنعام: 153.

(3) المقصود بالأمر هو الدين.

(4) رواه البخاري (2697)، ومسلم (1718) عن عائشة رضي الله عنها.

وفي رواية: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[1].

ولذا فإن الخير كل الخير في اتباع النبي ﷺ والاقتداء به، والشر كل الشر في مخالفته والبعد عن شرعه وما جاء به.

---

(1) رواه مسلم (1718).

المبحث الثامن: بيان شروط شهادة أن محمدًا رسول الله

لما كانت شهادة « لا إلـه إلا الله، محمدا رسول الله » هي لب الدين وأساس الملة؛ وكان تحقيقها شرطًا لدخول الجنة والنجاة من النار؛ فإنه ينبغي لمن كان قصده الله والدار الآخرة أن يعلم شروط تلك الشهادة، ومن ثم يعمل بها ويحققها.

وقد أشار الله تعالى إلى أن القيام بشروط كلمة التوحيد « لا إلـه إلا الله، محمدٌ رسول الله » من أوصاف أهل الجنة، وذلك في كتابه العزيز في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾ في سورة المعارج، وهذه الآية وإن كان المقصود بها عموم الشهادات؛ فإن شهادة « أن لا إلـه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله » هي أولى الشهادات بالتحقيق، والذين يعنينا في هذا البحث هو الشطر الثاني من تلك الشهادة، وهو شهادة « أن محمدًا رسول الله ».

وشهادة أن محمدًا رسول الله لها شروط، لا ينتفع قائلها إلا بتحقيقها[1]، وهي:

الأول: العلم بمعناها، وهو الإيمان بأنه رسول من عند الله حقًّا، والانقياد لشريعته.

الثاني: استيقان القلب بها، ودليله قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾[2].

---

(1) انظر «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة»، تأليف الشيخ حافظ الحكمي، ص39، الناشر دار المؤيد.

(2) سورة الحجرات: 15.

الثالث: الانقياد لها ظاهرًا وباطنًا، وذلك بالقيام بحقوق النبي ﷺ[1]، ودليل الانقياد قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[2].

رابعًا: القبول لها، فلا يرد شيئًا من لوازمها ومقتضياتها.

خامسًا: الإخلاص فيها وضده الشرك.

سادسًا: الصدق فيها وضده الكذب والنفاق، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾، وقال النبي ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه، إلا حرمه الله على النار»[3].

سابعًا: المحبة لها ولأهلها، والمعاداة لمن أبغضها.

ثامنًا: الكفر بما يناقضها.

---

(1) القيام بحقوق النبي ﷺ يعتبر من مقتضيات شهادة أن محمدًا رسول الله، وسيأتي بيان تلك الحقوق قريبا إن شاء الله.

(2) سورة لقمان: 22.

(3) رواه البخاري (128) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

الفصل الثاني

مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ الأربعة عشرة

الإيمان الصادق بالنبي ﷺ يقتضي أمورًا عدة، فليس الإيمان بالنبي ﷺ هو مجرد التصديق بأنه نبي أو أنه رسول، أو أنه قائد عظيم، وأنه يتحلى بأخلاق عظيمة، ويقف الأمر عند ذلك، كما يظن بعض الناس، كلا، بل الإيمان الصحيح الكامل بالنبي ﷺ يقتضي أربعة عشر أمرًا:

1. معرفة اسمه ونسبه، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من ولد إسماعيل وإسماعيل من ولد إبراهيم عليه السلام.

ويكفي من هذا معرفة اسمه، محمد.

2. الإيمان بنبوته ورسالته، وأنه نبيٌ رسولٌ من عند الله حقًّا وصدقًا.

3. الإيمان ببشريته وأنه عبد لله، لا يُعبَد، وقد جاء التصريح بذلك في آيات كثيرة[1]، كقوله تعالى في أول سورة الإسراء: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾، وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»[2].

---

(1) يراجع «المعجم المفهرس لألفظ القرآن»، مادة «عبد» و «عبدنا» و«عابد» ونحوها.

(2) رواه البخاري (3445) واللفظ له، وأحمد (1/ 23)، والدارمي (2787).

4. القيام بحقوقه ﷺ السبعة عشرة، وعلى رأسها تصديقه، والانقياد لشريعته، بفعل ما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وسيأتي تفصيل الكلام في بيان حقوق النبي ﷺ في جزء الحقوق.

5. الإيمان بما صح في سيرته من الأخبار الدالة على سيرته الحميدة، وجهاده في دعوته، وقد أُلِّف في السيرة كتبٌ كثيرة، أشهرها كتاب: «سيرة ابن إسحاق» لمحمد بن إسحاق بن يسار، وكذا: «الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية» لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، و «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» لابن سيد الناس، وكتاب: «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير رحمه الله، رحمهم الله جميعًا، وقد ألف د. أكرم ضياء العمري حفظه الله في صحيح السيرة النبوية كتاب «السيرة النبوية الصحيحة».

6. الإيمان بما جاء من صفاته الخَلقية والخُلُقية، كصفة طوله وهيئته ومشيته، وصفة وجهه الشريف وجمال خلقته، وكذا ما حباه الله من أخلاق عظيمة لم تجتمع لأحد غيره، كالصدق والأمانة والرحمة وصلة الرحم والعفو وغيرها، وقد صنف في صفاته الخَلقية والخُلُقية عدة مصنفات، منها كتاب: «الشمائل المحمدية» لأبي عيسى الترمذي، وكتاب: «الأنوار في شمائل النبي المختار» للحسين بن مسعود البغوي، وكتاب: «أخلاق النبي ﷺ وآدابه» لأبي القاسم الأصبهاني، وكتاب: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، رحمهم الله جميعًا.

وقد صنف بعض المتأخرين كتبًا جامعة لأقوال المتقدمين في هذا الباب مثل: «موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، وتقع في اثني عشر مجلدًا، وكتاب: «الصحيح المسند من الشمائل المحمدية» لأم عبد الله الوادعية.

7. الإيمان بما جاء من خصائصه، سواء الذاتية والشرعية، وقد صُنف في هذا عدة مصنفات، منها كتاب: «الخصائص الكبرى» لجلال الدين السيوطي، وكتاب: «خصائص النبي ﷺ» لسراج الدين بن الملقن، وكتاب: «بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام، رحمهم الله جميعًا، وكذا كتاب: «كشف الغمة ببيان خصائص رسول الأمة ﷺ»، وهو أجمع تلك الكتب، وسوف نستعرض على سبيل الإجمال هذين النوعين من الخصائص في باب: بيان عظم قدره ﷺ إن شاء الله.

8. الإيمان بما جاء من دلائل نبوته ﷺ، وقد تقدم ذكر الكتب الجامعة في هذا الباب في المبحث الخامس من المباحث المتعلقة بالإيمان بالنبي ﷺ.

وقد ألف عماد الدين بن كثير كتابًا أسماه «شمائل الرسول ﷺ ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه» جمع فيه أحاديثَ تتعلق بالمواضيع الثلاث المتقدمة، وأودعه في كتابه الكبير «البداية والنهاية».

9. الإيمان بأنه خاتم النبيين، ورسالته خاتم الرسالات، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

والدليل من السنة على أن محمدًا ﷺ هو خاتم النبيين حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي... » الحديث[2].

(1) سورة الأحزاب: 40.

(2) رواه أبو داود (4252) وأحمد (5/ 278)، وصححه الألباني، وكذا محققو المسند وقالوا: على شرط مسلم. وقد جاءت هذه اللفظة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب في المسند (2/ 103) ولفظها: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليكونن قبل المسيح الدجال كذابون ثلاثون أو أكثر. وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مَثَلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنا بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟

قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[1].

10. الإيمان بأن رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع، كشريعة عيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام، ومهيمنة عليها كلها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، فلا يجوز التعبد لله بغير شريعة الإسلام مطلقًا.

11. الإيمان بأنه بعد ظهور دين الإسلام؛ لا دين مقبول عند الله إلا دين الإسلام، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

ومن السنة قوله ﷺ: والذي نفس محمد بيده؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار[2].

12. الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها، وترك أمته على البيضاء، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3].

---

(1) رواه البخاري (3535) ومسلم (2286) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) رواه مسلم (153) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم ذكره.

(3) سورة المائدة: 3.

ومن السنة حديث عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمدًا كتم شيئًا مما أُنزل عليه فقد كذب، والله يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[1] الآية.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علمًا[2].

وقد شهد الصحابة للنبي ﷺ في حجة الوداع بأنه بلغ الدين، وكان عددهم نحوًا من أربعين ألفًا، فإنه لما قال لهم النبي ﷺ: «تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟

قالوا: **نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.**

فقال بإصبعه السبابة؛ يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات»[3].

13. الإيمان بعموم رسالته إلى الإنس والجن، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[4]، وقوله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[5].

ومما ينبغي التنبيه إليه هو أن لفظة « الناس » تعم الإنس والجن، كما دل على هذا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[6]، فلفظة الناس في الآية يقصد بها الإنس والجن، كما يقصد بها خصوص الإنس، وهذا بحسب سياق الكلام.

(1) رواه البخاري (4612).
(2) رواه أحمد (5/ 153)، وحسنه محققو «المسند».
(3) خرجه مسلم (1217) عن جابر رضي الله عنه.
(4) سورة الأعراف: 158.
(5) سورة الأنبياء: 107.
(6) سورة الناس آية: 5 – 6.

وقد جاء ذكر إثبات دعوة النبي ﷺ للجن إلى الإسلام في سورة «الجن»، وأتى بعض الجن فبايعوا النبي ﷺ على الإسلام، ونزلت بسبب هذا بعض الآيات من سورة الأحقاف وهي قوله: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ **سورة الأحقاف آية: 30 - 31.**

والدليل من السنة على عموم رسالته حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوتيت خمسًا لم يؤتهن نبي كان قبلي؛ وذكر منها: وبعثت إلى الأحمر والأسود»[1].

وقد قام النبي ﷺ بدعوة الناس كافة كما أمره ربه، فدعا عشيرته الأقربين، ثم كاتب ملوك العرب والفرس والروم، وكاتب النجاشي ملك الحبشة، ودعا الجن إلى الإسلام، وغزا من أجل تسهيل الطريق أمام الدعوة، ثم سار صحابته على سيرته من بعده، فدعوا إلى الله تعالى، وحفظوا السنة والقرآن، وغزوا المرتدين، وقاتلوا من ادعى النبوة، وفتحوا الآفاق، ففتحوا الشام ومصر والمغرب، وفتحوا خراسان، ونشروا التوحيد في كل مكان، وهدموا الأصنام، وفعلوا وفعلوا مما هو مدون في بطون كتب التاريخ والحديث، فرحمهم الله وجزاهم خيرًا، وجعل ما قدموا وما قدمت الأجيال بعدهم في موازين حسناتهم يوم القيامة.

---

(1) رواه أحمد (5/ 145)، وصححه محققو «المسند».

14. الإيمان بعصمته ﷺ، والنبي ﷺ معصوم[1] من خمسة جوانب؛

1) معصوم في مجال التبليغ.

2) معصوم من الشرك.

3) معصوم من كبائر الذنوب.

4) معصوم في نسبه الذي تناسل منه من السفاح.

5) معصوم من رذائل الأخلاق.

الجانب الأول: عصمته في مجال التبليغ من الخطأ والنسيان

فأما عصمته في مجال التبليغ والرسالة من الخطأ فإنه يعتبر من الضرورات؛ إذ أن الرسل هم الوسائط في التبليغ بين الله وبين عباده، فبهم يهتدي البشر إلى عبادة الله سبحانه وتعالى التي يرتضيها، فلهذا أوجب الله العصمة لكافة أنبيائه ورسله في هذا الجانب لتصل الرسالة كاملة غير منقوصة ولا محرفة، فتقوم الحجة على العباد، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2].

ومن الأدلة كذلك على عصمة النبي ﷺ في مجال التبليغ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

والدليل من السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لا أقول إلا حقًّا».

---

(1) العصمة في اللغة هي المنع والوقاية، انظر «لسان العرب».

(2) سورة النجم آية: 3 – 4.

قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله.

قال: «إني لا أقول إلا حقا»[1].

وقد أجمعت الأمة على عصمته في مجال التبليغ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه، كما قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[2].

وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة.

والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين[3].

وقد عقد القاضي عياض رحمه الله فصلًا كاملًا بعنوان: «فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته مَن آذاه»، وذلك في كتابه: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» ذكر فيه نحو عشرين قصةٍ وقعت للنبي ﷺ، تدل على وقاية الله لنبيه من أذى الكفار حتى بلّغ رسالة ربه، منها قصته لما اجتمعت قريش على قتله، فخرج عليهم من بيته، وخلف مكانه علي بن أبي طالب، فخرج ولم يَرَوه، وقصته وهو في طريق الهجرة لما خرج المشركون في طلبه فاختبأ في الغار

(1) أخرجه أحمد (2/ 340)، والترمذي (1990)، وقال: حديث حسن صحيح.

(2) سورة البقرة آية: 136 - 137.

(3) «مجموع الفتاوى» (10/ 289-290)، باختصار.

مع أبي بكر، ثم لما أدركه سراقة بن جعشم دعا عليه النبي ﷺ فساخت ركب فرسه فلم يستطع أن يدركه، وغيرها من القصص، فمن أراد التوسع فليراجع الفصل المذكور.

ومن كتب المتأخرين في هذا الباب كتاب: «محاولات اغتيالات النبي ﷺ» لعبد المنعم الهاشمي[1].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير آية المائدة:

ومن عصمة الله لرسوله؛ حِفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة، ونصب المحاربة له ليلًا ونهارًا، بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيسًا مطاعًا كبيرًا في قريش، فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذًى يسيرًا، ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة، فلما صار إليها منعوه من الأحمر والأسود.

وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر، فحماه الله منهم وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به وحماه منه، ولهذا أشباه كثيرة جدًّا يطول ذكرها. انتهى باختصار.

الجانب الثاني: عصمته من الشرك

أما عصمته من الشرك؛ فقد عُصم النبي ﷺ منه قبل البعثة وبعد البعثة من باب أولى، فأما قبل البعثة فقد دلت النصوص الثابتة على أن النبي ﷺ لم

---

(1) الناشر مكتبة البخاري، الكويت.

يسجد لصنم قط أو استلمه أو غير ذلك من أمور الشرك التي كان يفعلها قومه، فقد كان يعرف الله بفطرته، وكان يتعبد الله في غار حراء سنين عديدة، كيف لا وقد استخرج الله حظ الشيطان منه، وذلك في حادثة شق صدره ﷺ، وقد حصلت للنبي ﷺ مرتين؛ الأولى إذ كان صغيرًا، والثانية في الحجر قبل أن يعرج به، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة[1]، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لَأَمَه[2]، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره[3] - فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»[4].

فهذا الحديث نص في إخراج حظ الشيطان من النبي ﷺ إذ كان غلاما، فدل هذا على عصمته من الشرك.

والثانية قبيل العروج به إلى السماء، أتاه ملك، فشقه من النحر إلى أسفل البطن، ثم غُسِل البطن بماء زمزم حتى أنقى جوفه، ثم أتي بطست من ذهب قد ملئ حكمة وإيمانًا، فغسل قلبه، ثم ملأه إيمانًا وحكمة، ثم أُتي بدابة البراق، فعُرج به إلى السماء[5].

---

(1) العَلقة هي قطعة دم متجمدة. انظر «النهاية».

(2) أي ضمه وأعاده كما كان.

(3) أي مرضعته، والمشهور أن اسمها حليمة السعدية.

(4) رواه مسلم (162).

(5) رواه البخاري (3207) عن أنس بن مالك عن مالك بن أبي صعصعة، ومسلم (164) عن أنس عن أبي ذر.

روى ابن أبي شيبة عن الحسن في قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، أي: ملئ حكمًا وعلمًا[1].

ويكفيك في الدلالة على نفور النبي ﷺ من الشرك قبل البعثة ما جاء في قصة بحيرا الراهب أنه استحلف النبي ﷺ باللات والعزى حينما لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب، فقال بحيرا للنبي ﷺ: يا غلام، أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسالك عنه.

فقال النبي ﷺ: لا تسلني بالات والعزى شيئًا، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئا قط[2].

وقد عقد بعض من صنف في دلائل النبوة فصلًا خاصًّا بهذا الموضوع، وذكر فيه العديد من الأحاديث والشواهد، فليراجعها من أراد الاستزادة[3].

الجانب الثالث: عصمة نسبه الذي تناسل منه من السفاح[4]

لقد حمى الله تبارك وتعالى أصول نبينا من سفاح الجاهلية، فلم يشب نسبه شيء من ذلك، لا من جهة آبائه ولا من جهة أمهاته، ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلام[5].

---

(1) برقم (31681)، كتاب الفضائل، باب ما أعطى الله تعالى محمدًا ﷺ.

(2) رواه البيهقي في « الدلائل » (2/ 27).

(3) انظر مثلا كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي، فصل «باب ما جاء في حفظ الله تعالى رسوله ﷺ في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها، لما يريد به من كرامته برسالته، حتى بعثه رسولًا».

وكذا «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني، فصل «ذكر ما خصه الله ﷻ به من العصمة، وحماه من التدين بدين الجاهلية».

(4) أي الزنا.

(5) بتصرف يسير من «معارج القبول» للحكمي، باب مولده ﷺ، ص (1051)، الناشر دار ابن القيم.

والدليل على هذا قول النبي ﷺ كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يلتق أبواي على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبًا، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»(1).

وعن أبي جعفر الباقر في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية.

قال: وقال النبي ﷺ: «إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح»(2).

وفي لفظ(3): «إنما خرجت من نكاح، لم أخرج من سفاح من لدن آدم، لم يصبني سفاح الجاهلية».

الجانب الرابع: عصمة من كبائر الذنوب

أما عصمته ﷺ من الكبائر فسيرة النبي ﷺ شاهدة على هذا، سواء قبل البعثة أم بعدها، فإنه لم يشرب الخمر قط، ولم تمس يده يد امرأة قط فضلًا عما سوى ذلك، ولم يكذب قط، كما قال ﷺ: «لا أقول إلا صدقًا»، وكيف تقع منه الكبيرة وقد قال ﷺ لصحابته: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»(4).

---

(1) أخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة »، ص 24 من عدة طرق، وذكر السيوطي له شواهد عدة في « الخصائص الكبرى » (1/ 63، 66). (نقلا من « حقوق النبي ﷺ »، ص 138).

(2) رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسير الآية، وكذا البيهقي في «الكبرى» (7/ 190).

(3) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه»، كتاب الفضائل (31632)، والطبراني في الأوسط (4728)، وقال الألباني في «الإرواء» (6/ 331): وهذا مرسل صحيح الإسناد.

(4) رواه البخاري (5063).

الجانب الخامس: عصمته من رذائل الأخلاق

(من المعروف عن سيرته ﷺ قبل البعثة وبعدها أنه متصف بكل خلق فاضل من صدق وأمانة وبر وصلة رحم وإحسان وجود إلى غير ذلك من محاسن الأخلاق التي جبله الله عليها منذ نشأته، ولذا فقد فطره الله على كل خلق فاضل كريم، وجمع له خصال الخير كلها، فلم يكن يدعى إلا بالأمين)[1]، ومن أدلة ذلك قول خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حينما أتاها النبي ﷺ خائفًا بعد أن لقيه جبريل في غار حراء قبل البعثة فقال لها: لقد خشيت على نفسي؛ فقالت له: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدُق الحديث، وتحمل الكَل[2]، وتَكسِب المعدوم[3]، وتَقري الضيف[4]، وتعين على نوائب الحق[5].

والكلام في باب خلق النبي ﷺ يطول جدًّا، ولكن يكفي القول بأنه ليس ثمة صفة حميدة إلا وقد تحلى بها النبي ﷺ، وما من خلق سيء إلا وقد نزه منه النبي ﷺ، ويكفي في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[6].

بل إن خلقه الجميل قد أتى ذكره في التوراة والإنجيل، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

---

(1) باختصار وتصرف يسير من « حقوق النبي ﷺ »، ص 147.

(2) تحمل الكل أي تحمل عن الناس ما يثقلهم من أعباء الدنيا. انظر «النهاية».

(3) تكسب المعدوم أي تعطي المعدوم وهو الذي لا مال عنده. انظر «النهاية».

(4) تقري الضيف أي تكرمه.

(5) رواه البخاري (4953)، ومسلم (160).

(6) القلم: 4.

قال: أجل والله، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا[1] للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب[2] في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إلـٰه إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا[3].

فالحاصل أن الله عصم الله نبيه ﷺ مما ينقصه في دينه أو خلقه أو نسبه، حتى لا يبقى لمنتقص حجة يتعلق بها لتنفير الناس من رسول الله ﷺ.

تنبيه على إشكال

أما قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ ﴾ فلا يشكل على ما تقدم من عصمة النبي ﷺ من الشرك ومن الكبائر، فإن معنى الضلال هنا هو الغفلة كما في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾، أي وجدك غافلًا عما يُراد بك من أمر النبوة، قاله الشوكاني والقرطبي في تفسير الآية.

وقيل أن معنى (ضالًا) أي لم تكن تدري ما القرآن ولا الشرائع، فهداك الله إليها، وهو بمعنى قوله: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ ﴾، قاله ابن كثير وغيره.

وقد أورد علماء التفسير غير ذلك من المعاني في تفسير الآية.

---

(1) تقدم بيان معناه.

(2) تقدم بيان معناه.

(3) تقدم تخريجه.

فصل في بيان مسألة وقوع الخطأ منه ﷺ[1]

ينبغي لفهم مسألة وقوع الخطأ من النبي ﷺ معرفة عشرة ضوابط:

1. أن الخطأ الذي يجوز في حقه ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: خطأ في الجانب الديني أو السلوكي.

ثانيًا: خطأ في الجانب الدنيوي البحت.

ثالثًا: خطأ في المسائل القضائية التي لا علم له بحقيقة أمر المتخاصمين فيها إلا ما ظهر له منها.

2. أن الأخطاء التي وقعت من النبي ﷺ في الجانب الديني أو السلوكي نادرة جدًّا، ولو ذهبنا نستقرىء كتب السيرة والسنة لوجدناها معدودة على الأصابع، وهذا من حكمة الله تعالى لإثبات أن النبي ﷺ بشر كغيره، يخطئ كما يخطئون، وينسى كما ينسون[2].

---

(1) انظر كتاب « حقوق النبي ﷺ على أمته »، ص 155 – 160.

(2) ومن ذلك ما جاء في قصة عبد الله بن أم مكتوم لما أتى النبي ﷺ ليسأله فألح عليه، وكان النبي ﷺ يخاطب بعض رؤوس قريش ممن يطمع في إسلامهم، فعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر، فأنزل الله عتابه عليه في قوله: ﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى﴾.

وكذلك لما أذن لطائفة من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك، ولم يكن له أن يأذن لهم إلا بوحي من الله، فعاتبه الله في ذلك بقوله: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾. «التوبة:43».

وكذلك لما أخذ من أسارى بدر الفدية، وقد كان الأولى ألا يفعل ذلك حتى يؤمر به، فأنزل الله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾. « الأنفال: 67 – 68 »

وهناك حكمة أخرى، وهي أن النسيان والسهو في الصلاة لحكمة استنان المسلمين به، والله أعلم[1].

ولهذا كان القول الذي عليه أكثر علماء الإسلام والذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة؛ أن الخطأ يمكن وقوعه من النبي ﷺ، ولكن في غير شرك ولا كبيرة ولا في مسألة تبليغ الوحي[2].

3. أن الله لا يقره على هذا الخطأ، وإنما يوجهه وربما يعاتبه، كما سيأتي بيانه.

4. أن التوبة حاصلة من النبي ﷺ من الذنب بخصوصه، ومن جميع الذنوب والخطايا عمومًا، فقد كان النبي ﷺ يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة[3].

5. أن الله وعده بالمغفرة، كما في قوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[4].

6. أن الخطأ يقع منه ﷺ على سبيل الاجتهاد وليس على سبيل الرغبة في المعصية أو الحط من أقدار الآخرين، ولو تأملنا في الأخطاء التي وقعت منه ﷺ لرأينا صدق ذلك.

7. أن تلك الأخطاء لا تحط من قدره كنبي ولا ينقص من منزلته وقدره.

8. أن الأخطاء الدنيوية البحتة التي لا تمس الدين والسلوك لا تمس في قدره ولا عصمته كنبي، فمن ذلك أنه لما قدم المدينة وجدهم يلقحون النخل،

(1) انظر « منهاج السنة النبوية » (1/ 472).

(2) وانظر « مجموع الفتاوى » (4/ 319).

(3) انظر صحيح البخاري (6307).

(4) سورة الفتح: 2.

فقال: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا»، فتركوا تلقيح النخل، فنقص الثمر، فذكروا ذلك له، فقال: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر»[1].

9. أما الخطأ في المسائل القضائية لمعرفة الظالم من المظلوم فممكن في حقه ﷺ، لأن النبي ﷺ بشر، لا يعلم الغيب، وإنما يقضي بناء على ما سمعه من حجج المتخاصمين، وشهادة الشهود، ويمين الحالف، وغير ذلك من الأمور القضائية، وقد بين ذلك النبي ﷺ -أي في إمكانية وقوع الخطأ منه في القضاء - في قوله: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن[2] بحجته من بعض، فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار»[3].

10. أن هذا القول الذي ذكرناه في مسألة الخطأ منه عليه الصلاة والسلام هو قول أهل السنة، وهو وسط بين قول أهل الإفراط وأهل التفريط، أهل الإفراط - كالرافضة - الذين يقولون بعصمة النبي ﷺ عصمة مطلقة، وهذا فيه نوع غلو به عليه الصلاة والسلام، وأهل التفريط - كبعض فرق الخوارج - الذين يقولون بجواز إقدامه على الصغائر والكبائر، عافانا الله من كلا القولين[4].

(1) خرجه مسلم (2362) والطبراني في «الكبير» (4/ 280) عن رافع بن خديج، ولفظ الطبراني: وإذا أمرتكم بشيء من دنياكم... الحديث.

(2) اللحن هو الميل عن جهة الاستقامة، والمقصود أن بعض الناس يلحن بكلامه فلا يفطن له القاضي فيقضي له، وهو كاذب في نفس الأمر. انظر «النهاية».

(3) خرجه البخاري (7169)، ومسلم (1713) عن أم سلمة رضي الله عنها.

(4) بتصرف من «حقوق النبي ﷺ على أمته»، ص 159 - 160.

الفصل الثالث

الدلائل الخمسون على عظم قدر النبي ﷺ

لقد أنعم الله على نبينا محمد ﷺ بنعم عظيمة، حتى صار أعظم الناس قدرًا، والدلائل على عِظم قدر النبي محمد ﷺ خمسون دليلًا:

1. إصطفاء الله واختياره له ليقوم بأعباء الرسالة من بين سائر الناس، ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾.

2. أن الله تعالى جمع له بين النبوة والرسالة، وقد تقدم ذكر الفرق بينهما.

3. أنه من أولي العزم من الرسل، وأولو العزم من الرسل هم محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح وغيرهم، عليهم الصلاة والسلام، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن؛ في سورة الأحزاب وفي سورة الشورى، في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾[1]، وكذا في قوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[2].

(1) سورة الأحزاب، الآية: 7.

(2) سورة الشورى: آية: 13، وانظر تقرير ابن كثير لهذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾.

4. ما اختصه الله به من آيات تفوق تلك التي آتاها الله غيره من الأنبياء، وآمن عليها أكثر ما آمن عليه البشر، وأعظمها القرآن الكريم، ومن المعلوم أن آيات الأنبياء انتهت بموتهم، أما القرآن فآية خالدة.

كذلك فإن في الآيات التي أوتيها ما هو أظهر في التدليل على نبوته من آيات غيره، فتفجير الماء بين أصابعه مثلا أبلغ في خرق العادة من تفجير الحجر لموسى عليه السلام؛ لأن جنس الأحجار مما ينفجر منه الماء، أما الأصابع فليست من جنس ما ينفجر منه الماء، فصار انفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام.

وعيسى عليه السلام أبرأ الأكمه – وهو الذي ولد أعمى – مع بقاء عينه في مقرها، أما رسول الله ﷺ فرد العين بعد أن سالت على الخد، وهذا أعظم من آية عيسى من وجهين: الأولى التئامها بعد سيلانها، والأخرى رد البصر إليها بعد فقده منها.

فعن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان «أنه أصيبت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطموها، فسألوا النبي ﷺ فقال: لا، فدعا به، فغمز عينه براحته، فكان لا يُدرى أي عينه أصيبت».

5. أن الله أنزل عليه أحسن كتبه وهو القرآن العظيم، ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾، كما أوحى إليه بالسنة التي هي أحسن الشرائع وأكملها وأيسرها، والسنة وحي من الله، وهي المشار إليها بالحكمة في قوله تعالى ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ يعني السنة، قاله الحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم، وقيل الفهم في الدين، ولا منافاة[1].

6. ومن دلائل عظمته ﷺ كون الله أتم به بنيان الأنبياء، ولهذا سمي بخاتم الأنبياء، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون به، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟

قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[2].

7. أن الله تعالى فضله على جميع الخلق أولهم وآخرهم، الأنبياء وغيرهم، فهو إمامهم وسيدهم، كما قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»[3]، وأنه أتقى الناس وأعلمهم بالله تعالى، كما قال ﷺ لصحابته: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»[4].

8. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى اتخذه خليلًا، والخلة درجة عالية من درجات المحبة، كما قال ﷺ: «وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلًا»[5].

9. ما اختصه الله به من حادثة الإسراء والمعراج، وتكليمه فوق السماوات، قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ

(1) تفسير سورة البقرة، الآية: 129.

(2) تقدم تخريجه.

(3) رواه مسلم (2278) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) رواه البخاري (5063).

(5) رواه مسلم (2383) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، وقد جاء ذكر حادثة الإسراء والمعراج في حديث طويل رواه البخاري[1] ومسلم[2].

10. أن الله تعالى جمع فيه – أي النبي ﷺ – ما تفرق في غيره، وهو الخلة والكلام والنبوة والرسالة، والخلة هي أعظم المحبة، فهو خليل الله، والله خليله، وهو يشترك في هذا مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

11. أن الله جعله قدوة للناس ومثلًا أعلى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[3].

12. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ؛ حادثة شق صدره، واستخراج حظ الشيطان منه، وقد حصلت للنبي ﷺ مرتين، الأولى وهو غلام قبل البعثة، والثانية قبيل العروج إلى السماء، وقد تقدم ذكر القصتين عند الكلام على عصمته من الشرك.

13. أن الله أرسله للناس كافة، إنسهم وجنهم، بينما أرسل غيره من إخوانه الأنبياء إلى أقوامهم خاصة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾، وقال ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود»[4].

---

(1) برقم (3207).

(2) برقم (163).

(3) سورة الأحزاب 21.

(4) رواه أحمد (5/ 145)، وصححه محققو المسند.

14. أن الله تعالى أثنى على عِظم خُلُقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

قال في «الأضواء»: وقد أرشدت عائشة رضي الله عنها إلى ما يبيّن هذا الإجمال[2] حينما سُئلت عن خلقه ﷺ الذي امتُدح به فقالت: «كان خلقه القرآن»، تعني – والله تعالى أعلم – أنه ﷺ يأتمر بأمره وينتهي بنواهيه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾.

وكما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾.

وكما قال ﷺ: «لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».

فكان هو ﷺ ممتثلًا لتعاليم القرآن في سيرته كلها، وقد أُمرنا بالتأسي به صلوات الله وسلامه عليه، فكان من أهم ما يجب على الأمة معرفة تفصيل هذا الإجمال ليتم التأسي المطلوب.

وقد أخذت قضية الأخلاق عامةً وأخلاقه ﷺ خاصة محل الصدارة من مباحث الباحثين وتقرير المرشدين، فهي بالنسبة للعموم أساسُ قِوام الأمم، وعامل الحفاظ على بقائها، كما قيل:

إنَّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت فإنْ همُ ذهبتْ أخلاقهم ذَهبوا

وقد أجمل ﷺ بعثته كلها في مكارم الأخلاق في قوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

---

(1) سورة القلم: 4.

(2) يقصد بالمجمل لفظ الخلق الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

وقد عُنِي أصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله تعالى عليهم بقضية أخلاقه بعد نزول هذه الآية، فسألوا عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقالت: «كان خلقه القرآن»، وعُنِي بها العلماء بالتأليف كـ «الشمائل» للترمذي.

أما أقوال المفسرين في الخلق العظيم المعني هنا فهي على قولين لا تعارض بينهما، الأول أنه **الدين**، قاله ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم.

والآخر قول عائشة «كان خلقه **القرآن**»، والقرآن والدين مرتبطان، ولكن لم يزل الإجمال موجودًا، وإذا رجعنا إلى بعض الآيات في القرآن نجد بعض البيان لما كان عليه ﷺ من عظيم الخلق، مثل قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، وقوله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، وقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾، وقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾، ومثل ذلك من الآيات التي فيها التوجيه أو الوصف بما هو أعظم الأخلاق.

وإذا كان خلقه ﷺ هو القرآن فالقرآن يهدي للتي هي أقوم.

والمتأمل للقرآن في هديه يجد مبدأ الأخلاق في كل تشريع فيه، حتى العبادات، ففي الصلاة خشوع وخضوع وسكينة ووقار، «فأتوها وعليكم السكينة والوقار».

وفي الزكاة مروءة وكرم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾.

وفي الصيام: «من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

وقوله ﷺ: «الصيام جنة».

وفي الحج: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾.

وفي الاجتماعيات خوطب ﷺ بأعلى درجات الأخلاق، حتى ولو لم يكن داخلًا تحت الخطاب، لأنه ليس خارجًا عن نطاق الطلب، ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾، ثم يأتي بعدها: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة الإسراء آية: 23 - 24، مع أن والديه لم يكن أحدهما موجودًا عند نزولها، إلى غير ذلك من التعاليم العامة والخاصة التي اشتمل عليها القرآن.

وقد عُني ﷺ بالأخلاق حتى كان يوصي بها المبعوثين في كل مكان، كما أوصى معاذ بن جبل رضي الله عنه بقوله: «اتق الله حيث ما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

وقال ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما تشاء».

أي إن الحياء وهو من أخص الأخلاق سياج من الرذائل، وهذا مما يؤكد أن الخلق الحسن يحمل على الفضائل ويمنع من الرذائل، كما قيل في ذلك:

إن الكريم إذا تمكن من أذى	**جاءته أخلاق الكرام فأقلعا**
وترى اللئيم إذا تمكن من أذى	**يَطغى فلا يُبقي لصلح موضعا**

وقد أشار القرآن إلى هذا الجانب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

تنبيه

إن من أهم قضايا الأخلاق بيانه ﷺ لها بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

مع أن بعثته بالتوحيد والعبادات والمعاملات وغير ذلك، مما يجعل الأخلاق هي البعثة، وبيان ذلك في قضية منطقية قطعية، مقدمتها حديث صحيح وهو «الدين حسن الخلق»، والكبرى آية كريمة، قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الدين كله بأقسامه الثلاثة، الإسلام من صلاة وزكاة إلخ، والإيمان بالله وملائكته إلخ، ومن إحسان في وفاء وصدق وصبر وتقوى الله تعالى، إذ هي مراقبة الله سرًّا وعلنًا، وقد ظهرت نتيجة عِظم هذه الأخلاق في الرحمة العامة الشاملة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾.

وكذلك للأمة يوم القيامة كما قال ﷺ: «أقربكم مني منزلة يوم القيامة؛ أحاسنكم أخلاقًا».

فمكارم الأخلاق رحمة للعالمين في الدّنيا، ومنزلة عليًا للمؤمنين في الآخرة. انتهى باختصار يسير.

15. أن الله رفع ذِكره رفعًا عظيمًا، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾[1]، فجعل اسمه جزءًا من شهادة التوحيد، «أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله»، ولا يذكر الله تعالى إلا وذكر معه النبي ﷺ، في الأذان والإقامة والخطب وفي الصلاة – في التشهد والتحيات – وكثير من الأذكار والأدعية، فذكر النبي ﷺ يدوي في كل مكان من الأرض، وليس بشر في الدنيا يُذكر ويُثنى عليه كما يذكر النبي ﷺ ويثنى عليه.

فذكره ﷺ دائم لا ينقطع، فمنارات المساجد تهتف بذكره كل يوم خمس مرات في نداء الأذان والإقامة، كما قال الأول:

ألم تـــر أن الله أخلـــد ذكـــره   إذا قـال في الخمـس المـؤذن أشـهد
وشـــق لـــه مـــن اسـمه ليجلـه   فـذو العـرش محمـود وهـذا محمـد

16. الأمر بالصلاة والسلام عليه ﷺ في عموم الأحوال، وفي أحوال خاصة كالتشهد في الصلاة وفي يوم الجمعة وفي الخطبة وفي صلاة الجنازة وبعد الأذان وعند الدعاء، وغيرها من المواطن، وترتيب الأجر العظيم على ذلك، وهذا تنبيه على شريف منزلته وعظم قدره، إذ أمر الله الملائكة بالصلاة والسلام عليه، ثم أمر تعالى المؤمنين بالصلاة والسلام عليه، فاجتمع أهل العالم العلوي والسفلي بالصلاة والتسليم عليه.

---

(1) سورة الشرح: 4.

17. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما ميزه الله تعالى به من شرف النسب، وكريم الحسب، وصفاء النشأة، قال ﷺ: «إن الله ﷻ اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[1].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: «من أنا؟

قالوا: أنت رسول الله.

فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا، فأنا خيركم بيتًا وخيركم نفسا»[2].

18. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما اختصه الله به من خصائص ذاتية وشرعية، والمقصود بالذاتية أي الخصائص التي تتعلق بذاته الشريفة، وأما الشرعية فهي ما اختصه الله به من أحكام شرعية لا يشاركه فيها أحد من الأمة.

وخصائص النبي ﷺ الذاتية متعددة، منها:

- أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه[3].

---

(1) رواه مسلم (2276) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(2) رواه أحمد (1/ 210) والترمذي (3608)، وحسنه الألباني، وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

(3) انظر صحيح البخاري (1147) ومسلم (737).

• ومنها ما جعل الله فيما انفصل من جسده من البركة، كعرقه ونخامته وشعره، وكذا فيما اتصل بجسده ولامسه كماء الوضوء، وقد كان الصحابة يبتدرون إلى ما انفصل من جسم النبي ﷺ ويباشرون به أجسامهم رجاء البركة، وهذا خاص بالنبي ﷺ، لم يفعله الصحابة مع غير النبي ﷺ في حياته ولا بعد مماته[1].

وأما خصائص النبي ﷺ الشرعية فمتعددة أيضًا[2]، منها:

• أنه لا يورَّث، ما تركه صدقة، وهذه خصيصة للأنبياء جميعًا، ودليل هذا قول النبي ﷺ: «لا تقتسم ورثتي دينارًا ولا درهمًا، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»[3].

• أن الصدقة محرمة عليه وعلى آل بيته، لحديث أبي هريرة أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «كخ كخ»، ليطرحها، ثم قال: «أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة»[4].

• جواز الوصال[5] في الصوم في حقه ﷺ، والدليل على هذا حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «لا تواصلوا.

قالوا: إنك تواصل؟

(1) انظر مثلا القصة التي رواها أنس، وهي في صحيح البخاري (171) ومسلم (1305).

(2) راجع للتوسع «ألفية السيرة النبوية» للعراقي.

(3) رواه البخاري (2776) ومسلم (1760) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) رواه البخاري (1491) ومسلم (1069).

(5) الوِصال هو أن يصل صيام اليوم باليوم الذي بعده، فربما صام يومًا أو يومين.

قال: لست كأحد منكم، إني أُطعم وأُسقى - أو أني أبيت أطعم وأسقى»[1].

• وهناك أيضًا أحكام خاصة به ﷺ متعلقة بالنكاح، كما جاء ذلك في آيات من سورة الأحزاب من آية 50 إلى آية 53، ومن ذلك أن الله أباح له الزواج من أكثر من أربع نسوة.

• ومن ذلك اختصاصه ﷺ بصحة نكاح من وهبت نفسها للنبي ﷺ بدون صداق وبدون إذن ولي ولا شاهدين، قال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

وقد استفاد أهل العلم من قصة نكاح النبي ﷺ من صفية سقوط شرط الولي والشاهدين في حقه ﷺ، لأنه نكحها بدون هذين الشرطين[3].

وأيضًا لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

• ومن أحكام النكاح المختصة به ﷺ أنه لا يجب عليه أن يقسم بين نسائه بالسوية في الليالي، ومع هذا فقد كان النبي ﷺ يقسم بينهن تطييبًا لخواطرهن، قال تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾.

---

(1) رواه البخاري (1961).

(2) سورة الأحزاب آية: 50.

(3) انظر القصة في صحيح البخاري (371).

قال ابن كثير رحمه الله: أي إذا علمن أن الله قد وضع عنكَ الحرج في القسْم، فإن شئت قسمت وإن شئت لم تقسم، ثم مع هذا تقسم لهن اختيارًا منك، فرحن بذلك واستبشرن به، وحملن جميلك في ذلك، واعترفن بمنتك عليهن في قسمتك لهن وتسويتك بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن[1].

19. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما اختصه الله به أمته من خصائص، ورؤوسها ثلاثة عشرة:

الأول: أن الله تعالى جعل أمته خير الأمم، واصطفاها من جميع الخلق، لتكون أمة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

وعن معاوية القشيري رضي الله عنه قال: سمعت نبي الله ﷺ يقول: «ألا إنكم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»[2].

الثاني: أن الله اجتباها لتكون الأمة الوسط الشاهدة على جميع الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلّغت؟

---

(1) «تفسير القرآن العظيم»، باختصار.

(2) رواه الترمذي (3001) وابن ماجه (4287)، وأحمد (5/ 3)، والبيهقي (9/ 5)، وحسن إسناده محققو المسند والألباني.

ولفظ الترمذي أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾، فذكره.

فيقول: نعم أي رب.

فيقول لأمته: هل بلغكم؟

فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي.

فيقول لنوح: من يشهد لك؟

فيقول: محمد ﷺ وأمته.

فتشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

والوسط العدل[1].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: وأرى أن الله – تعالى ذِكره – إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلو بالترهب، وقِيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها. انتهى.

الثالث: أنهم الآخرون في الدنيا، السابقون يوم القيامة في الحساب ودخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا»[2].

---

(1) رواه البخاري (3339).

(2) رواه البخاري (876)، ومسلم (855)، ورواه مسلم عن حذيفة أيضًا (856) ولفظه: الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق.

قال ابن حجر رحمه الله: أي الآخرون زمانًا الأولون منزلة، والمراد أن هذه الأمة - وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية - فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يُقضى بينهم وأول من يدخل الجنة. انتهى.

الرابع: ومن خصائص هذه الأمة أنهم أول من يجوز على الصراط يوم القيامة، مع النبي ﷺ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته»[1].

الخامس: ومن خصائص أمة محمد أنهم هُدوا ليوم الجمعة، ففي حديث أبي هريرة المتقدم: «...، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدًا، والنصارى بعد غد».

وذكر ابن حجر في معنى «فُرض عليهم» أي فُرض تعظيمه.

وقوله «هُدوا إليه» أي هدوا إليه اجتهادًا منهم، واختاره ابن حجر رحمه الله، واستدل بما رواه عبد الرزاق في «مصنفه»[2] وصححه عن محمد بن سيرين قال: جَمّع[3] أهل المدينة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة[4]، وهم الذين سموها الجمعة، فقالت الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى أيضًا مثل ذلك، فهلُم فلنجعل يومًا نجتمع ونذكر الله ونصلي ونشكره فيه، أو كما قالوا، فجعلوه يوم العروبة، وكانوا يسمون يوم الجمعة

(1) رواه البخاري (7437) ومسلم (182).

(2) كتاب الجمعة، برقم (5144).

(3) جمع بتشديد الميم أي صلوا الجمعة.

(4) أي سورة الجمعة.

يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زُرارة فصلى بهم يومئذ وذكّرهم، فسمَّوه الجمعة، حتى اجتمعوا إليه، فذبح أسعد بن زرارة لهم شاة، فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة، وذلك لقلتهم، أنزل الله في ذلك: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ سورة الجمعة آية: 9.

قال ابن حجر ﷺ: وهذا وإن كان مرسلا فله شاهد بإسناد حسن، أخرجه أحمد وأبو داود[1] وابن ماجه[2] وصححه ابن خزيمة[3] وغير واحد، من حديث كعب بن مالك قال: «كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة أسعد بن زرارة»، الحديث.

فمرسل ابن سيرين يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد.

ولا يمنع ذلك أن يكون النبي ﷺ علِمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن من إقامتها ثَـمّ[4]، فقد ورد فيه حديث عن ابن عباس عند الدارقطني، ولذلك جمّع بهم أول ما قدِم المدينة، كما حكاه ابن إسحاق وغيره، وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بجهتَي البيان والتوفيق.

وقيل في الحكمة في اختيارهم الجمعة وقوع خلق آدم فيه، والإنسان إنما خلق للعبادة، فناسب أن يَشتغل بالعبادة فيه، ولأن الله تعالى أكمل فيه الموجودات، وأوجد فيه الإنسان الذي ينتفع بها، فناسب أن يشكر على ذلك بالعبادة فيه. انتهى.

---

(1) برقم (1069).

(2) برقم (1082).

(3) انظر «صحيح ابن خزيمة» (3/ 112).

(4) أي في ذلك الوقت.

قال مقيده عفا الله عنه: ذكر ابن القيم في «زاد المعاد» ثلاثين خصوصية ليوم الجمعة.

السادس: ومن خصائص أمة محمد أنهم يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين[1] من أثر الوضوء، وبهذا يعرفهم النبي ﷺ من غيرهم[2].

السابع: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أن الله يدخل منهم الجنة سبعون ألفًا بغير حساب ولا عذاب، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين[3]، وفي زيادة: «مع كل ألف سبعون ألف، وثلاث حثيات من حثياته»[4].

الثامن: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أنهم نصف أهل الجنة، كما في حديث ابن مسعود[5].

التاسع: ومن أخص خصائص هذه الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة، ودليل هذا حديث كعب بن عاصم الأشعري، سمع النبي ﷺ يقول: «إن الله تعالى قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة»[6].

وقال أبو مسعود رضي الله عنه: «عليكم بالجماعة، فإن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة»[7].

---

(1) الغرة بياض في الوجه، والتحجيل بياض في القدم، وهاتين الكلمتين تستعملان في الفرس، ولكنهما استعيرتا هنا لوصف المؤمنين يوم القيامة، جعلنا الله منهم.

(2) انظر صحيح البخاري (136) ومسلم (246).

(3) انظر صحيح البخاري (5705) ومسلم (220).

(4) أخرجه الترمذي (2437) وأحمد (5/ 250) وابن ماجه (4286) عن أبي أمامة الباهلي، وصحح إسناده الألباني ومحققو «المسند».

(5) أخرجه البخاري (6528) ومسلم (221).

(6) رواه ابن أبي عاصم (82) وحسنه الألباني بشواهده كما في «السلسلة الصحيحة» (1331).

(7) رواه ابن أبي عاصم (85) وصححه الألباني في «ظلال الجنة».

العاشر: ومن خصائص أمة محمد مضاعفة أجرها، فعن ابن عمر ﭭ، عن النبي ﷺ قال: «مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء، فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟

فعملت اليهود.

ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟

فعملت النصارى.

ثم قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنصارى، فقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقل عطاءً؟

قال: هل نقصتكم من حقكم؟

قالوا: لا.

قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء»[1].

ومن دلائل مضاعفة أجور أمته أن الله فرض على النبي ﷺ ليلة أسري به خمسون صلاة في اليوم والليلة، ثم راجع ربه ليخفف عدد الصلوات، فما زال يخففها حتى بلغت خمسًا، ثم راجعه فقال: «هن خمس وهن خمسون، لا يبدل القول لدي»[2].

أي هي خمسون في الثواب.

---

(1) رواه البخاري (2268).

(2) رواه البخاري (349)، ومسلم (163) عن أبي ذر ﭬ.

الحادي عشر: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أنه لا يعمها الهلاك بجدب ولا غرق، فعن عامر بن سعد عن أبيه: «أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلًا، ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: سألت ربي ثلاثًا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة؛ سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسَّنة[1] فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»[2].

الثاني عشر: ومن أفضل خصائص أمة محمد ﷺ حسن الشريعة التي هديت إليها، فهي شريعة سمحة، حوت ما في الشرائع المتقدمة عليها من الخير، وطرحت ما في الشرائع المتقدمة عليها مما لا يلائمها، ومن هذا رفع الحرج، والعفو عن الخطأ والنسيان والإكراه وحديث النفس وغير ذلك من الميزات الحسنة العظيمة.

الثالث عشر: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أن الله يقيض لها من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة، ليُحفظ دينها على مر القرون، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[3].

الرابع عشر: ومن خصائص أمة محمد ﷺ بقاء طائفة منها على الحق إلى قيام الساعة، جعلنا الله والقارئين منهم، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»[4].

---

(1) السَّنة هي الجدب.

(2) رواه مسلم (2889).

(3) أخرجه أبو داود (4291)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (599).

(4) أخرجه البخاري (7311) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[1].

وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة»[2].

وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»[3].

وعن معاوية بن أبي سفيان، أن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة»[4].

وفي رواية أن عمير بن هانئ قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان على هذا المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله ﷻ وهم ظاهرون على الناس»[5].

وفي الباب أحاديث صحيحة عن زيد بن أرقم[6]، وأبي أمامة[7]، وعمران بن حصين[8]، والمغيرة بن شعبة[9].

---

(1) أخرجه مسلم (1920) والترمذي (2229) وابن ماجه (10)، وأحمد (5/ 279).

(2) أخرجه مسلم (1923) وأحمد (3/ 345)، والبيهقي (9/ 39).

(3) أخرجه الترمذي (2192)، وابن ماجه (6)، وابن حبان (1/ 261)، واللفظ لابن ماجه.

(4) أخرجه أحمد (4/ 93)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(5) أخرجه أحمد (4/ 101)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

(6) أخرجه أحمد (4/ 369).

(7) أخرجه أحمد (5/ 269).

(8) أخرجه أحمد (4/ 429، 437)، وأبو داود (2484).

(9) رواه مسلم (1921).

الخامس عشر: ومن خصائص أمة محمد ما اختصها الله به في كثير من الأحكام الشرعية المتعلقة بيسر التشريع، وأن الله أحل لها بعض ما حرم الله على من كان قبلها من الأمم، فعن جابر ﵁، أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[1].

تم الكلام في خصائص أمة محمد ﷺ، وسيعود السياق لدلائل عِظم قدر النبي ﷺ.

20. أن الله جعل لواء الحمد بيده ﷺ يوم القيامة، الذي ينضوي تحته جميع الأنبياء، فعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»[2].

فهذه الخصيصة وغيرها من الخصائص تدل على علو مرتبته ﷺ وعلو منزلته في الآخرة، إذ لا معنى للتفضيل إلا التخصيص بالمناقب والمراتب.

21. ومن دلائل عظم قدره أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وأول من يفيق[3].

---

(1) رواه البخاري (335) ومسلم (521).

(2) رواه الترمذي (3148، 3615) وابن ماجه (4308)، وصححه الألباني ﵀.

(3) انظر صحيح البخاري (2411، 2412)، ومسلم (2373).

22. ومن دلائل عظم قدره أنه صاحب الشفاعة العظمى لبدء الحساب، وهي أمر خصَّه الله تعالى به وشرفه به، إذ جعله الله شفيع الخلائق لبدء حساب العباد كلهم، مؤمنهم وكافرهم، حيث أن الناس يطول بهم الموقف يوم القيامة، فيذهبون إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند الله لبدء الحساب، ليرى كلٌّ سبيله إما إلى الجنة أو إلى النار، فيعتذر عنها الأنبياء من لدن نوح إلى عيسى عليهم السلام، ثم يذهبون إلى محمد ﷺ فيقول «أنا لها»، فيسجد تحت العرش ما شاء الله أن يسجد، ثم يقال له: «يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع»، فيشفع لأهل الموقف عند الله في بدء الحساب، فيقبل الله شفاعته، فيبدأ الحساب وفصل القضاء.

ولما كان شأن هذه الشفاعة عظيم؛ سماها أهل العلم بالشفاعة العظمى[1].

ومما يدل أيضًا على اختصاصه ﷺ بهذه الشفاعة حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، **وأعطيت الشفاعة**، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[2].

قال ابن تيمية رحمه الله: **وقد اتفق المسلمون على أنه** ﷺ **أعظم الخلق جاهًا عند الله، ولا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه، ولا شفاعة أعظم من شفاعته**[3].

---

(1) انظر حديث الشفاعة في صحيح البخاري (4712، 7410، 7439، 7440، 7510)، وصحيح مسلم (193، 195).

(2) رواه البخاري (335) ومسلم (521).

(3) «مجموع الفتاوى» (1/ 145).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، **وأول شافع، وأول مُشَفَّع**[1]»[2].

23. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن له يوم القيامة ثلاث شفاعات خاصة غير العظمى، وهما كالتالي؛ **الأولى**: شفاعته لعصاة المؤمنين من أهل الكبائر ممن استحقوا دخول النار ألا يدخلوها، وهي التي عناها النبي ﷺ في قوله: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة»[3].

وفي رواية لمسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، **فهي نائلة، إن شاء الله**، من مات من أمتي لم يشرك بالله شيئًا»[4].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[5].

الثانية شفاعته ﷺ للمؤمنين في دخول الجنة، فإن المؤمنين إذا أتوا الجنة وجدوا أبوابها مغلقة، فعندئذ يطرق النبي ﷺ باب الجنة، فيقول خازن الجنة[6]: من أنت؟

---

(1) مُشَفَّع أي مقبولة شفاعته.

(2) رواه مسلم (2278).

(3) رواه البخاري (6304) ومسلم (198) عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(4) رقم (199).

(5) رواه الترمذي (2435)، وأبو داود (4739)، وأحمد (3/ 213) وصححه الألباني في «المشكاة» (5598 - 5599) عن أنس رضي الله عنه.

(6) الخازن هو الحافظ للشيء، وقد اشتهر عند الناس تسميته بـ«رضوان»، وهذا لا دليل صحيح عليه، والصواب تسميته بخازن الجنة كما جاء في الحديث، أفادني بها الشيخ محمد بن علي آدم الأثيوبي حفظه الله.

فيقول: محمد.

فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك[1].

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»[2].

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد، فيفتحون لي ويرحبون، فيقولون: مرحبًا»[3].

وفي هذا إظهار لشرفه وفضله، لما كان صاحب الشفاعة العظمى ليريح الناس من كربات المحشر، والشفاعة الثانية لنيل الفرح والسرور بدخول الجنة.

وثالثها شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، فعن العباس بن عبد المطلب ﵁ أنه قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك؟ فوالله كان يحوطك[4] ويغضب لك.

قال: «هو في ضحضاح[5] من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[6][7].

---

(1) رواه مسلم (197) عن أنس بن مالك ﵁.

(2) رواه مسلم (196) واللفظ له، وأحمد (3/ 140)، والدارمي في المقدمة، باب ما أعطي النبي من الفضل.

(3) رواه الترمذي (3148)، وصححه الألباني ﵀.

(4) يحوطك أي يصونك ويذب عنك.

(5) الضحضاح في الأصل ما رَقَّ من الماء على وجه الأرض مما لم يبلغ الكعبين، واستعير هنا للنار. «النهاية».

(6) رواه البخاري (3883) ومسلم (209) وأحمد (1/ 206).

(7) فإن قيل: كيف الجمع بين شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب وقد مات كافرًا، وقوله تعالى عن الكفار ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾؟

فالجواب أن شفاعته له ليست في إخراجه من النار كما هو الحال لعصاة المؤمنين، وإنما لمجرد تخفيف =

هذه الشفاعات الأربع (العظمى والثلاث المتقدمة) هي الشفاعات التي ستحصل للنبي ﷺ يوم القيامة، كلها خاصة به ﷺ، وهناك شفاعة خامسة، ولكنها مشتركة بينه وبين المؤمنين والملائكة، وهي الشفاعة للمؤمنين الذي استحقوا دخول النار في الخروج منها[1].

24. أن السماء حرست من استراق الشياطين للسمع قبيل بعثته، لئلا يختلط الوحي بكذب الشياطين، وهذا حدث عظيم، وقد كانت الشياطين قبل البعثة يسترقون السمع من السماء، يتسمعون ماذا قال ربنا، ثم يزيدون عليها كذبات ويلقونها على الكهان، ثم يلقيها الكهان على الناس بعدما يزيدون فيها كذبات أيضًا، مدعين بهذا معرفة المغيبات، قال تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

وعن عائشة مرفوعًا: «إن الملائكة تنزل في العنان، وهو السحاب، فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه، فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»[2].

25. أن الله قرن حقه بحق نبيه ﷺ في ثلاث مواطن: في الإيمان به، وفي طاعته، وفي محبته، فأما الإيمان به فقد قال: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[3]،

= العذاب فحسب، وإلا فهو معذب عذاب سرمدي في ضحضاح من نار، وسبب التخفيف هو شفاعة النبي ﷺ له، وفي هذا إظهار فضل النبي ﷺ، وإكرامه، سواء لمجرد كونه عمه، أو جزاء له، لأنه كان يحوط النبي ﷺ ويدافع عنه.

وانظر ما قاله الألباني في «السلسلة الصحيحة» (55).

(1) الحديث في صحيح البخاري (6565) ومسلم (193) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(2) رواه البخاري (3210).

(3) سورة الحديد: 7.

وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[2].

26. توقير بعض الحيوانات له، وقد تقدم ذكر قصة الجمل الذي كان عند بعض الأنصار، فاستصعب عليهم فمنعهم ظهره، فلما جاء النبي ﷺ نظر الجمل إليه، فأقبل نحوه حتى خر ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتى أدخله في العمل.

وتقدم أيضًا ذكر أنه قُرِّب إلى رسول الله ﷺ يوم النحر خمس بدنات أو ست ينحرهن، فطفقن يزدلفن إليه، أيتهن يبدأ بها.

ومن دلائل عظم قدره؛ تسليم بعض الجمادات عليه، كالحجر الذي بمكة، وقد تقدم ذكر خبره، وكذا تقدم ذكر خبر جبل أحد، لما صعد عليه النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه برجله وقال: «اُثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان».

27. ومن دلائل عظمته ﷺ؛ محبة بعض الجمادات له، كجبل أحد، فعن عباس عن أبيه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أحد جبل يحبنا ونحبه»[3].

---

(1) سورة آل عمران: 132.

(2) سورة التوبة: 24.

(3) رواه البخاري (1482)، وفي الباب عن أنس، رواه مسلم (1365)، وعن أبي حميد، رواه مسلم (1392).

28. تعظيم بعض الكفار له وإن لم يتبعوه، وهذا مشاهد في الواقع المعاصر، ومذكور في كتب التاريخ، فكم من كتابات كتبها كفار معاصرون في عظماء البشرية، ويجعلون النبي محمد ﷺ هو أول العظماء أو من العظماء[1]، وأما من القديم فقد ذكر السهيلي رحمه الله في كتابه «الروض الأنف» عن هرقل قال:

وقد روي أن هرقل وضع كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب إليه في قصبة[2] من ذهب تعظيمًا له، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه كابرًا عن كابر، في أرفع صوان[3] وأعز مكان، حتى كان عند «إذفونش» الذي تغلب على طليطلة وما أخذ أخذها من الأندلس، ثم كان عند ابن بنته المعروف بالسّلِيطين، حدثني بعض أصحابنا أنه حدثه من سأله رؤيته[4] من قواد أجناد المسلمين كان يُعرف بعبد الملك بن سعيد قال: فأخرجه إلي فاستعبرته[5] وأردت تقبيله وأخْذه بيدي فمنعني من ذلك، صيانة له وضنًّا[6] به عليَّ. انتهى[7].

وعن عبد الله بن عباس: «أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه رجلًا، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه،

---

(1) انظر «الموسوعة العلمية البريطانية».

وانظر كتاب «الخالدون مائة، أعظمهم محمد»، لمايكل هارت.

وانظر مقال «الانتصار لرسول الله محمد ﷺ أزكى البشرية» للشيخ خالد الشايع، وهو منشور على الشبكة الالكترونية.

(2) أي ذهبة مجوفة. انظر «النهاية».

(3) الصوان وعاء يصان فيه الشيء. انظر «لسان العرب».

(4) أي الكتاب.

(5) أي أخرجت العبرة وهي الدمعة، لعله يرق لي.

(6) الضن هو البخل بالشيء لمكانته عند صاحبه. انظر «لسان العرب».

(7) (7/ 365)، الناشر: مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ط 1414.

فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق»[1].

فاستجاب الله دعاء نبيه ﷺ، فلم تدم دولة كسرى طويلًا، مقارنة بدولة الروم.

29. ومن دلائل عظمة النبي ﷺ أنه كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، قال عليه الصلاة والسلام: «فحانت الصلاة فأممتهم»[2].

30. أنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعًا، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»[3].

وفي رواية: «أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبيًّا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد»[4].

31. وبناء على هذا فهو أكثر أعظم الناس أجرًا يوم القيامة، فعن حسان بن عطية أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أعظمكم أجرا يوم القيامة، لأن لي أجري ومثل أجر من اتبعني»[5].

32. أن قرنه ﷺ خير قرون بني آدم كما أنه خير قرون أمته والقرون التي تلي قرنه ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنا، حتى كنت من القرن الذي كنت منه»[6].

---

(1) رواه البخاري (64).

(2) رواه مسلم (172).

(3) رواه مسلم (196).

(4) رواه مسلم (196).

(5) رواه الدارمي (521)، باب من سن سنة حسنة أو سيئة.

(6) رواه البخاري (3557).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ: أي الناس خير؟

قال: «القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث»[1].

أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو حي صحيح يمشي على الأرض، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ سورة الفتح آية: 1 - 3.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: ومنها[2] أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم ينقل أنه أخبر أحدًا من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يُخبرهم؛ لأن كل واحد منهم إذا طُلبت منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصابها وقال: «نفسي نفسي»، ولو عَلم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يَوْجل منها في ذلك المقام، وإذا استشفعت الخلائق بالنبي ﷺ في ذلك المقام قال: «أنا لها»[3].

33. أن الله أقسم بحياته ﷺ فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، والإقسام بحياة المقسَم يدل على شرف حياته وعزتها عند المقسِم بها، وأن حياته ﷺ جديرة أن يقسم الله بها، لِما فيها من البركة العامة والخاصة، ولم يثبت هذا لغيره ﷺ.

---

(1) رواه مسلم (2536).

(2) أي ومن فضائله.

(3) «بداية السول في تفضيل الرسول»، ص 35، الناشر المكتب الإسلامي، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

34. أن الله وقّره في ندائه، فلم يخاطبه قط باسمه مجردًا، بل ناداه بأشرف أوصافه، وهو النبوة والرسالة، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾، وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل ثبت أن كلًا منهم نودي باسمه فقال تعالى: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ ﴾، ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ ﴾، ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾، ﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ ﴾، ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾، ﴿ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾.

وهذه خصيصة للنبي ﷺ في خطاب الله تعالى له في كتابه الكريم دون إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولما قال: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[1]؛ قال بعدها: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾.

35. أنه أول من يجيز على الصراط، وأول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها، وهذه الأمور مما خُصّ بها النبي ﷺ عن باقي الأنبياء السابقين، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل: «فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته»[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح[4]، فيقول الخازن: من أنت؟

---

(1) سورة الأحزاب: 40.

(2) تقدم تخريجه.

(3) تقدم تخريجه.

(4) أي أطلب أن يفتح لي.

فأقول: محمد.

فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك»[1].

36. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ تنوع أسمائه، قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد»[2]:

فصل في أسمائه ﷺ

وكلها نعوت ليست أعلامًا محضة، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال.

فمنها **محمد** وهو أشهرها وبه سمي في التوراة صريحًا.

ومنها **أحمد** وهو الاسم الذي سماه به المسيح لسرٍّ ذكرناه في ذلك الكتاب[3].

ومنها المتوكل ومنها الماحي والحاشر والعاقب والمقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة ونبي الملحمة والفاتح والأمين.

ويلحق بهذه الأسماء الشاهد، والمبشر، والبشير، والنذير، والقاسم، والضحوك، والقتال، وعبد الله، والسراج المنير، وسيد ولد آدم، وصاحب لواء الحمد، وصاحب المقام المحمود، وغير ذلك من الأسماء، لأن أسماءه إذا كانت أوصاف مدح فله من كل وصف اسم.

---

(1) رواه مسلم (197).

(2) (1/ 86)، الناشر مؤسسة الرسالة.

(3) أي كتابه «جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام».

وقال جبير بن مطعم: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب».

وفي رواية لمسلم: «وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»[1].

وأسماؤه ﷺ نوعان: **أحدهما** خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل، كمحمد وأحمد والعاقب والحاشر والمقفي ونبي الملحمة.

والثاني ما يشاركه في معناه غيره من الرسل، ولكن له منه كماله، فهو مختص بكماله دون أصله، كرسول الله، ونبيه، وعبده، والشاهد، والمبشر، والنذير، ونبي الرحمة، ونبي التوبة.

وأما إن جُعل له من كل وصف من أوصافه اسم؛ تجاوزت أسماؤه المائتين، كالصادق والمصدوق والرؤوف الرحيم إلى أمثال ذلك.

فصل في شرح معاني أسمائه ﷺ

أما **محمد** فهو اسم مفعول من حمد فهو محمد، إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها، ولذلك كان أبلغ من محمود، فإن محمودًا من الثلاثي المجرد، ومحمد من المضاعف للمبالغة، فهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر، ولهذا والله أعلم سمي به في التوراة لكثرة الخصال المحمودة التي وصف بها هو ودينه وأمته في التوراة، حتى تمنى موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون منهم.

---

(1) رواه البخاري (3532)، ومسلم (2354).

وأما أحمد فهو اسم على زنة أفعل التفضيل، مشتق أيضًا من الحمد.

وقد اختلف الناس فيه؛ هل هو بمعنى فاعل أو مفعول.

فقالت طائفة هو بمعنى الفاعل، أي حمده لله أكثر من حمد غيره له، فمعناه أحمد الحامدين لربه.

وعلى قول؛ أحق الناس وأولاهم بأن يحمد، فيكون كمحمد في المعنى، إلا أن الفرق بينهما أن محمدًا هو كثير الخصال التي يحمد عليها، وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره، فمحمد في الكثرة والكمية، وأحمد في الصفة والكيفية، فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره وأفضل مما يستحق غيره، فيحمد أكثر حمدٍ وأفضل حمدٍ حمده البشر.

وأما اسمه المتوكل؛ ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو قال: قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ: محمد رسول الله، عبدي ورسولي، سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا «لا إله إلا الله»، وهو ﷺ أحق الناس بهذا الاسم لأنه توكل على الله في إقامة الدين توكلًا لم يشركه فيه غيره.

وأما الماحي والحاشر والمقفي والعاقب فقد فسرت في حديث جبير بن مطعم، فالماحي هو الذي محا الله به الكفر، ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي ﷺ، فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار إلا بقايا من أهل الكتاب، وهم ما بين عباد أوثان، ويهود مغضوب عليهم، ونصارى ضالين، وصابئة دهرية لا يعرفون ربًّا ولا معادًا، وبين عباد الكواكب وعباد النار،

وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها، فمحا الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار.

وأما **الحاشر**؛ فالحشر هو الضم والجمع، فهو الذي يُحشر الناس على قدمه، فكأنه بعث ليحشر الناس[1].

والعاقب الذي جاء عقبَ الأنبياء، فليس بعده نبي، فإن العاقب هو الآخر، فهو بمنزلة الخاتم، ولهذا سمي العاقب على الإطلاق، أي عَقِبَ الأنبياء جاء بعقبهم.

وأما **المقفي** فكذلك، وهو الذي قفَّى على آثار من تقدمه، فقفى الله به على آثار من سبقه من الرسل، فكان خاتمهم وآخرهم.

وأما **نبي التوبة** فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض، فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله، وكان ﷺ أكثر الناس استغفارًا وتوبة، حتى كانوا يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور».

وكذلك توبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم، وأسرع قبولًا، وأسهل تناولًا، وكانت توبة من قبلهم من أصعب الأشياء، حتى كان من توبة بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم، وأما هذه الأمة فلكرامتها على الله تعالى جعل توبتها الندم والإقلاع.

---

(1) أي يكون الحشر بعد بعثته في الترتيب الزمني، مع وجود الفاصل الزمني الكبير بين بعثته ويوم الحشر.

وأما **نبي الملحمة** فهو الذي بعث بجهاد أعداء الله، فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأمته، والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله، فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار، وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم.

وأما **نبي الرحمة** فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده، وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة.

وأما **الفاتح** فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مُرتجًا[1]، وفتح به الأعين العمي والآذان الصم والقلوب الغلف، وفتح الله به أمصار الكفار، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح، ففتح به الدنيا والآخرة والقلوب والأسماع والأبصار والأمصار.

وأما **الأمين** فهو أحق العالمين بهذا الاسم، فهو أمين الله على وحيه ودينه، وهو أمين من في السماء وأمين من في الأرض، ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين.

وأما **الضحوك القتال** فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر، فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين، غير عابس، ولا مقطب، ولا غضوب، ولا فظ، قتال لأعداء الله، لا تأخذه فيهم لومة لائم.

(1) ارتجَ بفتح الجيم وتخفيفها من الارتاج وهو الإغلاق. «لسان العرب».

وأما **البشير** فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب، والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب.

وقد سماه الله **عبده** في مواضع من كتابه منها قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ ﴾، وقوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾، وقوله: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا ﴾[1].

وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «أنا **سيد ولد آدم** يوم القيامة ولا فخر»[2].

وسماه الله **سراجًا منيرًا**، وسمى الشمس سراجًا وهاجًا، والمنير هو الذي ينير من غير إحراق، بخلاف الوهاج؛ فإن فيه نوع إحراق وتوهج. انتهى كلام ابن القيم رحمه الله.

وانظر للاستزادة كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي، باب ذكر أسماء رسول الله ﷺ، (1/ 151).

37. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ وصفه الله بأوصاف لم يوصف بها أحد قبله، فقد وصفه الله بالشاهد والمبشر والنذير والسراج المنير كما في سورة الأحزاب 45 – 46، ورحمة للعالمين، وذو خلق عظيم.

38. ومن دلائل عِظم النبي ﷺ أن اسمه مشتق من اسم الله عز وجل، فمن أسماء الله « محمود »، واسم النبي ﷺ « محمد » مشتق من ذلك الاسم، ولم يسبق النبي ﷺ أحد سمي بهذا الاسم.

---

(1) وصَف الله رسوله بالعبودية في تسع مواضع من القرآن، كما وصف الله إخوانه الأنبياء بذلك، عليهم الصلاة والسلام، انظر «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن».

وفي هذا رد على من يتوجهون للأنبياء وقبور الصالحين ببعض أنواع العبادات من دعاء وذبح ونذر وغير ذلك، إذ أن الأنبياء عبيد مثلهم، والذي يستحق العبادة هو الله وحده دون ما سواه.

(2) تقدم تخريجه.

قال أبو طالب عم النبي ﷺ فيه:

وشـــق لـــه مـــن اســـمه ليجلـــه فـذوا العـرش محمـود وهـذا محمـد[1]

39. ومن دلائل عِظم النبي ﷺ أن أتباعه في ازدياد، فلا يمر يوم إلا ودخل داخل في دين الإسلام، بخلاف الأنبياء الآخرين.

40. أنه رأى في المنام أنه أوتي مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يده، فحصل الأمر كما رأى؛ لأن رؤيا الأنبياء حق، فأمته ورثت كنوز كسرى وقيصر وغيرهما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «... بينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض، فوُضعت في يدي».

قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها[2].

قال ابن حجر في «فتح الباري»: ومفاتيح خزائن الأرض المراد منها ما يفتح لأمته من بعده من الفتوح، وقيل المعادن.

وقول أبي هريرة «وأنتم تنتثلونها» أي تستخرجونها[3].

41. ومن دلائل عِظم قدره أنه نصر بالرعب مسيرة شهر، كما في حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر»، الحديث[4].

---

(1) «دلائل النبوة» للبيهقي، (1/ 161).

(2) رواه البخاري (2977).

(3) انتهى باختصار.

(4) رواه البخاري (335) ومسلم (521)، وفي الباب عن أبي هريرة، رواه مسلم (523).

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث:

قَوْله: «نُصِرْت بِالرُّعْبِ»؛ زَادَ أَبُو أُمَامَةَ: «يُقْذَفُ فِي قُلُوب أَعْدَائِي». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ[1].

قَوْله «مَسِيرَة شَهْر» مَفْهُومه أَنَّهُ لَمْ يُوجَد لِغَيْرِهِ النَّصْر بِالرُّعْبِ فِي هَذِهِ الْمُدَّة وَلَا فِي أَكْثَر مِنْهَا، أَمَّا مَا دُونهَا فلا، وَإِنَّمَا جَعَلَ الْغَايَة شَهْرًا لأنه لَمْ يَكُنْ بَيْن بَلَده وَبَيْن أَحَدٍ مِنْ أَعْدَائِهِ أَكْثَر مِنْهُ، وَهَذِهِ الْخُصُوصِيَّة حَاصِلَةٌ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاق حَتَّى لَوْ كَانَ وَحْده بِغَيْرِ عَسْكَر، وَهَلْ هِيَ حَاصِلَة لِأُمَّتِهِ مِنْ بَعْده؟ فِيهِ اِحْتِمَالٌ.

انتهى باختصار.

42. ومن دلائل عظم قدره أن الشيطان لا يتمثل به في المنام، فمن رأى النبي ﷺ في المنام وكان الذي رآه كما جاء في صفته المذكورة في السنة؛ فقد رآى شخصه، فليس بأضغاث أحلام، ولا تشبيهات الشيطان، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»[2].

قال الْقَاضِي عياض: قَالَ بَعْض الْعُلَمَاء:

خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيّ ﷺ بِأَنَّ رُؤْيَة النَّاس إِيَّاهُ صَحِيحَة، وَكُلّهَا صِدْق، وَمَنَعَ الشَّيْطَان أَنْ يَتَصَوَّرَ فِي خِلْقَته لِئَلَّا يَكْذِب عَلَى لِسَانه فِي النَّوْم، وَلَوْ وَقَعَ لَاشْتَبَهَ الْحَقّ بِالْبَاطِلِ، وَلَمْ يُوثَقْ بِمَا جَاءَ بِهِ مَخَافَة، فَحَمَاهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ الشَّيْطَان وَنَزْغه وَوَسْوَسَته وَإِلْقَائِهِ وَكَيْده. انتهى باختصار.

---

(1) «المسند» (5/ 248)، وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

(2) رواه البخاري (110) ومسلم (2266).

ومن دلائل عظم قدره أن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»[1].

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «منبري على تُرعة[2] من تُرع الجنة».

قلت له: ما الترعة يا أبا العباس؟

قال: الباب[3].

قال ابن حجر رحمه الله:

قَوْله: «رَوْضَة مِنْ رِيَاض الْجَنَّة» أَيْ كَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاض الْجَنَّة فِي نُزُول الرَّحْمَة وَحُصُول السَّعَادَة بِمَا يَحْصُل مِنْ مُلَازَمَة حِلَق الذِّكْر لَا سِيَّمَا فِي عَهْده ﷺ، فَيَكُون تَشْبِيهًا بِغَيْرِ أَدَاة، أَوْ الْمَعْنَى أَنَّ الْعِبَادَة فِيهَا تُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّة فَيَكُون مَجَازًا، أَوْ هُوَ عَلَى ظَاهِره وَأَنَّ الْمُرَاد أَنَّهُ رَوْضَة حَقِيقَة بِأَنْ يَنْتَقِل ذَلِكَ الْمَوْضِع بِعَيْنِهِ فِي الْآخِرَة إِلَى الْجَنَّة، هَذَا مُحَصَّل مَا أَوَّله الْعُلَمَاء فِي هَذَا الْحَدِيث، وَهِيَ عَلَى تَرْتِيبهَا هَذَا فِي الْقُوَّة.

وَأَمَّا قَوْله «وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» أَيْ يُنْقَل يَوْم الْقِيَامَة فَيُنْصَب عَلَى الْحَوْض، وَيُؤَيِّدهُ حَدِيث أَبِي سَعِيد الْمُتَقَدِّم وَقَدْ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِير» مِنْ

(1) رواه البخاري (1888) ومسلم (1391).

(2) الترعة هي الروضة على المكان المرتفع. انظر «النهاية».

(3) رواه أحمد (5/ 335)، والطبراني في «الكبير» (6/ 142)، والبيهقي (5/ 247)، وقال محقق «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

حَدِيث أَبِي وَاقِد اللَّيْثِيّ رَفَعَهُ: «إِنَّ قَوَائِم مِنْبَرِي رَوَاتِب فِي الْجَنَّة»[1].

وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ قَصْد مِنْبَره وَالْحُضُور عِنْده لِمُلَازَمَةِ الْأَعْمَال الصَّالِحَة يُورِد صَاحِبه إِلَى الْحَوْض وَيَقْتَضِي شُرْبه مِنْهُ، وَاللهُ أَعْلَم. انتهى باختصار.

ومن دلائل عظم قدره ﷺ تحريم نكاح زوجاته من بعده أبدًا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾[2].

43. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أعانه على قرينه من الجن، فصار لا يأمره إلا بخير، انظر «صحيح مسلم» (2815، 814).

44. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الصدقة محرمة عليه وعلى آل بيته، لأنها أوساخ الناس، ولهذا كان التخلص منها طهرة للمال، قال ﷺ: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس»[3].

45. ومن دلائل عظم قدره ﷺ؛ عصمته من الشرك ومن الخطأ في مجال التبليغ، وعصمة نسبه من السفاح، وعصمته من كبائر الذنوب[4]، وعصمته من

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (3/ 532)، والنسائي (695)، والطبراني (3/ 245)، وصححه الألباني. ورواه أحمد عن أم سلمة (6/ 289)، وكذا الطبراني في الكبير (23/ 254)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عمار الدهني فمن رجال مسلم.

(2) سورة الأحزاب آية: 53.

(3) رواه مسلم (1072) عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث.

(4) قال السمعاني في تفسير قوله تعالى ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾: واعلم أن الأنبياء معصومون من الكبائر، فأما الخطايا والصغائر تجوز عليهم.
وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾: والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعًا.
وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يُكَفّر عنه إلا الصغائر من الذنوب، لأنه لم يأت قط كبيرة، لا هو ولا أحد من أنبياء الله، لأنهم معصومون من الكبائر صلوات الله عليهم.
=

رذائل الأخلاق، وقد تقدم الكلام عليها في جزء مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ.

46. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن من سبه أو سب نبيًّا من الأنبياء فإنه عقوبته القتل، بخلاف من دونهم من الناس، وقد ورد في ذلك عدة أدلة منها قصة الأعمى الذي كانت له أم ولد[1]، وكانت تشتم النبي ﷺ، فلما كان ذات ليلة جعلت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فأخذ مغولًا[2] فوضعه في بطنها فاتكأ عليه حتى ماتت، فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ دعا الأعمى فأخبره بأمرها، فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر»[3].

وعن أبي برزة الأسلمي قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق، فقلت: أقتله؟ فانتهرني وقال: ليس هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ[4].

وقد نقل ابن تيمية رحمه الله في كتابه العظيم «الصارم المسلول على شاتم الرسول» إجماع أهل العلم على قتل من وقع في سب النبي ﷺ، سواء كان مسلمًا أو كافرًا.

=

«التمهيد» (2/ 165)، باب الراء، في أحاديث ربيعة بن عبد الرحمن، الناشر دار الكتب العلمية.

وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (4/ 319): فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول.

(1) أم ولد أي أمة، وطأها فولدت له ولدا.

(2) المِغول، قال في «عون المعبود»: مِثْل سَيْف قَصِير يَشْتَمِل به الرَّجُل تَحْت ثِيَابه فيُغَطِّيه، وَقِيلَ حَدِيدَة دَقِيقَة لَهَا حَدّ مَاضٍ، وَقِيلَ هُوَ سَوْط فِي جَوْفه سَيْف دَقِيق يَشُدّهُ الْفَاتِك عَلَى وَسَطه لِيَغْتَال به النَّاس.

(3) رواه أبو داود (4361) والنسائي (4081) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله.

(4) رواه النسائي (4082)، وصححه الألباني رحمه الله.

وعن علي أن يهودية كانت تشتمُ النبيَّ ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها[1].

47. ومن دلائل عِظم قدر نبينا ﷺ، وهو في هذا مشترك مع إخوانه الأنبياء، أن أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًّا، فعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًّا، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين[2]»[3].

48. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أنه لا ينبغي عنده التنازع، فإنه لما اختلف عنده بعض الصحابة وكثر اللغط؛ قال: «قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع»[4].

بل إن رفع الصوت فوق صوته موجب لحبوط العمل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ سورة الحجرات آية: 2.

49. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله قذف الرعب في قلوب أعدائه منه في حياته لمن كان يبعد منه مسيرة شهر، فعن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر»، الحديث[5].

(1) رواه أبو داود (4362)، وقال في «الإرواء» (5/ 91): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2) أي الذي يصنع التماثيل، والعلة معروفة، وهي أن صنع التماثيل يؤدي إلى عبادتها، ولهذا تجد الذين يعبدون غير الله من النصارى والبوذيين والهنادكة ونحوهم ينصبون تماثيل أمامهم ويتقربون لها بأنواع العبادات من سجود ودعاء ونحو ذلك، عياذًا بالله.

(3) رواه أحمد (1/ 407)، وقال محققو «المسند»: إسناده حسن.

(4) رواه البخاري (114).

(5) تقدم تخريجه.

الفصل الرابع

حقوق النبي ﷺ السبعة عشر على الأمة

الإيمان بالنبي ﷺ يقتضي القيام بحقوقه، وهي سبعة عشر حقًّا، وهي كالتالي على سبيل الإجمال:

1. تصديقه فيما أخبر.
2. وطاعته فيما أمر.
3. واجتناب ما نهى عنه وزجر.
4. وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.
5. التحاكم لشريعته.
6. تعظيم سنته.
7. مجانبة أهل البدع، الراغبين عن سنته.
8. الدعوة إلى دينه.
9. الذب عن دينه.
10. محبته ﷺ.
11. توقيره ﷺ.
12. الذب عن ذات النبي ﷺ.

13. الأدب معه حيًّا وميتًا.

14. الدعاء له، ويتضمن الصلاة والسلام عليه.

15. توقير صحابته.

16. توقير زوجاته.

17. توقير آل بيته.

والقيام بحقوق النبي ﷺ هو المعبر عنه في الحديث النبوي بالنصيحة للنبي ﷺ، والذي جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة.

قلنا: لمن؟

قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

قال النووي رحمه الله ملخصًا كلام بعض العلماء في معنى النصيحة:

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ؛ فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيًا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته، ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءاتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم

---

(1) رواه مسلم عن تميم الداري (55).

إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك[1].

وقال القاضي عياض في شرح حديث تميم الداري (مسلم 55): النصيحة لرسوله؛ التصديق بنبوته، وطاعته فيما أمر به ونها عنه، ونصرته حيًّا وميتًا، ومعاداة من عاداه، ومحاربة من حاربه، وبذل النفوس والأموال دونه في حياته، وإحياء سنته بعد موته، بالبحث عنها، والتفقه فيها، والذب عنها، ونشرها، والدعاء إليها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، والتأدب بآدابه الجميلة، وتوقيره، وتعظيمه، ومحبة آل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته[2].

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم.

(2) «إكمال المعلم» (1/ 307) للقاضي عياض، الناشر دار الوفاء، تحقيق يحيى إسماعيل.

الحق الأول

تصديقه فيما أخبر

تصديق النبي ﷺ هو الباب الذي يدخل منه الداخل إلى دين الإسلام، وهو شطر معنى الإيمان، فإن الإيمان هو التصديق والانقياد.

وتصديقه ﷺ يتضمن ما جاء به من العقائد والشرائع والأخبار والآداب، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ سورة النجم آية: 3-4.

وانظر إلى المنزلة العالية الرفيعة التي حازها أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي آمن بالنبي ﷺ حق الإيمان، وصدقه حق التصديق، ثم اتبعه على دينه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى؛ أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟

قال: أو قال ذلك؟

قال: نعم.

قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق.

قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟!

قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة.

فلذلك سمي أبو بكر الصديق[1].

وتصديق النبي ﷺ له فضل كبير، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴾[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري[3] الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم.

قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم.

قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله **وصدقوا المرسلين**»[4].

وضد التصديق التكذيب والشك، وكلاهما ناقض للتصديق، عافانا الله من ذلك.

والنبي ﷺ معروف بالصدق حتى قبل بعثته، وقد كان يسمى بالأمين، فما علينا ألا نصدقه؟ والله أعلم.

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (3/ 62)، وصححه الذهبي.

(2) سورة النساء آية: 69 - 70.

(3) الدُّري هو النجم الشديد الإضاءة. انظر «فتح الباري».

(4) رواه البخاري (3256) ومسلم (2831).

الحق الثاني

طاعته فيما أمر، وفيه عشرة مباحث

1. قرن الله تعالى طاعته بطاعة رسوله، وأعلمَ خلقه بأن من أطاع الرسول فقد أطاعه، فقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[1]، ووجه ذلك أن الرسول ﷺ إنما جاء بهذا الدين من عند الله ﷻ، فالرسول ﷺ إنما هو مبلغ عن الله ولم يأت بشيء من عند نفسه، قال تعالى لنبيه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ الآية، وقال: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ﴾ **سورة الأنعام آية: 145**، فهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ تبرأ من أن يقول بتحريم شيء لم يحرمه الله ﷻ أصلًا، فقال: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَيَّ ﴾.

2. وقد ذكر الله تعالى طاعة الرسول ﷺ في ثلاث وثلاثين موضعًا من القرآن[2]، منها قوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[3][4]،

---

(1) سورة النساء: 80.

(2) قال شيخ الإسلام ﷺ: وقد أمر الله بطاعته في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا ذكر معه. «مجموع الفتاوى» (19/ 103).

وهكذا قال الآجري في «الشريعة»، ص 49.

(3) سورة الحشر: 7.

(4) هذه الآية تفيد أن الله تعالى أوجب في القرآن أخذ كل ما أتى به الرسول ﷺ جملة وتفصيلًا.

وقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]،

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[2]،

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾.

قال ابن القيم رحمه الله في هذه الآية:

أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلامًا بأن طاعة الرسول تجب استقلالًا من غير عرضٍ ما أَمر به على الكتاب، بل إذا أَمر وجبت طاعته مطلقًا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله ومعه.

ولم يأمر[3] بطاعة أولي الأمر استقلالًا، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول، إيذانًا بأنهم إنما يُطاعُون تبعًا لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر منهم بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[4].

وقال: «إنما الطاعة في المعروف»[5]. انتهى[6].

---

(1) سورة آل عمران، آية 32.

(2) سورة الأنفال، آية 20.

(3) أي الله تعالى.

(4) رواه الطبراني في «الكبير» (18/ 170) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(5) رواه البخاري (7257)، ومسلم (1840) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن الأدلة أيضًا حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة. رواه البخاري (7144)، ومسلم (1839)، واللفظ لمسلم.

(6) «إعلام الموقعين»، فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص.

3. وأمر عند التنازع بالرد إلى الله والرسول، أي الكتاب والسنة، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1].

قال ابن القيم ﷺ: إن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته[2].

4. وتواترت النصوص النبوية في الحث على اتباعه وطاعته، والاهتداء بهديه والاستنان بسنته، وتعظيم أمره ونهيه، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى.

قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟

قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[3].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله»[4].

وقال: «إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[5].

---

(1) سورة النساء: 59.

(2) «إعلام الموقعين»، فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص.

(3) رواه البخاري (7280).

(4) رواه البخاري (7137)، ومسلم (1835) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(5) رواه البخاري (7288)، ومسلم (1337) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرَد على الله كشِراد[1] البعير.

قال: يا رسول الله، ومن يأبى أن يدخل الجنة؟

قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[2].

قال ابن حبان بعده: طاعة رسول الله ﷺ هي الانقياد لسنته، مع رفض قولِ كل من قال شيئًا في دين الله جل وعلا بخلاف سنته، دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة[3].

وقال ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ... الحديث»[4].

ففي هذا الحديث نرى أن النبي ﷺ أمر بالجِد في لزوم السنة، فِعْلَ من أمسك الشيء بين أضراسه، التي هي في مؤخر الفم، وعض عليه منعًا من أن ينتزع، وذلك أشد ما يكون من التمسك بالشيء، إذ كان ما يمسكه بأسنانه التي بمقاديم فمه أقرب تناولًا وأسهل انتزاعًا.

---

(1) أي كما يشرد البعير إذا نفر وذهب عن صاحبه، والمقصود بالشرود هنا الخروج عن طاعة الله.

(2) رواه ابن حبان (1/ 196 – 197)، ورجاله رجال مسلم إلا خلف بن خليفة، والحديث له شواهد تقويه كحديث أبي هريرة المتقدم، وحديث أبي هريرة الذي رواه أحمد (2/ 361) وغيره، وسنده على شرط الشيخين كما قال الحافظ في «الفتح»، شرح حديث (7280).

باختصار من حاشية الشيخ شعيب على الحديث أعلاه.

(3) المرجع السابق.

(4) رواه ابن حبان (1/ 179) واللفظ له، وأبو داود (4607)، وابن ماجه (42)، والترمذي (2676)، وأحمد (4/ 126)، وغيرهم كثير، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

وقد علم النبي ﷺ أصحابه أن يجيبوه إذا ناداهم ولو كان أحدهم في صلاة، مما يدل على عظم أمر إجابة أمر النبي ﷺ، فعن أبي سعيد المعلى قال: «كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي.

فقال: ألم يقل الله: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾»[1].

5. وقد أخبر الله تعالى أن جميع الرسل أمروا أقوامهم بطاعتهم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2]، ومن هذا قول نوح لقومه: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[3]، وهكذا قال غيره من الرسل.

6. وطاعة الرسول سيُسأل عنها الإنسان يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[4].

فإن كان مطيعًا للرسول فهذا ثوابه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[6].

---

(1) رواه البخاري (4474).

(2) سورة النساء: 64.

(3) سورة نوح: الآية 3.

(4) سورة القصص: 65.

(5) سورة النساء: 69 – 70.

(6) سورة النساء: 13.

وعن أبي موسى رضي الله عن النبي ﷺ قال: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: (يا قوم، إني رأيت الجيش بعينيَّ، وإني أنا النذير العريان[1]، فالنجاء)، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا[2] فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مَثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومَثل من عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق»[3].

وإن كان عاصيًا لرسوله ندم وعض على يديه، ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولاً ﴾[4]، وعندئذ فهذا جزاؤه: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[5].

7. وطاعة الرسول ﷺ تكون باتباع ما جاء في سنته، بالتأسي به في أقواله وأفعاله وأحواله، فإن الأصل في أفعال النبي ﷺ وأقواله أنها للاتباع والتأسي، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[6].

---

(1) قال ابن كثير رحمه الله: أي الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئًا، بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك فجاءهم عريانًا مسرعًا. « تفسير القرآن العظيم »، سورة النجم، آية 57.

(2) الدلجة هي السير بالليل.

(3) رواه البخاري (6482) ومسلم (2283).

(4) سورة الفرقان 27 – 29.

(5) سورة النساء: 14.

(6) سورة الأحزاب: 21.

قال ابن كثير: هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه ﷻ[1].

ومن هذا قوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[2].

وقوله ﷺ: «لتأخذوا عني مناسككم»[3].

8. واتباع النبي ﷺ وطاعته دليل على محبة الله تعالى، يدل ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]، قال ابن تيمية:

ومما ينبغي التفطن له أن الله سبحانه قال في كتابه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾، قال طائفة من السلف: ادعى قوم على عهد النبي ﷺ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية، فبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول ﷺ، وأن اتباع الرسول ﷺ يوجب محبة الله للعبد، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله، فإن هذا الباب تكثر فيه الدعاوى والاشتباه[5].

---

(1) «تفسير القرآن العظيم»، تفسير الآية السابقة.

(2) رواه البخاري (631) عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(3) رواه مسلم (1297) بلفظ: «لتأخذوا مناسككم»، ورواه البيهقي في «الكبرى» (5/ 125) بلفظ: «خذوا عني مناسككم».

(4) سورة آل عمران: 31، وقال ابن القيم إن هذه الآية تسمى آية المحبة. «مدارج السالكين»، منزلة المحبة، (3/ 455)، ط دار طيبة.

(5) «مجموع الفتاوى» (10/ 81).

وقال ابن كثير رحمه الله: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»، ولهذا قال: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾، أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: (ليس الشأن أن تُحِب، إنما الشأن أن تُحَب).

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية[1]. انتهى كلامه.

ثم زاد الأمر تأكيدًا وبيانًا بأن أعقب آية اختبار المحبة بآية الأمر بطاعته وطاعة نبيه ﷺ فقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

وقال ابن القيم: ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول، وفائدتها وثمرتها محبة المرسِل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، ومحبته لكم منتفية[2].

وقال أيضًا: ثباتها[3] إنما يكون بمتابعة الرسول في أعماله وأقواله وأخلاقه، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها، وبحسب نقصانها

(1) « تفسير القرآن العظيم »، سورة آل عمران، آية 31.

(2) « مدارج السالكين »، منزلة المحبة، (3/ 455)، ط دار طيبة.

(3) أي محبة الله.

يكون نقصانها، كما تقدم أن هذا الاتباع يوجب المحبة والمحبوبية معًا[1] ولا يتم الأمر إلا بهما، فليس الشأن في أن تحب الله، بل الشأن في أن يحبك الله، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرًا وباطنًا، وصدقته خبرًا، وأطعته أمرًا، وأجبته دعوة، وآثرته طوعًا، وفنيت عن حكم غيره بحكمه، وعن محبته غيره من الخلق بمحبته، وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم يكن ذلك فلا تتعن، وارجع من حيث شئت فالتمس نورا، فلست على شيء[2].

(وهذه المنزلة والمكانة لأتباع الرسول ﷺ نابعة من كون هذا الاتباع إنما هو في الحقيقة اتباع لله، إذ الرسول إنما جاء بهذا الدين من عند الله ﷻ، فهو شرع الله ودينه الذي أوحاه لرسوله ﷺ ليبلغه للعباد، فالرسول إنما هو مبلغ عن الله، ولم يأت بشيء من عند نفسه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ الآية[3])[4].

9. وطاعة الرسول ﷺ فيها حياة الأرواح، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[5].

قال ابن القيم ؒ: الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات.

---

(1) أي أن تُحِب وأن تُحَب.

(2) «مدارج السالكين»، منزلة المحبة، (3/ 484 - 485)، ط دار طيبة.

(3) الآية الأخيرة من سورة الكهف.

(4) « حقوق النبي ﷺ »، ص 179.

(5) سورة الأنفال: 24.

فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله وللرسول ظاهرًا وباطنًا، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول ﷺ[1].

ثم أعقب الله تعالى أمره بالاستجابة للرسول بالتحذير من عدم الاستجابة أو التثاقل عنها، فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾، قال ابن القيم رحمه الله:

إنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن يحول الله بينكم وبين قلوبكم، فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة، عقوبة لكم بعد وضوح الحق واستبانته، فيكون كقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾، وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾، وقوله: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ﴾، ففي الآية تحذير عن ترك الاستجابة بالقلب وإن استجاب بالجوارح[2].

10. وقد بلغ السلف رحمهم الله – وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم الغاية في طاعة النبي ﷺ، فقد كانوا يدورون مع النصوص حيث دارت، ويحكمون على الرجل بأنه على الطريق ما كان على الأثر، فهذا أبو بكر رضي الله عنه قال: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ[3].

---

(1) «الفوائد» لابن القيم، ص 140، الناشر مكتبة الرشد.
(2) «الفوائد» لابن القيم، ص 144، بتصرف يسير جدًّا.
(3) رواه البخاري (3093)، ومسلم (1759).

ولله در الفاروق عمر رضي الله عنه حين قال:... لا ندع شيئًا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما أنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الرُّكَب فقالوا: أي رسول الله، كلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها.

قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا إليك المصير.

قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتُهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[3].

---

(1) رواه أبو داود (1887) وابن ماجه (2952) وأحمد (1/ 45)، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره. وقال الألباني في «صحيح أبي داود»: حسن صحيح.

(2) سورة البقرة: 284.

(3) سورة البقرة آية: 286.

قال[1]: نعم.

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾.

قال: نعم.

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾، قال: نعم.

﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

قال: نعم»[2].

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولًا، أو يحمله شبهة أو شكًا، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فيوحده ﷺ بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما نوحد المرْسِل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل[3].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النَّبِيّ ﷺ: «إن الله تعالى حرم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبع».

قال: فاستقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينة، فسفكوها[4].

---

(1) أي الله تعالى، أي قد فعلت وأجبت دعاءكم هذا، تخفيفا من الله على عباده، وهذا من بركة استسلامهم للأمر الإلهي أن نسخ الآية الأولى بهذه الآية.

(2) رواه مسلم (125).

(3) «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (1/ 228)، الناشر مؤسسة الرسالة.

(4) رواه مسلم (1578).

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أمر مناديًا فنادى في الناس: «إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية»؛ فأكفئت القدورُ وإنها لتفور باللحم[1].

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل، لما أنزل الله: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾، شققن مروطهن[2] فاختمرن بها[3].

وفي رواية: أخذن أُزرَهن فشققنها من قبل الحواشي[4] فاختمرن بها[5].

وعن أبي سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ أرسل إلى رجل من الأنصار، فجاء ورأسه يقطر، فقال النبي ﷺ: لعلنا أعجلناك؟

قال: نعم»[6].

فهذا كان في حال جماعه مع أهله، فلما دعاه ﷺ استجاب له ولم ينتظر الإنزال، فذهب واغتسل وسارع لنداء النبي ﷺ له.

وفي قصة الإفك، لما قال مسطح في عائشة واتهامه لها بالفاحشة؛ حلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ ﴾، يعني مسطحًا، إلى قوله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

---

(1) رواه البخاري (4199).

(2) المُرط هو الكساء. «النهاية».

(3) رواه البخاري (4758).

(4) الحواشي هي الأطراف.

(5) رواه البخاري (4758).

(6) رواه البخاري (180) مسلم (345).

فلما نزلت قال أبو بكر: بلى والله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفرَ لنا، وعاد له بما كان يصنع[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: استأذن الحُر لعُيينة بن حصن ليدخل على عمر، فأذن له عمر، فلما دخل قال: هَـيْ يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزْل[2]، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به.

فقال له الحُر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾، وإن هذا من الجاهلين.

والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عُدِل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ ﴾ **سورة المائدة آية: 24**، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسَره، يعني قوله»[4].

وعن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنَّكم إليها».

قال: فقال بلال بن عبد الله بن عمر: والله لنمنعهن.

---

(1) رواه البخاري (4757).

(2) الجزل أي الكثير. «المعجم الوسيط».

(3) رواه البخاري (4642).

(4) رواه البخاري (3952).

قال: فأقبل عليه عبد الله فسبه سبًا سيئًا، ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أُخبرك عن رسول الله ﷺ، وتقول: والله لنمنعهن؟![1]

وعن عبد الله بن مغفل أنه رأى رجلًا يخذف[2]، فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، أو كان يكره الخذف، وقال: «إنه لا يصاد به صيد، ولا يُنكأ به عدو، ولكنها قد تكسر السن وتفقأ العين».

ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف وأنت تخذف؟! لا أكلمك كذا وكذا[3].

وعن عطاء بن يسار أن معاوية بن أبي سفيان باع سِقاية[4] من ذهب أو ورِق[5] بأكثر من وزنها، فقال أبو الدرداء: «سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا إلا مثلًا بمثل».

فقال له معاوية: ما أرى بمثل هذا بأسًا.

فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية، أنا أخبره عن رسول الله ﷺ، ويخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها.

ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب فذكر ذلك له، فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية أن لا تبيع ذلك إلا مثلًا بمثل، وزنًا بوزن[6].

---

(1) رواه مسلم (442).

(2) الخذف هو رمي الحصا، بأن تجعل الحصاة بين سبابتين ويرمى بها. «النهاية».

(3) رواه البخاري (5479) ومسلم (1954).

(4) السقاية إناء يشرب فيه. «النهاية».

(5) الورِق هو الفضة.

(6) رواه مالك في «الموطأ»، كتاب البيوع، باب بيع الذهب بالفضة.

وقد بلغ عمر أن رجلًا يصوم الدهر، فأتاه فعلاه بالدِّرة وجعل يقول: كُلْ يا دهري[1].

وقد سار التابعون على طريقة الصحابة في سرعة الاستجابة لأمر النبي ﷺ، فقد قال الزهري: مِن الله الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم.

وقال سهل بن عبد الله التستري: أصولنا ستة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق.

وقال: من كان اقتداؤه بالنبي ﷺ لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء، ولا يجول قلبه[2] سوى ما أحب الله ورسوله ﷺ[3].

وقال الطحاوي في « العقيدة الطحاوية »: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام)، أي لا يثبت العبد على دين الإسلام إلا بالتسليم لنصوص الوحيين والانقياد إليها وعدم الاعتراض عليها بالرأي أو العقل أو القياس[4].

---

(1) رواه ابن أبي شيبة (9556)، كتاب الصيام، باب من كره صوم الدهر، وصححه ابن حجر كما في «فتح الباري»، شرح حديث (1977).

(2) أي لا يتجول في قلبه ويدر فيه.

(3) « حلية الأولياء » (10/ 198).

وسهل التستري هذا قال فيه أبو نعيم قبل نقل كلامه أعلاه: عامة كلامه في تصفية الأعمال، وتنقية الأحوال عن المعايب والأعلال.

(4) وانظر شرح ابن أبي العز لعبارة الطحاوي رحمهما الله.

11. والأسباب المعينة على الطاعة كثيرة، وأهمها ثلاثة:

الأول: اللجوء والتضرع إلى الله ﷻ بأن يعينه على طاعة النبي ﷺ، وإظهار الافتقار له في ذلك.

من أعظم الأسباب المعينة للعبد على اتباع ما جاء به نبينا محمد ﷺ؛ لجوء العبد إلى ربه وتضرعه بين يديه وإظهار الافتقار والحاجة إليه، بأن يهديه إلى الصراط المستقيم، ويعينه على العمل، وهذا هو دعاء المسلم في صلاته دائمًا، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾، قال ابن القيم رحمه الله:

وسر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين[1]، وعليهما مدار العبودية والتوحيد، حتى قيل: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب، جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن، وجمع معاني القرآن في المفصل[2]، وجمع معاني المفصل في الفاتحة، ومعاني الفاتحة في: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده نصفين، فنصفهما له تعالى وهو ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، ونصفهما لعبده وهو ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3].

ومن اشتبه عليه الحق أو أشكل عليه فهمه، فلا يتفرد بفهمه الخاص، بل يدعُ ربه أن يهديه للحق، كما كان يفعل النبي ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب

---

(1) أي إياك نعبد وإياك نستعين.

(2) المفصل يبدأ من سورة « ق » إلى آخر المصحف.

(3) « مدارج السالكين » (1/ 159 – 160)، الناشر دار طيبة.

والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[1].

وكان من دعائه أيضًا: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علمًا»[2].

الثاني: تدبر آيات القرآن الكريم

يقول الشيخ السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[3] أي: فهلَّا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء يُحذر، ولعرّفهم بربهم وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل.

﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ أي: قد أغلق ما فيها من الإعراض والغفلة والإعتراض، وأقفلت فلا يدخلها خير أبدًا، هذا هو الواقع.

---

(1) رواه مسلم (770).

(2) رواه الترمذي (3599) وابن ماجه (3833)، وصححه الألباني رحمه الله.

(3) سورة محمد: 24.

الثالث: صحبة طلبة العلم والعلماء وحضور مجالسهم والاستفادة من دروسهم العلمية

صحبة أهل السنة والجماعة المتمسكين بما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته من أعظم الأسباب التي تعين على الاتباع والاستمساك بالحق، وذلك لأن الصاحب ساحب للمرء وقائد، فالخليل يحمل صاحبه على ما هو عليه، فإن كان صاحب سنة واتباع حمله على ذلك، وإن كان صاحب بدعة وفسوق حمله على ذلك، قال رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[1].

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير[2]، فحامل المسك إما أن يُحذِيك[3]، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»[4].

ولذا استفاضت أقوال السلف في الحث على صحبة أهل الاتباع والسنة وترك صحبة سواهم، ومما يدل على تأثير الصحبة ما قاله يوسف بن أسباط: كان أبي قدريًّا، وأخوالي روافض، فأنقذني الله بسفيان[5].

وعن أيوب قال: إن من سعادة الحدث[6] والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة[7].

---

(1) رواه أبو داود (4833) والترمذي (2378)، وصححه الألباني رحمه الله.

(2) نافخ الكير هو الحداد.

(3) يُحذيك أي يعطيك. «النهاية».

(4) رواه البخاري (5534) ومسلم (2628).

(5) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (1/ 67).

(6) الحدث هو الشاب في أول عمره. «النهاية».

(7) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (1/ 66).

وعن ابن شوذب قال: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك[1] أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[3].

ومن أقوال السلف في ذلك:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: اُغد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا، ولا تكن الرابع فتهلك[4].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر، فإذا هلك الأول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس[5].

فائدة:

قال ابن القيم رحمه الله: وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور؛ وهي الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول فيه، وشهود مشهد الإحسان فيه، وشهود منة الله عليه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله[6].

---

(1) أي إذا أقبل على العبادات وصار متمسكًا بها.

(2) رواه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (1/ 67).

(3) رواه البخاري (100) ومسلم (2673).

(4) رواه الدارمي في « سننه »، باب في ذهاب العلم، والبيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرى » (380).

(5) رواه الدارمي في « سننه »، باب في ذهاب العلم.

(6) «إغاثة اللهفان» (1/ 82)، تحقيق الفقي.

الحق الثالث

اجتناب ما نهى عنه وزجر

وضد طاعة النبي ﷺ معصيته، وقد جاء التحذير من الله ﷻ من مخالفة أمر النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[1]، وقال: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾[2]، وقال: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ۝٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۝٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٦٢ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

جاء في « الكشاف » عند تفسير هذه الآيات: أراد ﷻ أن يريهم عِظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه إذا كانوا معه

(1) سورة النساء: 14

(2) سورة الأحزاب: 36.

(3) سورة الفرقان: 27 – 29.

(4) النور: 62 – 63.

على أمر جامع[1]، فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله، مع تصدير الجملة بـ « إنما »، وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرًا عنه بموصول[2] أحاطت صلته بذِكر الإيمانَين[3]، ثم عقّبه بما يزيده توكيدًا وتشديدًا، حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾، وضمّنه شيئًا آخر، وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين، وعرَّض بالمنافقين وتسللهم لواذًا[4]. انتهى باختصار يسير.

وقال ابن كثير رحمه الله: وهذا أيضًا أدبٌ أرشد الله عباده المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول؛ كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف، لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه، من صلاة جمعة أو عيد جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك، أمرهم الله تعالى أن لا يتفرقوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته، وإنَّ من يفعل ذلك فإنه من المؤمنين الكاملين.

ثم قال عند قوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾: أي عن أمر رسول الله ﷺ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنًا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه

(1) سيأتي بيان المقصود من الأمر الجامع في كلام ابن كثير التالي إن شاء الله.
(2) وهو قوله ﴿الذين﴾.
(3) أي قوله ﴿أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾.
(4) أي يستر بعضهم بعضًا ويروغ في خِيفة فيذهب. قاله البغوي في «تفسيره».

قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»، أي فليحذر وليخشى من خالف شريعة الرسول ظاهرًا وباطنًا أن تصيبهم فتنة، أي في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، أو يصيبهم عذاب أليم، أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك. انتهى.

وقال أيضًا ﷺ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[1]:

وقوله ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾؛ أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شقٍّ والشرع في شق، وذلك عن عمْد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له.

وقوله: ﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾؛ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما عُلِم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضُمِنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم، وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك.

ثم قال: ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله: ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾، أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نُحسِّنها في صدره ونزينها له استدراجًا له، كما قال تعالى: ﴿ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾، وقوله: ﴿ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾.

---

(1) سورة النساء: 115.

وجعل النار مصيره في الآخرة؛ لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلاَّ إلى النار يوم القيامة. انتهى كلامه رحمه الله.

وقد جاءت السنة كذلك في التحذير من معصية النبي ﷺ في قوله: «إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[1].

ومعصية النبي ﷺ سبب للعقوبة في الدنيا قبل الآخرة، فقد ثبت من حديث سلمة بن الأكوع: «أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال له: كل بيمينك، قال: لا أستطيع، فقال له ﷺ: لا استطعت، ما منعه إلا الكِبر، قال: فما رفعها إلى فيه»[2].

وعن أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، فلما أتينا تبوك قال: «أما إنها ستهبُّ ريحٌ شديدة، فلا يقومن أحدٌ، ومن كان معه بعير فليعقِلْه».

فعقلناها، وهبَّت ريح شديدةٌ فقام رجل فألقته بجبل طيء[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: «لا بأس، طهور إن شاء الله»، فقال له: «لا بأس، طهور إن شاء الله».

قال[4]: قلت: طهور؟ كلا، بل هي حمى تفور - أو تثور -، على شيخ كبير، تُزيره القبور.

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه مسلم (2021).

(3) رواه البخاري (1482) ومسلم (1392).

(4) أي الأعرابي.

فقال النبي ﷺ: «فنعم إذًا»[1].

وعن شرحبيل الجعفي قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، إذ جاءه أعرابي طويل أبيض، فقال: يا رسول الله، شيخ كبير، به حمى تفور، تُزيره القبور.

فقال رسول الله ﷺ: «شيخ كبير، به حمى تفور، هي له كفارة وطهور».

فأعادها، وأعادها عليه النبي ﷺ، فأعادها ثلاث مرات أو أربعة.

قال النبي ﷺ: «أما إذا أبيت فهي كما تقول، وما قضى الله فهو كائن».

قال: فما أمسى من الغد إلا ميتًا[2].

وعن سعيد بن المسيَّب بن حزْن عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما اسمك؟»

قال: حزن.

قال: «أنت سهل».

قال: ما أنا بمغير اسمًا سمانيه أبي.

قال ابن المسيَّب: فما زالت فينا الحزونة بعد[3].

(1) رواه البخاري (3616).

(2) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (7/ 306).

(3) رواه البخاري (6190).

أ- فصل في أنواع المعصية

ومعصية النبي ﷺ أربعة أنواع، صغائر وكبائر وبدع وكفر.

فأما الكبيرة فهي كل ذنب ورد في حق فاعله لعنة أو غضب أو وعيد بالنار أو حد، قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: وهذا أمثل الأقوال[1].

وصاحب الكبيرة تحت المشيئة في الآخرة، إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له، فعلى هذا فينبغي الحذر من الوقوع في الكبائر، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

ومن ذلك السرقة وشرب الخمر وأكل الربا والزنا وقطيعة الرحم ونحو ذلك، فكل هذه ورد فيها إما حد في الدنيا أو نص على عقوبة في الآخرة أو كلاهما.

وأما الصغيرة فهي الذنب الذي لم يرد فيه حد في الدنيا ولا وعيد خاص في الآخرة[2].

غير أنه ينبغي التنبيه إلى أن الصغيرة إذا استمر عليها الإنسان ولم يتب منها صارت كبيرة، فعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»، وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلًا: «كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم،

---

(1) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي، (2/ 525)، (الناشر مؤسسة الرسالة، ط 1418 هجري)، و «مجموع فتاوى ابن تيمية» (11/ 650)، والجرجاني في كتابه «التعريفات».

(2) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (11/ 650 – 651)، وعزا هذا القول لابن عباس وأبو عبيد القاسم بن سلام والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم، وقال: هو أمثل الأقوال.

فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادًا فأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها»[1]، ولهذا قالت العلماء: الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة.[2]

وأما **الكفر** فهو ارتكاب شيء من نواقض الإسلام، كعبادة غير الله، من الأنبياء أو الصالحين أو قبورهم، أو سب الله أو رسوله أو الدين، أو الاستهزاء بشيء منها، أو رد شيء معلوم من الدين بالضرورة كالإيمان بالله أو إنكار أن شرب الخمر حرام – مثلًا، أو اعتقاد أن غير هدي النبي ﷺ أفضل من هدي النبي ﷺ، أو ارتكاب السحر، أو مظاهرة الكافرين على المؤمنين رغبة في دينهم.

وموجبات الوقوع في الكفر كثيرة، ذكرها العلماء في باب المرتد في كتب الفقه.

بـ فصل في البدعة

وأما البدعة؛ فالابتداع لغة هو الاختراع والإحداث، وشرعًا هو إحداث عبادة أو اعتقاد في الدين لم تأت بها الشريعة.

والبدع تكون في الاعتقادات وتكون في الأعمال، وإن شئت فقل في العبادات.

وسيأتي مزيد كلام في البدعة في الحق الرابع إن شاء الله.

ودوافع معصية النبي ﷺ - بأنواعها الأربعة المذكورة - لا تخرج عن ثلاثة: اتباع هوى النفس، القول بالرأي، التقليد الأعمى.

---

(1) رواه أحمد (1/ 402 – 403)، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره.

(2) قاله النووي في شرحه على صحيح مسلم، شرح حديث رقم (87).

أ- فصل في اتباع الهوى

اتباع الهوى – أي هوى النفس - يقود إلى أنواع المعاصي الأربع كلها، فإنه يقود إلى ارتكاب الصغائر، كالنظرة الحرام مثلًا، ثم إذا أصر المرء على تلك الصغيرة؛ اجتمعت تلك الصغائر فصارت كبيرة، كما تقدم.

واتباع هوى النفس يقود أيضًا إلى ارتكاب كبائر الذنوب كالزنا وآفات اللسان كالكذب والغيبة وأكل الربا وشرب الخمر والصلاة عند القبور وغير ذلك من الذنوب التي ورد في حقها الوعيد الشديد لمن ارتكبها.

واتباع الهوى يقود أيضًا إلى الوقوع في البدع، والابتداع هو فعل عبادات لم ترد في الكتاب ولا السنة، كالتسبيح الجماعي بعد الصلوات، وصلاة الظهر بعد صلاة الجمعة، والاحتفال بالمولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج، وغير ذلك من الأفعال التي يرتكبها بعض الناس لتقربه إلى الله، وهي لا تزيده إلا بعدا؛ لأنها لم يشرعها الله، وقد سماها النبي ﷺ ضلالة، كما في الحديث: «كل بدعة ضلالة»[1].

كما أن هوى النفس يقود أيضًا إلى الكفر، فكم من إنسان يعرف أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يقبل الله دينًا سواه، ومع هذا يعرض عنه تقليدًا لما كان عليه آباؤه وأجداده، وهذا هو عين الانقياد لهوى النفس، كما فعل أبو طالب عم النبي ﷺ لما رفض الدخول في دين الإسلام، ليس بدافع كراهية الحق، ولكنها الأنفة والخوف من ملامة قومه أو سبهم له، فقال في «لاميته»:

(1) سيأتي تخريجه، وراجع للاستزادة كتاب «معجم البدع» لرائد صبري، الناشر دار العاصمة.

ولقــد علمــت بــأن ديــن محمــد مــن خــير أديــان البريــة دينــا
لــولا الملامــة أو حــذار مــسبة لوجــدتني ســمحًا بــذاك مبينــا

وقال فيه أيضًا:

قــد علمــوا أن ابننــا لا مكــذب لــدينا ولا يعنــي بقــول الأباطــل

ومن مظاهر الهوى؛ الحسد، وقد ردت اليهود دعوة النبي ﷺ حسدًا للعرب أن خرج النبي ﷺ منهم، وإلا فإنهم يعرفون أنه نبي من عند الله، ولكنهم كانوا يترقبون خروجه منهم -أي من اليهود-، فلما خرج من العرب ردوا دعوته وكفروا بها، قال الله تعالى عنهم:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

ومن مظاهر الهوى؛ الكبر، ومن هذا إباء الشيطان أن يسجد لآدم لما أمره الله بذلك، لكونه قد خلقه الله من نار وخلق آدم من طين.

وربما كان هناك صور أخرى لاتباع الهوى توجد في مظانها [1].

وقد جاء تحذير السلف رحمهم الله - من الصحابة والتابعين - من اتباع الهوى، ومن ذلك ما قاله الشعبي: إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار [2].

قال أبو العالية: ما أدري أي النعمتين علي أعظم؛ إذ أخرجني الله من الشرك إلى الإسلام، أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوى [3].

---

(1) يراجع للاستزادة كتاب «اتباع الهوى، خطره، مظاهره، علاجه»، للدكتور سليمان الغصن، الناشر دار العاصمة.

(2) رواه اللالكائي (229).

(3) رواه اللالكائي (230).

ب- فصل في القول بالرأي

المقصود بالرأي هو الرأي الباطل الغير مستند إلى دليل أو قياس صحيح، وإنما مستنده ثلاثة أمور؛ إما الإعجاب بالعقل، ومن ثم تقديم ما يمليه عليه عقله على الدليل النقلي، أو القياس الخاطئ، أو الاستحسان والذوق.

فأما الإعجاب بالعقل فمن أمثلته أن رد بعض المعجبين بعقولهم حديث أبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء»[1].

وآخر من علماء الجيولوجيا سألته شخصيًّا عن حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم»[2].

فقال إن سبب سواده هو وجود مادة النيكل فيه وردّ الحديث !!!

وآخر من علماء الجيوفيزياء أخبرني شخصيًّا بالوقت الذي تقوم فيه الساعة – بزعمه – بناء على حسابات رياضية !

وأما القياس الخاطئ؛ فغالب من يقع فيه من لا يعرف ضوابط القياس الشرعي الصحيح فيخطئ الإجابة.

وأما مسألة الاستحسان والذوق فغالبه استحسان عبادات لم تأت في الشريعة، وهي التي تعرف بالبدع، ومن الأمثلة على ذلك: ما رواه أنس بن

---

(1) رواه البخاري (5782).

(2) رواه الترمذي (877) وقال: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح.

مالك: أن ثلاثة رهط[1] أتوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها[2]، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[3].

وفي رواية مسلم: (لا آكل اللحم) بدلًا من (أصوم ولا أفطر).

ولسان حال المبتدع أن الله لم يتم الدين، أو أن النبي ﷺ لم يبلغه، وأنه أعلم بدين الله من النبي ﷺ وصحابته، وكل هذه الدعاوى الثلاث باطلة، وسيأتي - قريبًا إن شاء الله - ذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية في الحث على الاعتصام بالقرآن والسنة والحذر من البدع التي ابتدعها من جاء بعد القرون الثلاثة المفضلة الأولى.

وقد جاء تحذير السلف رحمهم الله - من الصحابة والتابعين - من القول بالرأي، فقد قال علي رضي الله عنه : «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه»[4].

---

(1) الرهط هم العدد من الرجال.

(2) وهذا موضع الشاهد.

(3) رواه البخاري (5063)، ورواه مسلم (1401) بنحوه.

(4) رواه أبو داود رقم (162) وغيره، وصححه الألباني رحمه الله ، وهو مروي عن عمر، رواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (479).

وروى الدارمي عن ابن عباس قال: من أحدث رأيا ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ؛ لم يُدر ما هو عليه إذا لقي الله ﷻ[1].

وكتب عمر بن عبد العزيز: إنه لا رأي لأحد في كتاب الله، وإنما رأي الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ، ولا رأي لأحد في سنةٍ سنها رسول الله ﷺ[2].

وعن عمر بن عبد العزيز قال: سن رسول الله وولاة الأمر بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بما سنّوا اهتدى، ومن استبصر بها تبصر، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا[3].

وروى الدارمي عن أبي نضرة قال: لما قدم أبو سلمة البصرة أتيته أنا والحسن، فقال للحسن: أنت الحسن؟ ما كان أحد بالبصرة أحب إلي لقاء منك، وذلك أنه بلغني أنك تفتي برأيك، **فلا تفت برأيك** إلا أن تكون سنة عن رسول الله ﷺ أو كتاب منزل[4].

---

(1) رواه الدارمي في المقدمة، باب الفتيا وما فيها من الشدة، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها»، باب تغيير البدع.

(2) رواه الدارمي في المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ، وذكره المروزي مختصرًا عن بعض السلف عن عمر بن عبد العزيز في « تعظيم قدر الصلاة » (745).

(3) رواه الخطيب البغدادي في كتاب « الفقيه والمتفقه »، باب القول في أنه يجب اتباع ما سنّه أئمة السلف (455)، و « الشريعة » للآجري (1/ 106)، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (2/ 320).

(4) رواه الدارمي في المقدمة، باب الفتيا وما فيها من الشدة.

ولقي ابن عمر جابر بن زيد في الطواف فقال: يا جابر، إنك من فقهاء أهل البصرة، وإنك ستستفتى، فلا تفتين الا بقرآن ناطق أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت[1].

وروى ابن عساكر عن أبي بصرة أن أبا سلمة – وهو قاضي المدينة وفقيهها – قدم البصرة، فلما رأى الحسن قال له: من أنت؟ فقال: أنا الحسن بن أبي الحسن، قال: ما كان بهذا المصر أحد أحب إلي أن ألقاه منك، وذلك أنه بلغني أنك تفتي الناس، فاتق الله يا حسن، وأفتِ الناس بما أقول لك، وأفتهم بشيء من القرآن قد علمته، أو سنة ماضية قد بينتها الصالحون والخلفاء، وانظر رأيك **الذي هو رأيك فألقه**[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا ينزِع العلم بعد إن أعطاكموه انتزاعًا، ولكن ينتزِعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يُستفتون فيُفتون برأيهم، فيَضلون ويُضلون»[3].

وروى سعيد بن منصور في « سننه » عن ابن أبي مليكة قال: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن آية من كتاب الله عز وجل، قال: أية أرض تقلني، أو أية سماء تظلني، أو أين أذهب وكيف أصنع؛ إذا أنا قلت في آية من كتاب الله بغير ما أراد الله بها؟[4]

---

(1) رواه أبو نعيم في «الحلية»، (3/ 102)، والدارمي في سننه، باب الفتيا وما فيها من الشدة، والخطيب في كتاب « الفقيه والمتفقه » (490).

(2) « تاريخ دمشق » (29/ 306)، ط دار الفكر.

(3) رواه البخاري (7307)، ومسلم (2673)، واللفظ للبخاري.

(4) ص 168، الناشر دار الصميعي.

وروى البيهقي عن عبيد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **اتقوا الرأي في دينكم**[1].

وروى ابن عبد البر عن عمرو بن حريث قال: قال عمر رضي الله عنه: إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا **بالرأي، فضلوا وأضلوا**[2].

وبإسناده عن عبد الله قال: لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شر من الذي قبله، أما إني لا أقول أمير خير من أمير، ولا عام أخصب من عام، ولكن فقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفًا، ويجيء قوم يقيسون الأمور **برأيهم**[3].

وبإسناده عن ابن عباس قال: إنما هو كتاب الله وسنة رسوله، فمن قال **بعد ذلك برأيه فما أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته**[4].

وروى الدارمي في «سننه» بسنده عن الشعبي قال: ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله ﷺ فخذوا به، وما كان من رأيهم فاطرحوه في الحش[5].

---

(1) «المدخل إلى السنن الكبرى» (210)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (2/ 210).

(2) «جامع بيان العلم وفضله» (2/ 211)، وقد روي هذا الأثر بعدة أسانيد عن عمر، قال عنها ابن القيم رحمه الله: وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة. «إعلام الموقعين»، فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي، (1/ 63)، الناشر دار الكتاب العربي.

(3) «جامع بيان العلم وفضله» (2/ 211).

(4) «جامع بيان العلم وفضله» (2/ 214).

(5) المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي.

أـ فصل في التقليد

التقليد هو الدافع الثالث من دوافع مخالفة النبي ﷺ، والتقليد هو الرجوع إلى قول بدون معرفة دليله، ولا تمحيص لصحته، وإنما انقياد أعمى لما كان عليه الآباء والأجداد، أو العلماء والشيوخ، وربما لهما معًا.

والواجب هو اتباع النبي ﷺ بالدليل الشرعي من الكتاب أو السنة أو كلاهما، والتقليد الأعمى خلاف الاتباع.

والاتباع بالدليل وسط بين طرفين، هما التقليد واتباع الرأي، وبيان ذلك أن التقليد فيه تعطيل للعقل، واتباع الرأي فيه تقديم العقل على النقل، وأما الاتباع فهو تسليم العقل لما يمليه النقل، المنزل من لدن الحكيم الخبير.

وخطورة التقليد تكمن في اتباع قول باطل، لعالم أو غير عالم، وسواء في العقيدة أو الشريعة أو السلوك، فيحصل بهذا الإثم، وقد بُلي بهذا كثير من المسلمين.

والتقليد لا يجوز إلا لواحد وهو النبي ﷺ، وما سواه فلا يجوز تقليدهم إلا إذا كانوا مستندين على الدليل، والله المستعان.

قال ابن تيمية رحمه الله:

والواجب على كل مسلم يشهد أن (لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)؛ أن يكون أصل قصده توحيد الله، بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله، يدور على ذلك ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصارًا مطلقًا عامًّا إلا لرسول الله ﷺ، ولا

لطائفة انتصارًا مطلقًا عامًّا إلا للصحابة ﭫ أجمعين، فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، فإذا أجمعوا لم يُجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء، فإنهم قد يُجمعون على خطأ، بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ، فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلّما إلى عالم واحد وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرًا لرسول الله ﷺ، وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم.

ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول قبل وجود المتبوعين الذين تنسب إليهم المذاهب في الأصول والفروع، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم علِم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة، فلابد أن يكون قوله إن كان حقًّا مأخوذًا عما جاء به الرسول، موجودًا فيمن قبله، وكل قول قيل في دين الإسلام مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون - لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه - فإنه قول باطل. انتهى[1].

وقال أحمد بن حنبل: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة[2].

قال ابن الجوزي ﭬ:

وفي التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن أُعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة.

---

(1) « منهاج السنة النبوية » (5/ 261 - 263).

(2) رواه ابن الجوزي عنه في كتابه « مناقب الإمام أحمد بن حنبل »، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر دار هجر، ص 249.

واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظُم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر لما قال، وهذا عين الضلال؛ لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل، كما قال علي رضي الله عنه للحارث بن حوط وقد قال له: أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل؟

فقال له: يا حارث، إنه ملبوس عليك، إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله.

وكان أحمد بن حنبل يقول: من ضِيق علم الرجل أن يقلد في اعتقاده رجلًا.

ولهذا أخذ أحمد بن حنبل بقول زيد في الجد(1) وترك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه(2).

فإن قال قائل: فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون؟

فالجواب: ينبغي للعامي أن يجتهد في اختيار العالم الذي يقلده، فيختار شديد التمسك بالسنة، الشديد الخوف من الله.

قال ابن عبد البر رحمه الله: إن العامة لابد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها، لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل لعدم الفهم إلى علم ذلك، لأن العلم درجات، لا سبيل إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة، والله أعلم.

---

(1) أي في إسقاط الجد للورثة من إخوة وأخوات أو عدم إسقاطه.

(2) «تلبيس إبليس»، ذكر تلبيس إبليس على أمتنا في العقائد والديانات، ص 481، ط مدار الوطن للنشر، باختصار يسير.

ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله ﷻ: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وأجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بمَيزه بالقبلة[1] إذا أشكلت عليه، فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به؛ لا بد له من تقليد عالمه.

وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا، وذلك والله أعلم لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم والقول في العلم[2].

قال ابن تيمية ؒ: والذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة، والتقليد جائز في الجملة، لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد، فأما القادر على الاجتهاد فهل يجوز له التقليد؛ هذا فيه خلاف، والصحيح أنه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد، إما لتكافؤ الأدلة، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإما لعدم ظهور دليل له[3].

ومن أمثلة التقليد الباطل في مسائل العقيدة ما هو واقع في بعض مجتمعات المسلمين مما هو كفر؛ كدعاء أصحاب القبور والذبح لها.

ومن أمثلة التقليد الباطل في مسائل العقيدة - مما هو من البدع الغير مكفرة - بدعة المولد النبوي والصلاة عند القبور، اعتقادًا أن للصلاة عندها مزية وفضيلة فحسب، وأما من قصد بصلاته التقرب لذلك الميت فهو مشرك قطعًا.

---

(1) أي تمييزه ومعرفته للقبلة.

(2) «جامع بيان العلم وفضله» (2/ 989).

(3) «مجموع الفتاوى» (20/ 203-204).

ومن أمثلة التقليد الباطل في مسائل الشريعة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة، وابتداع أذكار وأدعية نبوية تقال بعد الصلوات لم ترد عن النبي ﷺ ولا عن صحابته.

وأكثر الذين يفعلون ذلك يفعلونه بدافع التقليد الأعمى لمجتمعاتهم، بدون بينة ولا برهان، وربما لو بين لهم الحق لتركوا ما هم عليه.

والتقليد يجوز عند الضرورة، في حق الرجل العامي الذي ليس عنده مقدرة على البحث عن الحق، فمثل هذا يجوز في حقه أن يقلد أحدًا من أهل العلم الموثوق بعلمهم ودينهم في البلد، المعروفين بالتمسك بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمثل هؤلاء إذا وُجدوا فلا يجوز العدول عنهم إلى غيرهم.

وقال ابن القيم رحمه الله:

والمصنفون في السنة جمعوا بين فساد التقليد وإبطاله وبيان زلة العالم ليبينوا بذلك فساد التقليد، وأن العالِم قد يزِل ولا بُد، **إذ ليس بمعصوم، فلا يجوز قبول كل ما يقوله** ويُنَزَّل قوله منزلة قول المعصوم، فهذا الذي ذمّه كل عالم على وجه الأرض، وحرّموه، وذموا أهله، وهو أصل بلاء المقلدين وفتنتهم، فإنهم يقلدون العالم فيما زلّ فيه وفيما لم يزل فيه، وليس لهم تمييز بين ذلك، فيأخذون الدين بالخطأ ولابد، فيُحِلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، ويُشرِّعون ما لم يشرع، ولا بدّ لهم من ذلك، إذ كانت العصمة منتفية عمن قلدوه، فالخطأ واقع منه ولابد[1].

---

(1) « إعلام الموقعين » (2/ 169)، ذكر تفصيل القول في التقليد وانقسامه، الناشر دار الكتاب العربي.

وقد جاء التحذير القرآني من التقليد الأعمي في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

كما جاء التحذير النبوي من التقليد الأعمى، لكون ذلك سببًا للزلل، فإن خطورة التقليد كما تقدم تكمن في زلة العالم، ثم قلده من قلده، وفي التمسك بالأثر عصمة من الزلل بإذن الله، فعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟

قال: قلت: لا.

قال: **يهدمه زلة العالم**، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين[1].

ومن المعلوم أن المخُوف من زلة العالم **تقليده فيها**، إذ لولا التقليد لما خيف من زلة العالم على غيره.

وأما آثار السلف في التحذير من التقليد فكثيرة جدًّا، ومن ذلك ما قاله ابن عباس: ويل للأتباع من عثرات العالم.

قيل: كيف ذلك؟

قال: يقول العالم شيئًا برأيه، ثم يجد من هو أعلم برسول الله ﷺ منه، فيترك قوله ذلك ثم يمضي الأتباع[2].

أ-وفيما يلي طائفة من كلام **الأئمة الأربعة** في التحذير من التقليد، نقلت عامتها مع تخاريجها من مقدمة كتاب «صفة صلاة النبي ﷺ»[3] للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله.

(1) رواه الدارمي في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي.

(2) «جامع بيان العلم وفضله» (2/ 165 – 166).

(3) ط 1424 هـ.

أبو حنيفة النعمان رحمه الله

فأما أولهم وهو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله، فقد روى عنه أصحابه أقوالًا شتى وعبارات متنوعة، كلها تؤدي إلى شيء واحد وهو: وجوب الأخذ بالحديث، وترك تقليد آراء الأئمة المخالفة له، فمن هذا قوله رحمه الله: إذا صح الحديث فهو مذهبي[1].

وقال: لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه[2].

وفي رواية: حرام على من لم يعرف دليلي أن يُفتي بكلامي.

وزاد في رواية: فإننا بشر، نقول القول اليوم، ونرجع عنه غدًا.

وفي رواية أخرى: ويحك يا يعقوب[3]، لا تكتب كل ما تسمع مني، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غدًا، وأرى الرأي غدًا وأتركه بعد غد.

علق الألباني رحمه الله بقوله: وذلك لأن الإمام كثيرًا ما يبني قوله على القياس، فيبدو له قياس أقوى، أو يبلغه حديث عن النبي ﷺ فيأخذ به ويترك قوله السابق.

وقال: إذا قلت قولًا يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ﷺ؛ فاتركوا قولي[4].

مالك بن أنس رحمه الله

وأما الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال:

إنما أنا بشر، أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه[5].

(1) «حاشية ابن عابدين» (1/ 63)، كما في «صفة الصلاة».
(2) «حاشية ابن عابدين» على البحر الرائق (6/ 293)، كما في «صفة الصلاة».
(3) هو أبو يوسف.
(4) ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص 50)، المطبعة المنيرية.
(5) رواه عنه ابن عبد البر في «الجامع» (1/ 622).

وقال: ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي ﷺ[1].

محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله

قال رحمه الله: ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزُب[2] عنه، فمهما قلت من قول، أو أصلت من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت؛ فالقول ما قال رسول الله ﷺ، وهو قولي[3].

وقال: أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ؛ لم يحل له أن يدعها لقول أحد[4].

وقال: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ؛ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ، ودعوا ما قلت[5].

وفي رواية: فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى قول أحد[6].

وقال: إذا صح الحديث فهو مذهبي[7].

وقال: كل مسألة تكلمت فيها، صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل

---

(1) عزاه الألباني إلى ابن عبد البر في «الجامع» ولم أجده، والذي وجدته ما نقله الذهبي عنه في السير وهو مشهور عنه: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ.
وقد رواه ابن عبد البر في جامعه من عدة طرق عن مجاهد (2/ 118-119)، ورواه أيضًا عن الحكم بن عتيبة (2/ 118).

(2) أي تغيب عنه.

(3) رواه الحاكم بسنده المتصل إلى الشافعي كما في «تاريخ دمشق». (نقلا من «صفة الصلاة»).

(4) ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص 68).

(5) رواه البيهقي في المدخل (1/ 224) والفقيه والمتفقه (1/ 389).

(6) رواه أبو نعيم في «الحلية» (9/ 114).

(7) ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص 107).

النقل بخلاف ما قلت؛ فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي[1].

وقال: اشهدوا أني إذا صح عندي الحديث عن رسول الله ﷺ فلم آخذ به فإن عقلي قد ذهب[2].

وقال: كلما قلت، وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح؛ فحديث النبي ﷺ أولى، ولا تقلدوني[3].

وقال: كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي، وإن لم تسمعوه مني[4].

وقال أيضًا: إذا صح عن رسول الله ﷺ حديث، وقلت قولًا؛ فأنا راجع عن قولي، قائل بذلك[5].

أحمد بن حنبل رحمه الله

قال رحمه الله : لا تقلدوني، ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا[6].

وفي رواية: لا تقلد في دينك أحدًا من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعدُ؛ الرجل فيه مخير.

وقال مرةً: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء به النبي ﷺ وعن الصحابة، ثم هو مِن بعد التابعين مخير[7].

---

(1) رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله»، كما في «صفة الصلاة».

(2) رواه أبو نعيم في «الحلية» (9/ 113)، وبنحوه روى البيهقي في «المدخل» (1/ 225)، والفقيه والمتفقه (1/ 388-389).

(3) رواه أبو نعيم في «الحلية» (9/ 113).

(4) رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي»، ص 93 - 94، كما في «صفة الصلاة».

(5) رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (2/ 303)، رقم (399)، مكتبة الغرباء.

(6) ذكره الفلاني (ص 113).

(7) ذكرهما أبو داود في «مسائل الإمام أحمد» (ص 276 - 277)، طبعة المنار.

وقال: رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي سفيان كله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار[1].

وقال: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة[2].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: -

فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول ﷺ أن يبينه للأمة، وينصح لهم، ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيمٍ من الأمة، فإن أمْر رسول الله ﷺ أحقُّ أن يعظم ويقتدى به مِن رأي معظَّمٍ قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأً، ومن هنا ردّ الصحابة ومن بعدهم على كل من خالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد، لا بغضًا له، بل هو محبوب عندهم معظم في نفوسهم، لكن رسول الله ﷺ أحب إليهم، وأمره فوق أمر كل مخلوق، فإذا تعارض أمر الرسول ﷺ وأمر غيره؛ فأمر الرسول ﷺ أولى أن يقدم ويتبع، ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفورًا له[3]، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يُخالَف أمره إذا ظهر أمر الرسول ﷺ بخلافه. انتهى[4].

---

(1) رواه ابن عبد البر في «الجامع» (2/ 242).

(2) روى ذلك ابن الجوزي عنه في كتابه «مناقب أحمد»، الباب الثاني والعشرون في ذكر تعظيمه لأهل السنة والنقل، ص 249، الناشر دار هجر للنشر والتوزيع، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.
كما عقد ابن الجوزي في الكتاب المذكور بابا ذكر فيه أقوالًا للإمام أحمد في الحث على التمسك بالسنة والأثر، فليراجعه من أراد الاستزادة.

(3) علق الألباني هنا فقال: بل هو مأجور، لقوله ﷺ: إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد. رواه الشيخان وغيرهما. «صفة الصلاة»، ص 49، ط 1424 هـ.

(4) نقله ابن رجب في تعليقه على «إيقاظ الهمم»، ص 93، كما في « صفة الصلاة ».

وقد كان السلف يعظمون أمر النبي ﷺ ويقدمونه ولو خالف أمر آبائهم وعلمائهم، كما روى أبو يعلى في « مسنده »[1] بإسناد جيد رجاله ثقات[2] عن سالم بن عبد الله بن عمر قال:

جلس رجل من أهل الشام إلى عبد الله بن عمر وأنا معه، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، ما ترى في التمتع بالعمرة إلى الحج؟

فقال له عبد الله: حسن جميل لمن صنع ذلك.

فقال له الرجل: فإن أباك قد كان ينهى عنها.

فغضب عبد الله ثم قال: ويلك أرأيت إن كان أبي نهى عنها وكان رسول الله ﷺ عمل بها، أمر رسول الله ﷺ تأخذ أم بأمر أبي؟

قال: لا، بل بأمر رسول الله.

قال: فإن رسول الله ﷺ قد فعل ذلك، فقم لشأنك.

قال الألباني رحمه الله: إسناد جيد، رجاله ثقات[3].

قال مقيده عفا الله عنه: وقد كان عمر ينهى عن المتعة ويأمر بالإفراد لئلا يهجر البيت خلال بقية العام؛ لأن الناس إذا جمعوا بين الحج والعمرة في الحج هجروا العمرة خلال العام، فنهى عمر عن التمتع وأمر بالإفراد حتى يضطر الناس للاعتمار خلال العام لمن أراد ذلك، هذا رأيه رضي الله عنه، وخالفه ابنه عبد الله؛ لأن هذا مخالف لسنة رسول الله ﷺ الفعلية، فقد حج النبي ﷺ واعتمر لما حج حجة الوداع.

---

(1) برقم (54541).

(2) قال هذا الشيخ الألباني رحمه الله.

(3) «صفة صلاة النبي ﷺ»، ص 48، ط 1424 هـ.

خلاصة

وخلاصة القول هو أن الواجب هو الاعتصام بالكتاب والسنة، والحذر من معصية النبي ﷺ أيا كانت دوافعها ودواعيها، فإن من اعتصم بالكتاب والسنة نجا، ومن حاد عنهما هلك، كما قال النبي ﷺ في مرض وفاته: «خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله وسنتي»[1].

وسيأتي إن شاء الله ذكر بعض الآيات والأحاديث والآثار الواردة في باب الاعتصام بالسنة والحذر من البدع في الحق الرابع؛ وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

(1) رواه الخطيب في «كتاب الفقيه والمتفقه» (1/ 274).

الحق الرابع

أن لا يعبد الله إلا بما شرع، وليس بالأهواء والبدع

من الأمور التي سار عليها السلف في طاعتهم واتباعهم للنبي ﷺ؛ اتباع ما جاء في الكتاب والسنة والاعتصام بهما.

ومن الأمور التي سار عليها السلف كذلك؛ محاربتهم للأهواء المتمثلة في **المعصية والتقليد والرأي والبدعة**، فالسلف يعدون ذلك المربع مرضًا خطيرًا، متى استشرى وانتشر في الأمة فإنه يفتك بعقيدتها وما هي عليه من الاتباع، وقد تقدم الكلام في التحذير من الثلاثة الأول، وفيما يلي جملة من الآيات والأحاديث والآثار الواردة عن السلف – من الصحابة والتابعين – في الحذر من البدع، ولزوم الكتاب والسنة.

فصـــل

في الأمر بالاعتصام بالسنة والحذر من البدعة

عن العرباض بن سارية قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟

قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًا مجدعًا[1]،

(1) أي مقطع الأطراف، والذي يسمى في زماننا بالمعوق.

فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ[1]، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[3].

وفي رواية لمسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[4].

قال ابن رجب رحمه الله: هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث «إنما الأعمال بالنيات» ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب؛ فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء. انتهى.

وعن حذيفة بن اليمان قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: نعم.

---

(1) النواجذ آخر الاضراس، ولكل إنسان أربع نواجذ.

(2) رواه ابن حبان (1/ 179) واللفظ له، وأبو داود (4607)، وابن ماجه (42)، والترمذي (2676)، وأحمد (4/ 126 – 127)، وغيرهم، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

(3) رواه البخاري (2697) ومسلم (1718).

(4) رواه مسلم (1718).

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: نعم، وفيه دَخن[1].

قلت: وما دخنه؟

قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر.

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها.

قلت: يا رسول الله، صفهم لنا.

فقال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا.

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تَعَض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[2].

(1) دخن أي فساد واختلاف. «النهاية».

(2) رواه البخاري (3606)، ومسلم (1847).

فصل

في معالم الاعتصام بالسنة والحذر من البدع

ومعالم الاعتصام بالسنة والحذر من البدعة تتجلى بمعرفة عشرين مقدمة[1]:

1. أن دين الإسلام مبني على أصلين عظيمين؛ الأول: أن لا يعبد إلا الله وحده، وهو معنى شهادة ألا إله إلا الله، والثاني: أن لا يعبد إلا بما شرع، وهو مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله.

وارتكاب الشرك ضد الأصل الأول، وارتكاب البدع ضد الأصل الثاني، والله الهادي إلى سواء السبيل.

2. أن العمل لا يكون مقبولًا إلا إذا توافر فيه شرطان؛ الأول: أن يكون المقصود به وجه الله تعالى، وضده الشرك بنوعيه؛ الأكبر وهو التقرب للمخلوقين، والأصغر وهو الرياء.

والشرط الثاني: هو متابعة النبي ﷺ.

ودليل هذين الشرطين قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2]؛ قال: أخلصه وأصوبه.

---

(1) للأمانة العلمية ونسبة الفضل لأهله؛ فقد استفدت بعض هذه المقدمات من كتاب «الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

(2) سورة الملك: 2.

قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة[1].

3. ولكي يكون الإنسان متأسيًا بالنبي ﷺ في عبادته، فعليه أن يلاحظ أمورًا ستة:

أولًا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها، فأي إنسان يتعبد لله بعبادة مبنية على سبب لم يثبت بالشرع فهي عبادة مردودة، فلو أضاف إنسان صلاة سادسة غير الصلوات الخمس لكانت عبادته هذه مردودة؛ لأنه ليس لها سبب شرعي في الكتاب والسنة.

---

(1) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (8/ 98)، قال: حدثنا أبي، ثنا محمد بن أحمد بن يزيد ومحمد بن جعفر قالا: ثنا إسماعيل ابن يزيد، ثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: الغبطة من الإيمان والحسد من النفاق، والمؤمن يَغبط ولا يَحسد، والمنافق يَحسد ولا يَغبط، والمؤمن يَستر ويعظ وينصح، والفاجر يَهتك ويعير ويفشي.

وسمعته يقول: قيل لسفيان بن عيينة: ويل لك إن لم يُعف عنك، إذا كنت تزعم أنك تعرفه وأنت تعمل لغيره.

وسمعته يقول: كان يقال: لا يزال العبد بخير ما إذا قال؛ قال لله، وإذا عمل؛ عمل لله.

سمعته يقول في قوله: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾، قال: أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة.

وسمعته يقول: ترك العمل من أجل الناس هو الرياء، والعمل من أجل الناس هو الشرك. انتهى مختصرًا.

ودليل هذه الأصل قول الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾، وقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا[1] ما ليس منه فهو رد»[2].

وفي رواية: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[3].

قال الألباني رحمه الله: (أي من أحدث في الإسلام ما ليس في الإسلام في شيء، ولم يشهد له أصل من أصوله؛ فهو مردود ولا يلتفت إليه، وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين الجليلة، فينبغي حفظه وإشهاره في إبطال المحدثات والبدع)[4].

ثانيًا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة **في جنسها**، فلو ضحى إنسان بفرس لم تقبل أضحيته؛ لأنه مخالف للشريعة في جنسها؛ لأن الأضحية لا تكون إلا من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم.

ثالثًا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة **في قدرها**، فلو أن إنسانًا صلى الظهر ستًا، لكانت عبادته غير مقبولة؛ لأنها مخالفة للشريعة في قدرها، ولو طاف بالبيت ثمانية أشواط لكانت الأشواط الإضافية مردودة عليه غير مقبولة.

رابعًا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة **في كيفيتها** (أي صفتها)، فلو أن إنسانًا توضأ، لكنه غسل رجليه ثم مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم غسل

---

(1) المقصود بالأمر هو الدين.

(2) رواه البخاري (2697)، ومسلم (1718) عن عائشة رضي الله عنها.

(3) رواه مسلم (1718)، وأحمد (6/ 146).

(4) حاشية «رياض الصالحين»، حديث رقم (173).

وجهه؛ فهذا وضوؤه غير مقبول، وبالتالي صلاته غير صحيحة؛ لأنه خالف الشريعة في كيفية الوضوء الواردة عن النبي ﷺ.

خامسًا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **زمانها**، فلو أن إنسانًا صام صيام الفرض في شعبان أو في شوال، وليس في رمضان، أو صلى الظهر قبل الزوال، فهذا صيامه غير صحيح، وكذا صلاته؛ لأنه خالف الشريعة في زمان العبادة المحددة لها من قبل الشارع الحكيم.

سادسًا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **مكانها**، فلو أن حاجًّا وقف يوم عرفة بمزدلفة لم يصح وقوفه، وعليه إعادة حجة؛ لأن عبادته لم توافق الشرع في مكانها.

وكذلك لو أن إنسانًا اعتكف في منزله فلا يصح اعتكافه؛ لأن مكان الاعتكاف هو المسجد.

فهذه ستة أوصاف لا تتحقق متابعة النبي ﷺ إلا باجتماعها في العبادة: سببها، جنسها، قدرها، كيفيتها، زمانها، مكانها.

4. أن السنة سنتان؛ فعلية وتركية، فالفعلية هي ما فعله النبي ﷺ أو أمر به أو أقر عليه، كالأذان للصلوات الخمس، ففعله سنة نبوية.

وأما السنة التركية فهي ما تركه النبي ﷺ مع قيام المقتضي لذلك، مثل ترك الأذان لصلاة العيدين وصلاة الجنازة، فتركه سنة نبوية، وعلى هذا فقِس بقية العبادات.

5. أن الأصل في العبادات المنع إلا بدليل، والأصل في العادات الحل إلا بدليل يدل على التحريم، وهذا قاعدة هامة، تساعد المسلم على استبصار

الطريق فيما أشكل عليه، فمثال القاعدة الأولى: لو قال رجل: دعونا نزيد في الصلوات المفروضة صلاة سادسة، فهذا نقول له: إن هذا الفعل بدعة لأنه لم يرد عن النبي ﷺ في الفرائض إلا خمس صلوات في اليوم والليلة.

وكذا لو قال رجل: إنه من المستحب أن يقول المصلي في دبر كل صلاة (الله حي) مائة مرة؛ فهذا نقول له أين الدليل الشرعي، فهذه كتب الأذكار الواردة عن النبي ﷺ لم يرد فيها شيء من هذا، بل هو مما أحدثه الناس في القرون المتأخرة، فيكون فعله بدعة محدثة.

فعلى هذا فالأصل في العبادات المنع إلا إذا كانت ثابتة بدليل شرعي، وإلا لاختلق الناس كل يوم عبادة جديدة.

وأما القاعدة الثانية وهي أن الأصل في العادات الحل؛ فمثلا أكل البرتقال، فإنه من العادات وليس من العبادات، فأكله جائز، لأن الله قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾، وكذلك أكل الضب جائز لأنه من العادات، فلو قال رجل إنه حرام لقلنا له أين الدليل؟ وهكذا الأمر في سائر العادات.

6. المقدمة السادسة هي أنه لا أحد يستطيع أن يأتي بشيء يقرب إلى الله غير النبي ﷺ، فقد روى الشافعي في «مسنده» عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب مرسلًا، أن رسول الله ﷺ قال: «ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئًا مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه»[1].

(1) «مسند الشافعي» (2/ 413)، الناشر مكتبة ابن تيمية، ورواه البيهقي من طريقه في «السنن الكبرى» (7/ 76).

7. وبطلان البدع يتضح إذا علمنا كمال الشريعة، فقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾، فالدين شامل كامل لا يحتاج إلى زيادة كما أنه لا يجوز فيه النقص، ولهذا قال الله تعالى في وصف القرآن: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[1]، فما من شيء يحتاج الناس إليه في معادهم ومعاشهم إلا بينه الله تعالى في كتابه، إما نصًّا أو إيماء أو منطوقًا أو مفهومًا.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا محمد ﷺ، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا[2] منه علمًا[3].

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه: علمكم نبيكم كل شيء، حتى الخراءة[4]، فقال: أجل، «لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع[5] أو عظم»[6].

8. ومن هنا يعلم حكم الابتداع في الدين، وأنه حرام، لأن التشريع حق الله وحده، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾، وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾.

---

(1) سورة النحل: 89

(2) أي ذكر لنا.

(3) رواه أحمد (5/ 153)، وقال محققو المسند: حديث حسن.

(4) أي آداب قضاء الحاجة.

(5) الرجيع هو روث الدابة.

(6) رواه مسلم (262).

ومن دلائل تحريم البدع أن التشريع قد انقضى بموت النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾، فمن أحدث في دين الله ما ليس منه فقد جعل نفسه مشرعًا مع الله، ومقتضى فعله أن النبي ﷺ لم يُتمّ الرسالة، وأنه جاء ليتم الشريعة، وكل هذا باطل قطعًا.

9. وابتداع شيء في دين الله - ولو بقصد حسن - يعتبر تكذيبًا لله تعالى في قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، لأن هذا المبتدع كأنه يقول بلسان الحال: (إن الدين لم يكتمل)، وأنه أتى بتلك البدعة ليسد بها ذلك النقص.

10. والابتداع تقدم بين يدي الله ورسوله، وهذا من الجرأة على دين الله، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

11. وقد كان النبي ﷺ يحذر من البدع دائمًا، في كل خطبة وفي كل جمعة، ويقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[2].

وفي لفظ: «وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[3].

وهذا عام في كل البدع؛ لأن النبي ﷺ عمم ولم يخصص، وأطلق ولم يقيد، وهو الذي أوتي جوامع الكلم، فقوله «كل بدعة» لفظة كلية عامة شاملة،

---

(1) سورة الحجرات: 1.

(2) رواه مسلم عن جابر (866).

(3) رواه النسائي في «الكبرى» (5861)، الناشر مكتبة الرشد.

وهي لفظة صحيحة كما قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، حاشية (1/ 128).

مسورة بأقوى أدوات الشمول والعموم «كل»، والذي نطق بهذه الكلية يعلم مدلول هذا اللفظ، وهو أفصح الخلق، وأنصح الخلق للخلق، لا يتلفظ إلا بشيء يقصد معناه.

وقد فهم الصحابة من نبيهم هذا الفهم، فعن عبد الله بن مسعود قال: إنما هما اثنتان؛ الهدي والكلام، وأصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[1].

12. والعلم بالبدع أمر هام، من جهة معرفة تعريفها وأنواعها ومحلها؛ لأنه ربما وقع الإنسان في بدعة وهو لا يدري، ويظن أنه يحسن عملًا وأنها تقربه إلى الله، وهي لا تزيده من الله إلا بعدًا، فيكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾، فتكون الحسرة يوم لا ينفع التحسر.

وليس هذا الذي قلناه بغريب، فقد وقع أناس في الشرك، الذي هو أعظم من البدع، فكيف بالبدع، إذ أن الوقوع فيها أخف وأسرع؛ لأن أمرها ربما يخفى على الإنسان، لاسيما العامي، الذي ليس عنده بصيرة في معرفة البدعة، وليس عنده مقدرة علمية على تمحيص الأمر، والرجوع إلى كتب الحديث والأثر؛ ليستيقن أتلك العبادة واردة عن النبي ﷺ أم لا؟ وإذا كانت واردة فهل الحديث فيها ثابت عن النبي ﷺ أم أنه حديث ضعيف أو موضوع على النبي ﷺ؟

فالحاصل أن التعبد لا يكفي فيه معرفة الهدي النبوي فقط، بل لابد من

(1) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (9/ 97).

معرفة ضده، من البدع أو الشركيات، وقد أشار حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إلى هذا فقال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني[1].

13. والناس في البدع ثمانية أقسام؛

1) فمن الناس من اتبع الهدي النبوي، وأنكر البدع.

2) ومنهم من اتبع الهدي النبوي، ولم ينكر البدع.

3) ومنهم من يحب الهدي النبوي، ولكنه لم يفعله، ولم ينكر البدع.

4) ومنهم من لم يعرف الهدي النبوي، وبالتالي لم يعرف قدره، ولم ينكره.

5) ومنهم من لم يحب الهدي النبوي، ولم يبغضه.

6) ومنهم من يحب البدع، ويبغض الهدي النبوي، عياذًا بالله.

7) ومنهم من لم يحب البدع، ولم يبغضها.

8) ومنهم من لم يعرف البدع، وبالتالي لم ينكرها.

14. وقد قام أهل العلم بالذود عن حياض الشريعة، فنبهوا على البدع في كتب كثيرة، وبينوا فيها قواعد البدع وأصولها وفروعها، ومن أجود ما ألف في ذلك كتاب «الاعتصام» للشاطبي.

ومن أهل العلم من استقرأ البدع المنتشرة في الناس، ونبه عليها، وبين وجه مخالفته للهدي النبوي، وهناك كتب كثيرة للمتقدمين، من أشهرها كتاب «الحوادث والبدع» لأبي بكر الطرطوشي، وكتاب «البدع والنهي عنها» لابن وضاح القرطبي، وكتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة

(1) رواه البخاري (3606) ومسلم (1847).

المقدسي، كما أن هناك كتبا عدة لبعض المتأخرين، ومن ذلك كتاب «البدع الحولية» لعبد الله التويجري، وكتاب «معجم البدع» لرائد صبري، وغيرها من كتب أهل السنة.

15. وموارد البدع ستة:

1) الأحاديث الضعيفة[1].

2) والأحاديث الموضوعة، أو التي لا أصل لها.

3) والعادات أو العبادات المأخوذة من الكفار.

4) وما نص على استحبابه بعض العلماء بدون دليل، اجتهادًا منهم واستحسانًا، فصارت عند الناس سنة متبعة، وهذا مما يدخل في زلات العلماء.

5) والغلو في العبادات.

6) والعادات التي يستحسنها العامة والجهال من باب الذوق والاستحسان

16. والبدع ليست في خطورتها على درجة واحدة، فبعضها يفضي إلى الكفر عياذًا بالله، ككثير من بدع العقائد، وبعضها لا يفضي إلى الكفر، ككثير من بدع العبادات، وعلى كل حال فالبدع فوق الكبيرة في المرتبة، كما سيأتي بيانه، وليس في البدع ما دون ذلك، أو في مستوى المكروه أو الصغائر، وما ذاك إلا لأن البدعة فيها تعدي على الشريعة بزيادة، والزيادة تحريف، ولا أظلم من ذلك.

وإثم البدع أعظم من إثم الكبيرة بكثير، وبيان ذلك من عدة وجوه:

---

(1) قال ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (19/ 191): وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم.

الأول: أن المبتدع يعتقد أنه على صواب فيما يرتكبه من عبادات محدثة، أما فاعل الكبيرة – من سرقة أو زنا أو شرب خمر – فيعلم أنه مخطئ، فربما أحدث هذا عنده انكسارًا، فيتوب، فيتوب الله عليه.

الثاني: أن الابتداع يؤدي مع مرور الزمن إلى تغيير الدين؛ لأنه يتطور ويتفرع، أما الكبائر فالكل يعلم أنها مخالفة للدين، وأنها ليست منه، حتى أهل البدع أنفسهم.

الثالث: أن أهل البدع – في الغالب- يحاربون أهل السنة إذا نهوهم عن بدعهم، وربما فسقوهم أو كفروهم أو اتهموهم، فيزدادون إثمًا على إثمهم - عياذًا بالله، أما أهل الكبائر فإنهم إذا جاءهم من يذكرهم بالله وعقابه فإنهم إما يقبلون النصيحة ويتوبون إلى الله، وإما يردونها مع دعاء الله بأن يَمُنّ عليهم بالهداية، والقليل من يخاصم من ينهاه عن كبيرته.

الرابع: أن إحياء البدع يؤدي إلى هدم السنن النبوية والبعد عنها، كما قال أحد السلف: ما أحدث قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لم يعدها إليهم إلى يوم القيامة[1].

وحسبك دليلًا على خطر البدعة قول النبي ﷺ: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة، حتى يدع بدعته».

رواه الطبراني في «الأوسط»[2]، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة»، وصححه الألباني رحمه الله[3].

---

(1) رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها»، برقم (93).

(2) برقم (4202).

(3) انظر «صحيح الترغيب والترهيب»، برقم 54، و «الصحيحة» (1620).

17. وصغار البدع والمحدثات تكبر مع مرور الزمن وقلة المناصح فتصير كبارًا، قال الإمام البربهاري رحمه الله، وهو من أصحاب الإمام أحمد رحمه الله، وتوفي سنة 329 هـ، قال في كتابه «شرح السنة»:

واحذر صغار المحدثات من الأمور، فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارًا، وكذلك كل بدعة أُحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيرًا يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظُمت وصارت دينًا يدان به، فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام.

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر؛ هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبي ﷺ أو أحد من العلماء[1]، فإن أصبت أثرًا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر فيه شيئًا فتسقط في النار.

واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين؛ أما أحدهما؛ فرجل قد زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير، فلا يُقتدى بزلته، فإنه هالك.

وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضال مضل، شيطان مَرِيد في هذه الأمة، حقيق على من يعرفه أن يَحذّر الناس منه، ويبين للناس قصته، لئلا يقع أحد في بدعته، فيهلك.

واعلم رحمك الله أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعًا مصدِّقا مُسلِّما، فمن زعم أنه قد بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب رسول الله ﷺ فقد كذّبهم، وكفى بهذا فُرقة وطعنًا عليهم، وهو مبتدع ضال مضل، مُحدث في الإسلام ما ليس فيه.

---

(1) أي العلماء المتبعين للحديث النبوي وآثار الصحابة، الذين يقرنون دائمًا كلامهم بالدليل.

18. وقد أشكل على بعض الناس فهم حديثٍ وأثرٍ، ففهموا منهما أن في البدع ما هو حسن، فأما الحديث فهو حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ، عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم، قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطئوا عنه، حتى رؤى ذلك في وجهه، قال: ثم إن رجلًا من الأنصار جاء بصُرة[1] من ورِق[2]، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا، حتى عرف السرور في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة، فعُمل بها بعده؛ كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعُمل بها بعده؛ كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»[3].

وقد فهم بعض الناس من قوله ﷺ: «من سن في الإسلام»، أي من أحدث فيه، والجواب عن هذا الظن من وجوه:

الأول: ما قاله ابن عثيمين رحمه الله في الجواب عن هذه الشبهة:

إن من قال «من سن في الإسلام سنة حسنة» هو القائل: «كل بدعة ضلالة» ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق قول يكذب له قولًا آخر، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبدًا، ولا يمكن أن يردَ على معنى واحد مع التناقض أبدًا، ومن ظن أن كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ متناقض فليعد النظر، فإن هذا الظن صادر إما عن قصور منه، وإما عن تقصير. ولا يمكن أن يوجد في كلام الله تعالى أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلّم تناقض أبدًا.

---

(1) الصُّرة هي ما يجمع فيه الشيء ثم يشد. «المعجم الوسيط».

(2) الورق هو الفضة.

(3) رواه مسلم (1017).

وإذا كان كذلك فحديث «كل بدعة ضلالة» ليس مناقضًا لحديث «من سن في الإسلام سنة حسنة»، لأن النبي ﷺ قال: «من سن في الإسلام»، والبدع ليست من الإسلام، وقال «حسنة» والبدعة ليست بحسنة، وفرق بين السن والتبديع.

وهناك **جواب** لا بأس به: أن معنى «من سن»؛ أي من أحيا سنة كانت موجودة فعُدمت فأحياها، وعلى هذا فيكون «السن» إضافيًا نسبيًّا كما تكون البدعة إضافية نسبية لمن أحيا سنة بعد أن تركت.

وهناك **جواب** ثالث يدل له سبب الحديث وهو قصة النفر الذين وفدوا إلى النبي ﷺ، وكانوا في حالة شديدة من الضيق، فدعا النبي ﷺ إلى التبرع لهم، فجاء رجل من الأنصار بيده صرة من فضة، كادت تثقل يده فوضعها بين يدي الرسول ﷺ، فجعل وجه النبي عليه الصلاة والسلام يتهلل من الفرح والسرور وقال: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة».

فهنا يكون معنى السن هنا هو سن العمل تنفيذًا وليس سن العمل تشريعًا؛ لأن التشريع ممنوع، كما قال النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة»[1]. انتهى كلامه بتصرف يسير.

الرابع: أن أحاديث النبي ﷺ يشهد بعضها لمعنى بعض، ويفسر بعضها ما أشكل في البعض، وحديث أبي هريرة التالي يفسر حديث جرير بن عبد الله،

---

(1) قاله ابن عثيمين رحمه الله في الكتاب المشار إليه آنفا «الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع»، بتصرف يسير.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»[1].

وأما الأثر الذي أساء فهمه بعض الناس فهو ما رواه البخاري بسنده إلى عبد الرحمن بن عبد القارئ أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع[2] متفرقون، يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أُبيّ بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم.

قال عمر: نعم البدعة هذه[3].

والأثر ليس فيه إشكال إذا عرفنا أربعة أمور:

الأول: أننا نعلم علم اليقين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشد الناس تعظيمًا لكلام الله تعالى ورسوله ﷺ، وكان مشهورًا بالوقوف على حدود الله تعالى.

فعلى هذا فمن غير الممكن أن يخالف عمر كلام سيد البشر محمد ﷺ، وأن يقول عن بدعة ما «نعمة البدعة»، وتكون هذه البدعة هي التي أرادها رسول الله ﷺ بقوله: «كل بدعة ضلالة»، بل حتمًا هي غير مرادة بقوله ذاك.

---

(1) رواه مسلم (2674).

(2) أوزاع أي متفرقون. «النهاية».

(3) رواه البخاري في أول كتاب صلاة التراويح، (2010).

الثاني: أن صلاة التراويح سنها النبي ﷺ بفعله وقوله، وفعلها ثلاثة أيام جماعة في المسجد، ثم تركها خشية أن تفرض عليهم، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قام في الناس ثلاث ليال وتأخر عنهم في الليلة الرابعة، فلما صلى بهم الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: «أما بعد، فإنه لم يخف علي مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها».

فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك[1].

أي استمر الناس يصلون فرادى، ثم كان الناس على ذلك في خلافة أبي بكر، وصدرا من خلافة عمر[2]، ثم ألهمه الله فعلها، فسن قيام رمضان جماعة، وقال: (نعمت البدعة هذه).

الثالث: وبناء على ما تقدم؛ فإن معنى قوله (بدعة) أي بالمعنى اللغوي، وهي إحداث شيء قد تُرك، لم يكن موجودًا **قبيل إيجاده**، وليس قصده المعنى الشرعي، وهو إحداث عبادة ليس لها أصل في الكتاب والسنة، ومن المعلوم أن القيام مع الإمام في صلاة التراويح عبادة شرعية، وليست محدثة في عهد عمر ولا غيره، كيف لا وقد قال النبي ﷺ: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة».

قال ابن عثيمين رحمه الله: وسماها عمر رضي الله عنه بدعة باعتبار أن النبي ﷺ لما ترك القيام صار الناس متفرقين يقوم الرجل لنفسه ويقوم الرجل ومعه الرجل والرجل ومعه الرجلان والرهط والنفر في المسجد فرأى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه برأيه

---

(1) رواه البخاري (2012)، ومسلم (761).

(2) ذكر ذلك ابن شهاب، كما في صحيح البخاري، في أول كتاب صلاة التراويح.

السديد الصائب أن يجمع الناس على إمام واحد فكان هذا الفعل بالنسبة لتفرق الناس من قبل بدعة فهي بدعة اعتبارية إضافية وليست بدعة مطلقة إنشائية. انتهى.

فبالنظر إلى أنها موافقة لفعل النبي ﷺ فهي سنة، وبالنظر إلى ما كان عليه الأمر قبل إحيائها من جديد فهي محدثة، ولهذا وصفها بالحسن، وقد أحياها عمر لأنه يعلم أنها لن تفرض، لأن الشريعة قد تمت بوفاة النبي ﷺ، وكان إحياؤه لهذه السنة المباركة سنة أربعة عشر من الهجرة، وهذا شيء ألهمه الله به.

قال ابن كثير رحمه الله: والبدعة على قسمين، تارة تكون بدعة شرعية[1]، كقوله «فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وتارة تكون بدعة لغوية، كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم: نعمت البدعة هذه.

وقال القرطبي رحمه الله في قول النبي ﷺ «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»: يريد ما لم يوافق كتابًا أو سنة أو عمل الصحابة رضي الله عنهم[2].

رابعًا: أنه من المعلوم أن للخلفاء الأربعة سنة متبعة، كما قال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ...» الحديث.

فالتراويح ونحو ذلك لو لم تعلم دلالة النصوص الشرعية وأفعال النبي ﷺ عليها لكان أدنى أمرها أن تكون من سنة الخلفاء الراشدين، فلا تكون

(1) أي في الشرع.

(2) «الجامع لأحكام القرآن»، تفسير سورة البقرة: 118.

من البدع الشرعية التي سماها النبي ﷺ بدعة ونهى عنها[1].

وبهذا التقعيد لا يمكن أبدًا أن يجد أهل البدع من قول عمر هذا منفذًا لما استحسنوه من بدعهم.

19. والبدع تقع في العقائد وتقع في العبادات، وكلاهما خطير على دين المرء وآخرته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾، غير أن بدع العقائد أعظم خطرًا من بدع الأعمال؛ لأن العقيدة هي عمل القلب، والقلب إذا صلح بالعقيدة الصحيحة؛ صلح عمل الجوارح، وإذا فسد القلب بالعقائد والبدع المحدثة؛ فسد سائر عمل الجوارح وإن كثرت، فاللهم سلم سلم.

فصـــل

في بدع العقائد

والبدع الاعتقادية كثيرة، وقد أخبر النبي ﷺ عن تفرق أمته في باب العقائد إلى ثلاث وسبعين فرقة، حيث قال ﷺ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين – أو اثنتين وسبعين – فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[2].

---

(1) قال ذلك ابن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (31/ 37).

(2) رواه الترمذي (2640) عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

وفي الباب عن عوف بن مالك، انظر «سنن ابن ماجه» (3992)، وهو مخرج في «الصحيحة» (1492).

وقد ورد الحديث بمعناه عن عدد من الصحابة، انظر للتوسع «السلسلة الصحيحة» (203، 204).

فالحديث نص على افتراق الأمة إلى فرق وطوائف كثيرة كما حدث للأمم قبلها، ولا يكون الافتراق إلا على عقائد؛ لأن أساس تفرق اليهود والنصارى إلى فرق كثيرة كان تفرقًا عقديًّا، لاسيما في باب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقد حصل ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ من تفرق، فبعد وفاة النبي ﷺ قام بعض أهل البدع بنشر بدعهم في الأمة.

فصل

وقد وقعت البدع في عامة مسائل العقيدة، فمسألة أسماء الله وصفاته مثلًا، ظهرت طوائف تحرف ما دلت عليه من معنى كالأشاعرة، وبعض الطوائف جحدت أن يكون لتلك الأسماء والصفات معاني تدل عليها كالجهمية، فنفوا عن الله صفة العلو، وقالوا إن الله في كل مكان، ثم اضطربوا، فقالوا إن الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال، وقالوا أقوالًا أخرى خبيثة، والحق الذي عليه جميع الأنبياء هو أن الله فوق السماء السابعة على عرشه.

ومما نفاة الجهمية عن الله صفة الكلام، زاعمين أن هذا يقتضي التشبيه بين الله وخلقه، ولهذا قالوا إن القرآن ليس كلام الله، بل هو مخلوق من المخلوقات، وقد كفر السلف الجهمية الذين أتوا بهذه المقالات، بل جاء تكفيرهم عن خمسمائة عالم من علماء السلف، وقد فند أئمة الإسلام أقوالهم وردوا شبههم وأغاليطهم، كما في شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي وغيره.

كما ألف فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله رسالة نفيسة في بيان ضوابط فهم السلف الصالح لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وأسماها «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى».

وفي باب إفراد الله بالعبادة؛ ظهرت طوائف غلت في بعض المخلوقين حتى عبدوهم، ومن ذلك ما انتشر في عامة بلاد المسلمين - إلا من رحم الله - من عبادة أصحاب القبور، والتوجه لهم بسائر أنواع العبادات من ذبح ودعاء وغير ذلك، وأكثر من تلبس بهذا هم الشيعة، وغلاة الصوفية، وهذا من البدع الكفرية عياذًا بالله.

فصل

في بدعة الشيعة

وفي باب توقير الصحابة؛ تفرد الشيعة[1] ببدعة كبرى، ومحدثة في الدين عظمى، ألا وهي الطعن في صحابة رسول الله ﷺ، وكان الذي بذر أول بذور هذه البدعة رجل يهودي من أهل اليمن اسمه عبد الله بن سبأ، وكان هدفه إفساد دين المسلمين، مقتفيًا في هذا أثر بولس الذي أفسد دين النصارى، فلكل قوم وارث، فزعم ابن سبأ أولًا محبة آل البيت، ليدخل في قلوب الناس، ثم غلا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وادعى له «الوصية»، ومفادها أن النبي ﷺ وصى له بالخلافة بعد وفاته، ثم ادعى له الألوهية، وأنه هو الله، وأنه مستحق لأن يعبد، كما أظهر الطعن لأبي بكر وعمر وعثمان، فلما علم به علي بن أبي طالب نفاه إلى المدائن ليسلم الناس من شره، ولكن مقالة ابن سبأ تلقفها من تلقفها من العامة والدهماء، فعلم بهم علي، فخدّ لهم علي أخدودًا وأضرمهم بالنار ثم قذفهم فيه، وسموا بالسبئية بعد ذلك.

(1) الشيعة طوائف كثيرة، وأغلبهم هم الاثني عشرية، ويسمون أيضًا بالإمامية، نسبتهم إلى الأئمة الاثني عشر الذين يعظمونهم كما سيأتي، والكلام في هذا الجزء منصب عليهم.

ثم لما حصل الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما؛ كان لكل منهما أتباع، فاستغل بعض المدسوسين الحرب السياسية القائمة لتصعيد الأمر لشق عصا المسلمين، وإدخال عقائد فاسدة، فأحيا بعضهم مقالة ابن سبأ المتقدمة، فبعثوا الغلو في علي مرة أخرى، ثم مضى الزمان فغلو في ذريته من فاطمة بنت النبي ﷺ، فادعوا أن من ذريته أحد عشر إمامًا معصومًا، لا تصح ولاية المسلمين إلا لأحد منهم، ثم أخذ دين الشيعة في التطور، فلما لم يجدوا في كتاب الله ما يسند عقيدتهم؛ أولوا القرآن تأويلًا تعسفيًا لا تطيقه اللغة العربية، فصار دينًا مستقلًا جديدًا، مخالفًا تمامًا للدين الإسلامي الذي جاء به محمد ﷺ، فصار علي رضي الله عنه هو معبود الشيعة إذا أصابهم الضر كما سيأتي بيانه، عياذًا بالله من دين الجاهلية، ومن ذهب إلى قبره بالكوفة رأى من تقرب الشيعة له بأنواع العبادات العجب العجاب، من الدعاء والذبح وغيره، ونسبوا إلى الأئمة صفة علم ما يعلمه الله، تعالى الله عن ذلك.

الشيعة والقرآن

والشيعة يقولون إن القرآن الذي بأيدي المسلمين ليس الذي أنزل على محمد ﷺ، بل قد زيد فيه ونُقص منه وحُرف فيه، ذكر ذلك النوري الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب»، ويزعمون أن القرآن الصحيح الكامل هو الذي جمعه علي، ثم تناقله الأئمة من علي إلى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، الذي يزعمون أنه هو المهدي المنتظر، وأنه في سرداب سامراء، وأنه سيخرج في آخر الزمان.

ولا شك أن عليًّا لم يجمع قرآنًا قط، بل الذي جمعه عثمان، وقولهم هذا طعن صريح في القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

ومن عجائب مقالاتهم أنهم يقولون إن القرآن المزعوم يعادل ثلاثة أضعاف القرآن الذي بأيدي المسلمين الآن، وأنه ليس فيه من هذا القرآن الذي بأيدي المسلمين حرف واحد!

وعلى هذا فالشيعة يعتبرون أن القرآن الذي بأيدي الناس ليس على تمامه، وهذا يستلزم تضليل الناس على مدى أربعة عشر قرنًا، ولا شك أن هذا من سوء الظن بالله العظيم، فكيف يليق بالله أن يترك الناس في ضلال وعمى طيلة هذه القرون المتطاولة، وكيف تقوم الحجة على الناس إذن والقرآن في جوف الأرض مع الإمام الثاني عشر، وهل هذا إلا من مناقضة الشيعة للركن الثالث من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالكتب.

ومن مقالاتهم حصْر علم القرآن ومعرفة تفسيره بالأئمة المزعومين، وأنه مخزون عندهم، وبه يعلمون كل شيء، واعتمدوا في ذلك على جملة كثيرة من الأخبار المفتراة، ولا شك أن هذا من الكذب الفاحش، فإن النبي ﷺ بين للناس معاني القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾، ثم تناقل تفسيره الصحابة والتابعون، وجمعت أقوالهم في التفسير في دواوين التفسير والحديث، ولا تجد كتابًا في الحديث إلا وفيه قسم في التفسير، كما أن هناك عدة كتب في التفسير جمعت أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، وعلى رأسها تفسير ابن جرير الطبري، ثم تفسير ابن أبي حاتم وابن المنذر وغيرهما.

كذلك؛ فقد خاطب النبي ﷺ الصحابة، ورغبهم في تبليغ الحق للناس، ولم يخص أحدًا منهم بذلك، فقال كما في حديث زيد بن ثابت: «نضر الله وجه

امرأً سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[1].

بل قد نفى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذه المقالة نفيًا قاطعًا، أي مقالة اختصاصه بعلم خاص في القرآن، فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة[2]؛ ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهما يُعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة.

فقال أبو جحيفة: وما في الصحيفة؟

قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر[3].

فتبين بهذه الكلمات من علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن مقالة اختصاصه بعلم سري للقرآن مقالة منكرة، وليست إلا دعوة صريحة للصد عن تدبر القرآن وفهم معانيه، الذي هو صد عن دين الله وشريعته في الحقيقة.

ثم تطور الأمر بعد هذا، فلما لم تلق المقالة المتقدمة قبولًا عند بعض الشيعة؛ لجئوا إلى مقالة أخرى أشنع من الأولى، وهي قولهم إن القرآن له معنى ظاهر ومعنى باطن يخالف الظاهر تمامًا، وأن المعنى الظاهر هو ما يتبادر إلى ذهن القارئ، وأن المعنى الباطن قد اختص بعلمه الأئمة، وأن ما حرم الله في القرآن هو الظاهر وباطنه أئمة الجور، وهم الخلفاء الثلاثة ومن لم يؤمن بأحد من الأئمة الاثني عشر، وأن ما أحل الله في القرآن هو الظاهر، وباطنه أئمة

---

(1) رواه أحمد (5/ 183) وأبو داود (3660) والترمذي (2656) وغيرهم، وصححه الألباني.

(2) برأ أي خلق، والنسمة هي الروح.

(3) رواه البخاري (6903).

الحق[1]، وهم الأئمة الاثني عشر، وهكذا تعسفوا وتجرءوا على كتاب الله ليطوعوه بما يوافق مذهبهم، حيث إن القوم قد ضاقت صدورهم لمّا لم يكن هناك ذكر لأئمتهم المزعومين في القرآن، فأتوا بهذه المقالة، ونسبوها إلى بعض أئمتهم ليقنعوا أتباعهم المقلدين، وهي أصل من أصول اعتقاد الشيعة، مذكورة في مقدمات تفاسيرهم، كتفسير القمي وتفسير العياشي وتفسير الصافي، وفي الأخير قولهم: (إن للقرآن ظهرًا وبطنًا، وببطنه بطن إلى سبعة أبطن)[2]، ثم زاد مشايخ الشيعة في الكذب والجرأة على كتاب الله، فقالوا إن لكل سبعون بطنًا، قاله أبو الحسن الشريف في كتابه «مرآة الأنوار»، ص 3.

وليمسك القارئ الكريم بأعصابه ويحمد الله على نعمة العقل وهو يقرأ هذه المقالة المذكورة في كتاب «مرآة الأنوار» ص 3، التي تقول إن كل آيات الفضل والإنعام والمدح والإكرام نزلت في السادة الأطهار (أي آل البيت) وفي أوليائهم، وأن جل فقرات التوبيخ والتشنيع والتهديد بل جملتها نزلت في مخالفيهم وأعدائهم، أي الصحابة وأتباعهم.

ولو تأملنا تلك البطون المزعومة لوجدنا أنها تهدف إلى أمرين لا ثالث لهما البتة: إثبات إمامة الاثني عشر، والطعن في مخالفيهم.

ليس هذا فحسب؛ بل يزعمون أن القرآن ظاهره تقرير التوحيد والنبوة والرسالة، بينما باطنه تقرير الإمامة (أي إمامة الاثني عشر) والولاية (أي ولاية النبي ﷺ والأئمة الاثني عشر).

---

(1) أنظر «أصول الكافي» (1/ 374) و «تفسير العياشي» (2/ 16)، و «البحار» (92/ 78 – 106).

(2) تفسير الصافي (1/ 31).

وهذا الكلام ظاهر البطلان، فلماذا لم يقرر الله إمامة الاثني عشر وولاية علي بوضوح، ولماذا لا يخاطب الله الناس بوضوح؟!

إنه من المعلوم أن الكلام الباطني تتعارض فيه التأويلات؛ لأن التأويل لا ضابط له، ويمكن تنزيله على وجوه شتى، بخلاف الكلام الواضح المباشر؛ فإن اللغة العربية هي الضابط له، ولو كان كما يزعمون لما عُد القرآن فصيحًا، ولما عُد مبينًا؛ لأن الفصيح المبين هو الذي يفصح عما فيه، بينما الذي يضمر سبعين بطنًا فأنّا له الفصاحة[1].

وإنك لو أتيت بقواميس اللغة العربية كلها لوجدت أن تفسير القرآن في واد وتفسير الشيعة في واد آخر، وهذه أمثلة على تفسيرهم لبعض الآيات:

أولَ الشيعة توحيد العبادة الذي أمر الله به ونهى عن ضده بالولاية لعلي والبراءة ممن هم ضده، فقالوا: إن الله ما بعث نبيًّا قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا، وذلك تأويل قوله تعالى - كما يزعمون -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، ويروون في هذا خبرًا عن أبي جعفر[2].

وقالت الشيعة: إن عمدة بعثة الرسل لأجل الولاية[3].

وكتب الشيعة تؤول الإله بالإمام، فقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾؛ يؤولونه بلا تتخذوا إمامين اثنين إنما هو إمام واحد.

(1) وانظر ما قاله ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (13/ 236 - 237) و(3/ 29)، و«منهاج الاعتدال» (4/ 66).

(2) تفسير العياشي (2/ 261)، وتفسير الصافي (3/ 134).

(3) «مرآة الأنوار»، ص 163.

والشيعة فسروا الرب بعلي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾، ففسروا الكافر بعمر، والرب بعلي.

وفسروا أسماء الله الحسنى بالأئمة[1].

وهذا التأويل الفاسد للرب ولله وللإله وللأسماء الحسنى والصفات العلى هي من آثار دعوة عبد الله بن سبأ وأتباعه الذين قالوا أن عليًّا هو الله، تعالى الله عما يصفون.

والشيعة فسروا القرآن بعلي، فقالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: الكتاب: علي ولا شك فيه[2].

ثم قفز الغلو بالأئمة إلى مراحل متقدمة جدًّا، فوصفوهم ببعض أوصاف الرب جل جلاله، تعالى وتقدس عن مشابهة المخلوقين، فعقد المجلسي في كتابه باب بعنوان: (باب أنهم جنب الله وروحه ويد الله)، وأمثال ذلك، وذكر فيهم 36 رواية مكذوبة على الأئمة[3].

بل جعلهم المجلسي هم القبلة والكعبة، وعقد لهذا بابًا بعنوان: (باب أنهم ﷺ حزب الله وبقيته وكعبته وقبلته)، وجاء في هذا بسبع روايات[4].

ويؤولون المساجد بالأئمة كما في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[5].

(1) تفسير العياشي (2/ 42)، وتفسير الصافي (3/ 254 – 255).
(2) تفسير العياشي (1/ 26)، وتفسير القمي (1/ 30).
(3) «بحار الأنوار» (24/ 191-203)، وانظر «مرآة الأنوار»، ص 324.
(4) «بحار الأنوار» (24/ 211-213).
(5) تفسير العياشي (2/ 12)، وتفسير الصافي (2/ 188).

وقال صاحب كتاب «اللوامع القرآنية في أسماء علي وآل بيته القرآنية»، هاشم البحراني: أن اسم علي ورد في القرآن 1154 مرة. محطمًا بذلك كل مقاييس اللغة العربية، ومتجاوزًا أصول العقل والمنطق، ومن ذلك تفسيره لكلمة «الإمام» الواردة في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ بأنه علي![1].

وقال صاحب «بحار الأنوار» أنهم – أي الأئمة الاثني عشرية – هم الصلاة والزكاة والحج والصيام وسائر الطاعات، وأن أعداؤهم – وهم أهل السنة الذين لا يعتقدون إمامتهم[2] – هم الفواحش والمعاصي[3].

وتارة يؤول الملائكة بهم، وتارة بالكتب السماوية، والأنوار الإلهية، بل فسر الجمادات بهم، فقال: إنهم الماء المعين المذكور في آخر سورة تبارك، والبئر المعطلة والقصر المشيد المذكوران في سورة الحج، لأنهما معطلان عن الحكم، وأما الفواكه والسحاب والمطر والظل المذكورة في القرآن فأولها بعلم الأئمة وبركتهم ومنافعهم، وأورد في هذا إحدى وعشرين رواية[4].

وتارة أول البحر واللؤلؤ والمرجان بأنهم الأئمة، وذكر في هذا سبع روايات[5].

---

(1) ص 321 – 323.

(2) إلا علي بن أبي طالب، فإن أهل السنة يعتقدون أنه خليفة راشد مبايع، وأنه رابع الخلفاء الراشدين، وله فضائل ومناقب كثيرة، رضي الله عنه.

(3) (24/ 187 – 191).

(4) «بحار الأنوار» (24/ 100-110).

(5) «بحار الأنوار» (24/ 97-99).

وتارة قالوا بأن البحرين الواردة في قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ هما علي وفاطمة، وأن اللؤلؤ والمرجان هما الحسن والحسين[1].

وتارة أول النحل بهم، وذكر سبع روايات[2].

والشيعة أولوا البعوضة الوارد ذكرها في سورة البقرة بعلي رضي الله عنه[3].

بل لفظ الذباب الوارد في سورة الحج أولوه بعلي[4].

فما السر في إطلاق الشيعة لأسماء أحط الحشرات على علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟! الله أعلم.

وتارة أول المجلسي الشهور والأيام بالأئمة، أي قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ أي إمامًا، وذكر أربعة روايات[5].

وقبور الأئمة فلها من تأويلاتهم نصيب، فهم يؤولون البقعة المباركة الواردة في قوله تعالى في قصة موسى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ بأنها كربلاء، وهذا كذب مكشوف؛ لأن البقعة المباركة في طور سيناء بصحراء مصر، بدليل الآية التي قبلها: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾[6].

---

(1) تفسير القمي (2/ 344) وتفسير الصافي (5/ 109).

(2) «بحار الأنوار» (24/ 110-113).

(3) «تفسير القمي» (1/ 35).

(4) «مرآة الأنوار»، ص 150.

(5) «بحار الأنوار» (24/ 238-243).

(6) «كامل الزيارات»، ص 48 – 49، لابن قولويه.

وكربلاء معظمة عند الشيعة، لأن فيها قبر الحسين بن علي رضي الله عنه.

قال د. ناصر القفاري حفظه الله: ولعل هذه الروايات هي السبب في شيوع عبادة الأئمة وأضرحتهم، وعمارة المساجد وتعطيل المساجد؛ لأن المشاهد هي المساجد عندهم، والإمام هو كعبة الله وقبلته، ولهذا صنفوا كتبًا وسموها «مناسك المشاهد» أو «مناسك الزيارات»، أو «المزار»، واعتنوا ببيان فضائلها وآدابها، وأخذت هذه المسائل في كتبهم قسمًا كبيرًا[1].

والشيعة، بكل تعسف وتحكم في النصوص، يخصون أنفسهم بالرحمة، ففي كتاب «أصول الكافي»[2] أن الشيعة هي الشيء الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾.

وهذه النقولات المشار إليها قليل من كثير، وغيض من فيض، وقد جاء أكثرها في أكبر موسوعة حديثية عند الشيعة وهو كتاب «بحار الأنوار»، والذي يصفه علماء الشيعة بأنه لم يصنف مثله، وأن مؤلفه هو شيخ الإسلام والمسلمين، وملاذ المحدثين، ومعاذ المجتهدين، إلى غير الألقاب المخلوعة عليه!

وأحوال اليوم الآخر يفسرونها في الغالب بالرجعة، أي رجعة الأئمة[3].

وربما فسروها بولاية علي، فانظر إلى التناقض، ويروون في هذا خبرًا عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾، يعني كذبوا بولاية علي[4].

---

(1) ص 215.
(2) (1/ 429).
(3) «مرآة الأنوار»، ص 303.
(4) «مرآة الأنوار»، ص 182، والغيبة للنعماني، ص 54، والبرهان (3/ 157).

ومن تناقض الشيعة أيضًا تفسير الحياة الدنيا بالرجعة[1]، وربما بولاية أبي بكر وعمر[2].

فانظر إلى الشيء واحد كم هو مختلف عندهم، وصدق الله: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾ سورة الذاريات آية: 9 -10.

وبعبارة مختصرة؛ فإن الدين كله عند الشيعة هو ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويروون في هذا خبرًا عن جعفر الصادق في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾؛ قال: ولاية علي.

﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾؛ أي مسلمون لولاية علي[3].

وهنا يقال للشيعة: إذا كان الأمر كذلك؛ فلماذا لم يسمّ دين الإسلام بدين الولاية وانتهى الأمر؟!

انظر إلى الكفر والزندقة والإلحاد في آيات الله، كيف حصروا الدين كله في بيعة رجل، وجعلوا الشرك والطاغوت والأصنام ونحوها هو عدم اعتقاد ولاية الاثني عشر، ومبايعة الخلفاء الثلاثة ومن تبعهم من خلفاء المسلمين.

فالإسلام عند الشيعة ليس هو عبادة الله وحده ونبذ عبادة من سواه، واتباع النبي ﷺ واقتفاء أثره في العقيدة والشريعة والسلوك، كلا، بل الدين عند الشيعة هو اعتقاد أن محمدًا وصى عليًّا بالخلافة، وأنه – أي علي – أوصى بالخلافة لمن بعده، وهم الحسن والحسين وباقي الأئمة الإحدى عشر

(1) تفسير القمي (2/ 258 – 259) والصافي (4/ 345).

(2) انظر أصول الكافي (1/ 418)، والبرهان (4/ 451).

(3) «البرهان» (1/ 156)، و «مرآة الأنوار»، ص 148.

المزعومين، فمن اعتقد هذا فقد سلك سبيل الحق، ومن خالف هذا كفر، وصار من أعداء الله – بحسب زعمهم.

ومن طوام دين الشيعة أن مصطلح الشرك والردة والكفر والضلال ليست على ظاهرها عند الشيعة، وأنه - أي الشرك - عبادة ما سوى الله، والردة الرجوع عن دين الإسلام، والضلال هو الزيغ عن الصراط المستقيم الذي بينه النبي ﷺ وسار عليه، بل هذه المصطلحات عند الشيعة تعني أمورًا متعلقة بولاية علي فحسب، فالشرك عند الشيعة يعني أن تشرك في إمامة علي غيره من الناس، جاء هذا في تفسير القمي (2/ 251) وتفسير الصافي (4/ 328).

وقال صاحب «مرآة الأنوار»: إن الأخبار متضافرة في تأويل الشرك بالله والشرك بعبادته بالشرك في الولاية والإمامة[1].

فعلى هذا، فالشيعة يعتقدون أن من اعتقد ولاية أبي بكر أو عمر أو عثمان أو غيرهم ممن انعقدت لهم البيعة من ذلك الحين إلى هذا الحين فإنه مشرك !

وكذلك مصطلح الكفر؛ هو عند الشيعة عدم اعتقاد ولاية علي بعد رسول الله ﷺ مباشرة، ويرون أن اعتقاد البيعة لغيرهم من الخلفاء الثلاثة من الازدياد في الكفر.

هذا ما قالوه في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ﴾[2].

---

(1) ص 202.

(2) انظر «أصول الكافي» (1/ 420).

أما مصطلح الردة فيعني عند الشيعة الردة عن بيعة علي رضي الله عنه، قرروا ذلك في «أصول الكافي»[1].

وأما مصطلح الضلال فهو عدم معرفة الإمام، هكذا قرروا في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[2].

إن تفسير الشيعة للشرك والردة والكفر والضلال بترك بيعة الأئمة فيه تهوين من قدر الشرك الحقيقي، الذي هو عبادة غير الله، بل إلغاء تام لمفهومه، وهذا هو الواقع في دين الشيعة، ولهذا فالشيعة لا يرون بأسًا من عبادة أئمتهم، وخلع أوصاف الرب عز وجل عليهم كما تقدم.

ومن تأويلات الشيعة لآيات القرآن تأويل الشيطان الوارد في قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾، أولوا الشيطان بعمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

وهذا التأويل نسبوه إلى أبي جعفر الباقر، ونقلوه في كتب التفسير عندهم، كتفسير العياشي[3] والصافي[4] وغيرهما.

وهذا هو دين الشيعة، سب وشتم، ثم نسبة ذلك كله إلى القرآن، ليضفوا عليها الشرعية الدينية، وما هو إلا الشذوذ العقلي وافتراء وإلحاد في آيات الله، والإلحاد في اللغة هو الميل، وقد توعد الله من ألحد في آياته بقوله في سورة

---

(1) (1/ 420).

(2) «تفسير القمي» (1/ 29).

(3) (2/ 223).

(4) (3/ 84).

فصلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

كلمة في تأويل الشيعة للقرآن

وتأويلات الشيعة للقرآن ليس إلا كفر وزندقة، حيث نسبوا إلى الله تعالى أسلوب الألغاز والأحاجي، وليتها في أمر محمود، بل بنسف قواعد الإسلام وأصول الملة!

والكذب على الله وتحريف آياته هو دأب أعداء الإسلام كالفلاسفة قديمًا، وكمسيلمة الكذاب والأسود العنسي وأشباههم، وهم في هذا التحريف لا يضرون الإسلام بشيء، بل هم يفضحون أنفسهم، ويعطون دليلًا عقليًّا لمن له مسكة عقل أنهم كذبة.

وليس الكذب على الله بغريب على علماء الشيعة، فهم الذين قرروا مبدأ التقية، وهي استحلال الكذب على من ليس بشيعي، كما سيأتي، فالكذب ليس خلقًا قبيحًا عندهم أبدًا.

وهذا التأويل والتحريف المعنوي والإلحاد في آيات الله؛ قد تولى كبره وتنظيره القمي والكليني والعياشي والكاشاني والمجلسي وغيرهم من شيوخ الدولة الصفوية، فهم الذين أدخلوا هذا الإلحاد كروايات عن الأئمة، ثم توارثها الشيعة إلى يومنا هذا كتراث مقدس لا يقبل النظر ولا التمحيص.

وقد تقدم الكلام على أن أوائل الشيعة لما رأوا أنه ليس للأئمة المزعومين ذكر في كتاب الله؛ شعروا بضعف الموقف وضعف المذهب، فحاولوا تعزيز مذهب الشيعة عن طريق بث فكرة التأويل الباطني للقرآن، لتزويق المذهب

ليكون مقبولًا عند الأتباع الذين شعروا بتهالك الرابط بين مذهب الشيعة ودين الإسلام، فلجئوا إلى ذلك الإلحاد، على أنه من أصول الاعتقاد التي لا تقبل المناقشة ولا الأخذ والرد؛ ليغلقوا الطريق، فتبعهم عوام الشيعة على قاعدة: أطفئ مصباح عقلك واعتقد.

وعلماء الشيعة في هذا التحريف مشابهون لليهود والنصارى الذين حرفوا التوراة والإنجيل، ومفترين على الله الكذب، متحملين أوزار أتباعهم إلى قيام الساعة، لا ينقص من أوزار قومهم شيئًا.

الشيعة والسنة

والشيعة نابذون للسنة النبوية، كافرون بها، لا يأخذون منها إلا ما وافق دينهم وعقيدتهم، وهم في هذا قد شابهوا اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ **سورة البقرة آية: 85.**

وكفر الشيعة بالسنة النبوية مناقض لشهادة أن محمدًا رسول الله، إذ الشهادة له بالرسالة تقتضي اتباع شريعته التي بُعث بها، وكيف يتأتى اتباع الشريعة مع الكفر بما حفظه الصحابة من الحديث النبوي؟!

فكتب الحديث قاطبة (الصحيحين والسنن الأربع ومسند أحمد وموطأ مالك وغيرها) لا يؤمن بها الشيعة إلا فيما وافق عقيدتهم فقط، وأما ما خالف عقيدتهم فيكفرون به.

الشيعة وتوحيد العبادة

والشيعة وقعوا في عبادة القبور، وعبادة من وصفوهم بالأئمة الاثني عشر، ومن زار قبر الحسين المنسوب له في مصر و «قم» و «مشهد» في إيران؛ وقف على ذلك، وكذا القبر المنسوب إلى علي بالكوفة، وقد قال ابن تيمية: إن أهل المعرفة متفقون على أن المشهد الذي بالنجف ليس بقبر علي، بل قيل إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يذكر أحد أنه قبر علي، وإنما اتخذوا ذلك مشهدًا في ملك بني بويه الأعاجم بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة[1].

الشيعة وتوحيد الأسماء والصفات

والشيعة يؤمنون بعقيدة البداء، ومفادها أن علم الله سبقه جهل. انظر «أصول الكافي»، ص 40.

والشيعة يساوون بين الله وبين أئمتهم في بعض صفات الله الخاصة به، فهم يعتقدون في أئمتهم أنهم خزان علم الله، وأنهم يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.

بل زعم الخميني في كتابه «تحرير الوسيلة»، ص 52، أن الإمام من الأئمة تخضع لسيطرته جميع ذرات الكون.

والشيعة يؤمنون بعقيدة الرجعة، ومفادها رجعة الأموات قبل يوم القيامة وبعد قيام المهدي المنتظر، فيرجع الأئمة والخلفاء والشيعة والناس كلهم إلا الطبقة الجاهلية، فيقتص الأئمة ممن ليسوا بشيعة، ويذبح المهدي بعدما يخرج من سردابه جميع خصومه السياسيين، ويعيد للشيعة حقوقهم، حتى وصل

---

(1) انظر «مجموع الفتاوى» (4/ 499 - 502).

الأمر إلى أن ادعى محمد الباقر المجلسي في كتابه «حق اليقين»، ص 37: أن المهدي سيحيي عائشة أم المؤمنين، ويقيم عليها الحد، أي حد الزنا، فهل بعد هذا الكفر من كفر؟

يدعون أن غير الله بيده الإحياء، ثم ادعوا إقامة حد الزنا على من برأها الله من فوق سبع سماوات في آيات تتلى إلى يوم القيامة.

الشيعة وصحابة رسول الله ﷺ

وقد بلغ الشيعة في بغضهم للصحابة بأن حكموا بكفر وردة الخلفاء الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان، وغيرهم من مشاهير الصحابة، كأبي هريرة وخالد بن الوليد، كما في كتاب «فروع الكافي»[1] للكليني، رادين بذلك الآيات الواردة في الترضي عن الصحابة، والثناء عليهم، كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[2].

كما ورد الرضى عنهم في سورة التوبة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[3].

وكذلك الآية في آخر سورة الفتح، التي تنص على أن الله قد أثنى على الصحابة في التوراة والإنجيل.

(1) ص 115.

(2) سورة الفتح: 18.

(3) سورة التوبة: 100.

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فيما يدل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم، لاسيما الخلفاء الأربعة، وسيأتي مزيد كلام على هذا في الحق الخامس عشر من حقوق النبي ﷺ، وهو حق (توقير صحابته).

فهل بعد ثناء الله على الصحابة في القرآن والتوراة والإنجيل من ثناء، وهل بعد ثناء النبي ﷺ على صحابته من ثناء؟

بل الشيعة يطعنون في عرض عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، ويرمونها بالزنا، رادين بذلك الآيات التي برأتها في أول سورة النور، وموافقين للمنافقين الذي رموها بذلك، عياذًا بالله.

وقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة على أن من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة الترضي عن صحابة رسول الله ﷺ، وسلامة الصدور نحوهم، وتوقيرهم، وأن من سب أحدًا منهم فقد ارتكب كبيرة، وأن من طعن فيهم كلهم أو أكثرهم فهو كافر؛ لأنه هذا يستلزم رد خبر القرآن الذي نص على عدالتهم وتزكيتهم.

الشيعة والكذب

ومن أصول اعتقاد الرافضة عقيدة «التقية»، وهي تسعة أعشار الدين عندهم، وهي الكذب على من ليس شيعيًّا، فلو قلت لشيعي إن عقيدتكم تنص على البداء – مثلًا –، وذكرت له الكتاب الذي نقلت منه؛ لأنكر ذلك.

ومن تطبيقات التقية عندهم الصلاة خلف إمام المسجد الحرام؛ لأنهم لو ينزوون عنه لاستغرب الناس، وافتضح أمرهم، ونفر الناس منهم.

فالحاصل أن الشيعة يسيرون على دين وطريقة مختلفة تمامًا عن طريقة أهل السنة في العقيدة والشريعة والسلوك، وهم مخالفون لهم في الأصول والفروع، ومخالفون لهم في أركان الإيمان الستة وأركان الإسلام الخمسة، وهم يخفون هذا في كتبهم ولا يصرحون به على الملأ.

الشيعة ضد أهل السنة

ولما ساء اعتقاد الشيعة في أهل السنة؛ كانوا مع كل غاز لبلاد المسلمين، والتاريخ شاهد على هذا، فإنه لما غزا التتر بلاد المسلمين في القرن السادس؛ ساندوهم ضد المسلمين، ولهذا لما أراد صلاح الدين تحرير فلسطين من الصليبيين؛ قام أولًا بالقضاء على دولتهم، الدولة الفاطمية، لئلا يطعن من الخلف، فلما قضى عليهم؛ حارب الصليبيين وطردهم من فلسطين، فتم له نصران، نصر على الصليبيين، ونصر على الشيعة، فجزاه الله خيرًا.

ولعل بغض الشيعة لأهل السنة وتكفيرهم إياهم هو السبب في كون الشيعة يقفون مع اليهود والنصارى (وهم المشركون الحقيقيون) ضد أهل السنة، لأنهم يرون أهل السنة كفارًا، ثم إن أهل السنة ينغصون عليهم عيشهم، لكونهم يردون عليهم ضلالاتهم، ويحاربون عقيدتهم، ويزاحمونهم في دولهم وأراضيهم، بخلاف المشركين من اليهود والنصارى فإنهم لا يحاربون عقيدتهم، ولا يزاحمونهم في أراضيهم، بل ربما نصرونهم ونصروا غيرهم من أهل البدع، كالقبورية والصوفية وغيرهم؛ لأن في نصرتهم تحطيم لمنهج أهل السنة، الذي هو الإسلام الحق، وهذه بغية اليهود والنصارى وغاية أمانيهم، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

حكم الشيعة من جهة الإسلام والكفر

وبموجب ما عليه الشيعة من عقائد فاسدة؛ فقد حكم كثير من العلماء بكفر من يعتقد هذه عقائدهم، ولازال بعض ضعاف العقيدة من أهل السنة يركنون إليهم، ويعتبرون طريقتهم لا تعدو عن كونها مذهبًا فقهيًّا كالمذاهب الفقهية الأربعة المعروفة، وهذا من الجهل أو التجاهل، والشيعة يفرحون بمثل هؤلاء، لاسيما إن كانوا من المنتسبين للعلم والدعوة؛ لأن في هذا ترويجا لبضاعتهم على أيدي أهل السنة أنفسهم، ويظهرون لهم الصدق والإخلاص والتضامن ونصرة الإسلام، ورغبتهم في تحرير أراضي المسلمين من أيدي اليهود أو النصارى، وهذا كله من باب التقية، فإن التقية من أصول الدين عندهم، وهي أن يظهر خلاف ما يبطن، وهي الكذب الذي نهى الله ورسوله عنه، وهي استحلال الكذب على كل من هو غير شيعي، ليجلبوه لدائرتهم، ويلبسوا عليه دينه.

تطور التشيع إلى أديان أخرى على مر الزمن

ولما انقطع تعلق الشيعة بالسنة النبوية، وما كان عليه الصحابة والتابعون في فهم الإسلام، وكان مرجعهم ما يمليه عليهم مشايخهم فحسب؛ تطور أمرهم وزاد انحرافهم، ودخل فيهم من أراد ترويج بضاعته باسم حب آل البيت، فنشأت الإسماعيلية والنصيرية والدرزية والبهائية، وكلهم باطنية زنادقة، يعبدون مع الله إلهًا آخر، سواء أئمتهم المزعومين أو غيرهم، ويأخذون من السنة ما يوافق دينهم، ويكفرون بالباقي كما قدمنا.

فالحاصل أن جناية الشيعة على الدين عظيمة في باب الألوهية والنبوة والشريعة، وهم مخالفون لأركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة،

مناقضون لها، وتفصيل هذا في كتب الفرق، وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في تسع مجلدات في كتابه «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»، وللدكتور ناصر بن عبد الله القفاري رسالة عظيمة في بيان أصول مذهبهم تقع في ألف وخمسمائة صفحة تقريبًا.

والشيعة الاثني عشرية لهم دولة وهي إيران، ولهم انتشار في المملكة العربية السعودية في القطيف والأحساء، أما الشيعة الإسماعيلية ففي نجران في جنوب المملكة.

خلاصة

وخلاصة القول أن الشيعة الاثني عشرية الإمامية من أعظم الطوائف انحرافًا عن دين الإسلام وإن انتسبوا إليه في الظاهر، فالعبرة في حقائق الأمور، وليس الإسلام مجرد أعمال جوارح كالركوع والسجود وانتهى الأمر؛ بل الإسلام عقيدة وعبادة وسلوك، فمن نبذ عقيدة الإسلام كفر عياذًا بالله، فإن قومًا خرجوا مع النبي ﷺ إلى تبوك، فلما كانوا ببعض الطريق سخروا من النبي ﷺ وصحابته، فحكم القرآن بكفرهم، مع أنهم يصلون ويصومون ويزكون، وخارجين للجهاد، ولكن لما وقعوا في ناقض من نواقض الإسلام جاء القرآن بكفرهم في آيات من سورة التوبة، فاعتذروا من النبي ﷺ بأنهم يقصدون قطع الطريق والاستئناس، وأن استهزاءهم لم يكن عن عدم تصديق بالله ورسوله، ومع هذا جاء القرآن بكفرهم، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

فإذا كان الاستهزاء ببعض الصحابة كفر؛ لأن الاستهزاء راجع إلى الدين في الحقيقة؛ فماذا يقال لمن يلعن الصحابة ويكفرهم، ويطعن في عرض عائشة رضي الله عنها ويتهمها بالزنا؟

وماذا يقال في حق من يؤول القرآن على غير وجهه، ويخلع عليه التفاسير السامجة التي ليس لها أساس في لغة العرب ولا يدل عليها ظاهر السياق؟

أليس هذا من الاستخفاف بشرع الله تعالى والاستهزاء به، بل ورده وعدم الإيمان به؟

فصل في بدعة الخوارج

وفي باب السمع والطاعة لولاة الأمور؛ تفرد الخوارج والزيدية باستحلال الخروج على ولاة الأمور إذا رأوا منهم معصية، ففعل الخوارج ما فعلوا من قتل عثمان وعلي، ثم انفتح باب الشر على المسلمين إلى يومنا هذا.

فصل في بدعة الإرجاء

وفي باب فهم معنى الإيمان ضلت المرجئة، فقالوا: إن العمل ليس شرطًا لصحة الإيمان، بل هو مكمل له، فمن تلفظ بالشهادتين وآمن بأركان الإيمان الستة فهو مؤمن مسلم، ولا يضره ترك جميع عمل الجوارح طيلة حياته من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيرها!

ولا شك أن هذا القول خطأ؛ لأن السلف الصالح قد أجمعوا على أن الإيمان اعتقاد في الجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، أي الجوارح، وحسبك بإجماع السلف إجماعًا.

وفي باب الوعد والوعيد ضلت الخوارج والمعتزلة، فقالوا: إن مرتكب الكبيرة كافر، فشارب الخمر – مثلًا – كافر عندهم، وفي الآخرة خالد مخلد في النار، ولا شك أن هذا خطأ، ولم تدل عليه النصوص، بل النصوص بخلافه، فمرتكب الكبيرة لا يكفر إلا إذا استحل فعله، وضاهى الله في حكمه، فأحل ما حرم الله، أو حرم ما أحل الله، أما مجرد ارتكاب الكبيرة مع الإيمان بأنه قد ارتكب خطأ فليس هذا موجبًا للوقوع في الكفر، بل الوقوع في الكفر يكون بأمور أخرى سيأتي الكلام عليها، وقانا الله منها.

ولما اعتقد الخوارج هذا الاعتقاد؛ استحلوا دماء المسلمين ممن وقعوا في بعض الكبائر، وتوسع الأمر فخرجوا على الحكام، ولا يخفى خروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم قتله على يد عبد الرحمن بن ملجم.

ثم تجرءوا على الحديث النبوي، فأنكروا شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر يوم القيامة لإخراجهم من النار، مع أن الأحاديث متواترة في هذا، وهي موجودة في مظانها.

وفي باب الإيمان بالقدر ضلت طائفتان؛ الجبرية والقدرية، فأما الجبرية فقالوا: إن العبد مجبر على فعله وليس له اختيار، وأما القدرية فقالوا: إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه، وتوسط أهل السنة، أتباع الرسل، فقالوا: إن الله إن الله يعلم الأشياء أزلًا وأبدًا، وقد جعل الله للعبد مشيئةً واختيارًا في فعل الخير أو الشر، وبموجبه يحاسبه يوم القيامة، ثم يجازيه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

ورؤوس أهل البدع أربعة، الخوارج والشيعة والجهمية والمرجئة، وقد تقدم الكلام بذكر شيء مما وقعوا فيه من البدع الاعتقادية، وقد رد عليهم علماء السنة بما تبرأ به الذمة في القديم والحديث.

ومن أراد معرفة طريقة أهل السنة في الاعتقاد كما جاءت عن النبي ﷺ وصحابته؛ فعليه بقراءة كتب العقائد المسندة أو المختصرة، ومنها:

1. الشريعة، لأبي بكر الآجري.

2. السنة، لأبي بكر الخلال.

3. السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل.

4. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة العكبري.

5. شرح أصول اعتقاد أهل السنة، لأبي القاسم اللالكائي.

وهناك كتب مختصرة، اختصرت ما ورد في تلك الكتب في متون علمية، مثل:

6. العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهي رسالة في العقيدة أرسلها الشيخ إلى أحد قضاة واسط فسميت بالواسطية، وعليها عدة شروح، من أنفسها شرح الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

7. العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي، وأفضل شروحها شرح ابن أبي العز الحنفي رحمه الله.

فصل في بدع العبادات

وأما الابتداع في جانب العبادات فبحر لا ساحل له، فلا تكاد تجد عبادة واردة عن النبي ﷺ إلا وأضاف عليها الناس زيادة من عندهم في أولها أو في آخرها، وربما استحدثوا عبادة ليس لها أصل في الشريعة إطلاقًا، وبعضها عرفت من الكفار، فأدخلوها في المسلمين من باب الذوق والاستحسان، كبدعة الاحتفال بالمولد النبوي، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله.

ومن البدع المتعلقة بالصلاة بدعة التلفظ بالنية قبل الصلاة، فهذه لم ترد عن النبي ﷺ، بل استحسنها بعض الفقهاء المنتسبين للمذهب الشافعي، مع أن الشافعي لم ينص عليها، وإنما زلة لبعض العلماء، فتابعهم الناس على ذلك إلى يومنا هذا.

ومن البدع المتعلقة بالصلاة؛ صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة، وهذه عبادة لم ترد عن النبي ﷺ، ولو أن النبي ﷺ فعلها لعلمها الصحابة ولنقلوها إلينا.

ومن البدع المتعلقة بالأذكار بدعة التسبيح الجماعي بعد الصلوات، فهذه من البدع أيضًا، وقد أنكرها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، والذي ورد عن النبي ﷺ هو أن المصلي بعد الانفلات من صلاته يسبح بمفرده، ولو كان التسبيح الجماعي خيرًا لسبقونا إليه.

وهناك بدع متعلقة بالشهور، كبدعة الاجتماع ليلة النصف من شعبان وإحيائها بالصلاة، وكذلك قيام يوم النصف من شعبان، فكل هذا لم يرد عن

النبي ﷺ ، لا في حديث صحيح ولا ضعيف، ولم يفعله الصحابة الذين هم أحرص الناس على الخير، ولو كان خيرا لسبقونا إليه قطعًا.

ومن البدع المشهورة أيضًا بدعة المولد النبوي، ولما كان الكلام فيها يطول؛ فقد أخرت الكلام فيها إلى آخر هذا الفصل المتعلق بالحق الرابع من حقوق النبي ﷺ .

وهناك بدع متعلقة بالأذان، كجهر بعض المؤذنين بالصلاة على النبي ﷺ في مكبر الصوت، وبدع متعلقة بالدعاء، وبدع متعلقة بالجنائز، وهلم جرا، ليس المقام مقام استقصائها.

والبدع لا يستطيع الإنسان تمييزها عن السنن إلا إذا صدق مع الله أولًا في قصد الاتباع للنبي ﷺ ، ثم أقبل على العلم الشرعي، وتعلم السنن الواردة عن النبي ﷺ ، الثابتة عنه، التي رواها الرواة الأثبات، وحفظوها في دواوين السنة المعروفة، في الصحيحين والسنن وموطأ مالك ومسند أحمد، فعندئذ سيكون عند الإنسان فرقان بين الحق والباطل، أما إذا كان الإنسان حاطب ليل، يقرأ ما هب ودب، ما بين حديث ضعيف أو موضوع، ويقرأ لكل من ادعى العلم، ولم يستند إلى دليل شرعي صحيح؛ فهذا ستكون عبادته مشوبة بالكثير من الأخطاء والبدع؛ لأن البشر غير معصومون، أما الوحي فمعصوم.

ومن أراد التوسع في الاطلاع على البدع العملية المنتشرة بين المسلمين؛ فعليه بكتاب «البدع الحولية» لعبد الله التويجري، وكتاب «معجم البدع» لرائد صبري، وقد صدر حديثا كتاب «قاموس البدع»، جمع فيه مؤلفه جميع أقوال الشيخ الألباني في البدع المبثوثة في كتبه، فجزاه الله خيرًا، وهناك غيرها من كتب أهل السنة.

20. وأضرار البدع كثيرة على فاعلها، منها: حصول الإثم العظيم، وتغيير الشريعة، وهجر السنة الصحيحة، وهذا من شؤم المعصية، فإنك لتجد الكثير من هؤلاء الحريصين على البدع يكون فاترًا في تنفيذ أمور ثبتت شرعيتها وثبتت سنيتها، وهذا كله من نتيجة أضرار البدع على القلوب، فالبدع أضرارها على القلوب عظيمة، وأخطارها على الدين جسيمة فما ابتدع قوم في دين الله بدعة إلا أضاعوا من السنة مثلها أو أشد.

21. أن علامة حب الله اتباع نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة آل عمران آية: 31، ولما كان الابتداع ضد الاتباع؛ كان الابتداع خللًا في حب النبي ﷺ، عافانا الله من ذلك.

22. أن اتباع سنة النبي ﷺ هو الطريق إلى العزة والكرامة في الدنيا، وهو الطريق المؤدية إلى الجنة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾، جعلنا الله ممن يتبعون سنة النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

فصل

في بيان حرص السلف على الاعتصام بالسنة والحذر من البدع

وأما آثار السلف في باب الاعتصام بالسنة والحذر من البدع فكثيرة جدًّا، ومن ذلك قول ابن سيرين: كانوا يرون أنه[1] على الطريق مادام على الأثر[2][3].

---

(1) أي المرء.

(2) المقصود بالأثر طريق النبي ﷺ وصحابته من بعده.

(3) أخرجه ابن عبد البر في «جامعه»، باب ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي، (2/ 216).

وقال سفيان قال: إنما الدين بالآثار[1].

وعن أبي الدرداء قال: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، إنك إن تتبع خير من أن تبتدع، ولن تخطئ الطريق ما اتبعت الأثر[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم[3].

وعن إسماعيل بن عبيد الله يقول: ينبغي لنا أن نحفظ ما جاءنا عن رسول الله ﷺ، فإن الله يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾، فهو عندنا بمنزلة القرآن[4].

قال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»:

أهل البدع أجْمع[5] **أضربوا عن السنن**، وتأولوا الكتاب على غير ما بينت السنة، فضلوا وأضلوا، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله التوفيق والعصمة برحمته، وقد روي عن النبي ﷺ التحذير عن ذلك في غير ما أثر[6].

قال الأوزاعي: **ندور مع السنة حيث دارت**[7].

قال أبو مسعود الأنصاري: إن دين الله واحد، وإياكم والتلون في دين الله[8].

---

(1) أخرجه ابن عبد البر في «جامعه»، باب ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي، (2/ 217).

(2) رواه المروزي في «السنة»، برقم (89)، الناشر دار غراس.

(3) رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (16)، باب ما يكون بدعة، والدارمي في باب كراهة أخذ الرأي (209)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (204)، والطبراني في الكبير (9/ 154)، وزاد: كل بدعة ضلالة.

(4) رواه المروزي في «السنة»، برقم (90).

(5) أي كلهم، بتسكين الجيم.

(6) باب من تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة.

(7) رواه اللالكائي برقم (48).

(8) رواه الحاكم في «المستدرك» (4/ 507).

وروى الخطيب البغدادي عن عثمان بن حاضر الأزدي قال: دخلت على ابن عباس فقلت: أوصني، فقال: عليك بالإستقامة، **اتبع ولا تبتدع**[1].

وروى الهروي في « ذم الكلام وأهله» عن ابن مسعود قال: يا أيها الناس، إن الله بعث محمدًا بالحق، وأنـزل عليه القرآن، وفرض عليه الفرائض، وأمره أن يعلم أمته، فبلّغ رسالته، ونصح لأمته، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، وبين لهم ما يجهلون، فاتبِعوه **ولا تبتدعوا فقد كفيتم**، كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة[2].

ورواه الطبراني مختصرًا بلفظ: (**اتبعوا ولا تبتدعوا** فقد كفيتم، كل بدعة ضلالة)[3]، وكذا الدارمي[4].

وروى الهروي في « ذم الكلام وأهله» عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: **إنا نتبع ولا نبتدع**، ونقتدي ولا نبتدي، ولن نضل ما تمسكنا بالآثار[5].

وهو مروي عن ابن مسعود أيضًا بلفظ: إنا نقتدي ولا نبتدي، **ونتبع ولا نبتدع**، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر[6].

---

(1) كتاب « الفقيه والمتفقه »، باب القول في انه يجب اتباع ما سنّه أئمة السلف (456)، والدارمي في باب من هاب الفتيا، ولفظه: نعم، عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع.

(2) (2/ 165)، رقم (247)، الناشر مكتبة الغرباء الأثرية.

(3) برقم (9/ 154) وغيرهم.

(4) المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، ولفظه: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم.

(5) (2/ 265)، رقم (337)، الناشر مكتبة الغرباء الأثرية.

(6) أخرجه اللالكائي برقم (106).

وعنه قال: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في **البدعة**[1].

وعن ابن عباس: **عليكم بالاستقامة** واتباع الأمراء والأثر، وإياكم **والتبدع**[2].

وعنه قال: إن أبغض الأمور إلى الله **البدع**[3].

وعن معاذ بن جبل ﵁ قال: **إياكم وما ابتُدع**، فإن ما ابتُدع ضلالة[4].

روى المروزي في « السنة » عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول: خير الدين دين محمد ﷺ، شر الأمور محدثاتها، **اتبعوا ولا تبتدعوا**، فإنكم لن تضلوا ما اتبعتم الأثر، إن تتبعونا فقد سبقناكم سبقًا بعيدًا، وإن تخالفونا فقد ضللتم ضلالًا كبيرًا، ما أحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع الله عنهم سنة هدى ثم لا تعود فيهم أبدًا، ولأن أرى في ناحية المسجد نارًا تشتعل فيه احتراقًا أحب إلي من أن أرى بدعة ليس فيه لها مغير[5].

وقال الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

---

(1) أخرجه اللالكائي برقم (114)، والدارمي في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، والحاكم في المستدرك (1/ 103)، والبيهقي (3/ 19)، والمروزي في « السنة » (77).

(2) رواه المروزي في « السنة » (71)، وأخرجه ابن وضاح في « البدع »، باب كل محدثة بدعة، ولفظه: عليكم بالاستقامة واتباع والأثر، وإياكم والتبدع.

(3) رواه البيهقي (4/ 316)، والمروزي في « السنة » (72).

(4) رواه الحاكم في «المستدرك» (4/ 460).

(5) برقم (69).

والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، **ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هي الاتباع وترك الهوى**[1].

وروى محمد بن نصر المروزي في كتابه «تعظيم قدر الصلاة» عن حسان بن عطية قال: خمس كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين بإحسان: اتباع السنة، ولزوم الجماعة، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

قال أبو عبد الله[2]: وأظن قال: وعمارة المساجد[3].

وروى أبو داود عن أبي رجاء عن أبي الصلت قال: كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدَر فكتب:

أما بعد؛ أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، **واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون** بعد ما جرت به سنته وكُفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنَّها من قد عَلِم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحُمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذٍ كَفُّوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم؛ ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم

---

(1) « السنة » للالكائي (1/ 176).

(2) هو المروزي نفسه.

(3) باب أدلة الكتاب والسنة على أن الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام إنما هو بتصديقه واتباع ما جاء به، (745).

السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مُقْصر وما فوقهم من مَحْسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلي هدى مستقيم[1].

قال في «عون المعبود » ما محصله أن السلف الصالحين قد حبسوا أنفسهم عن كشف ما لم يُحتج إلى كشفه من أمر الدين، وكذلك كشفوا ما احتيج إلى كشفه من أمر الدين كشفًا لا مزيد عليه، (وطمح عنهم أقوام فغلوا) أي في الكشف، أي شددوا حتى جاوزوا فيه الحد، فهؤلاء قد أفرطوا وأسرفوا في الكشف، كما أن أولئك قد فرطوا وقتروا فيه.

(وإنهم) أي السلف (بين ذلك) أي بين القصر والطمح، أي بين الإفراط والتفريط، بل كانوا على طريق مستقيم، وهو الاقتصاد والتوسط بين الإفراط والتفريط، ليسوا بمفرطين كالقوم القاصرين دونهم، ولا بمفرطين كالأقوام الطامحين عنهم.

قال ابن عباس: ما من عام إلا والناس يحيون فيه بدعة ويميتون فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن[2].

ولما ذُكر لابن مسعود أن أناسًا يسبحون بالحصا في المسجد أتاهم، وقد كَوَّم كل رجل منهم بين يديه كومة حصا، فلم يزل يحصبهم بالحصا حتى أخرجهم من المسجد ثم قال: لقد أحدثتم بدعة ظلمًا أو قد فضلتم أصحاب محمد علمًا ﷺ[3].

---

(1) رواه أبو داود (4612)، و « البدع والنهي عنها »، باب كل محدثة بدعة، (77)، ورواه الخطيب في الفقيه والمتفقه بنحوه عن عبد العزيز بن الماجشون، باب ذكر ما تعلق به من أنكر المجادلة وإبطاله، (2/ 555)، والفظ لأبي داود.

(2) رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (99)، والمروزي في «السنة» (87).

(3) رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (21)، باب ما يكون بدعة.

فصل

بالعلم تقمع البدع

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **عليكم بالعلم** قبل أن يقبض، وقبضه أن يُذهب بأصحابه، عليكم بالعلم، فإن أحدكم لا يدري متى يَفتقر إليه أو يُفتقر إلى ما عنده، وإنكم ستجدون أقوامًا يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، **عليكم بالعلم، وإياكم والتبدع**، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق[1].

وقال أيضًا: إنكم اليوم على الفطرة، وإنكم **ستحدِثون ويُحدث لكم**، فإذا رأيتم محدثة **فعليكم بالهدي الأول**[2][3].

وروى الخطيب البغدادي عن سفيان قال: إذا كان **يأتم بمن قبله**[4]؛ فهو إمام لمن بعده[5].

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان هلاكًا مني.

---

(1) رواه الخطيب البغدادي في «كتاب الفقيه والمتفقه» (1/ 167)، وابن عبد البر في «جامعه» مختصرًا، باب باب من تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة، (2363).

(2) أي هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

(3) رواه المروزي في «السنة» (80)، والدارمي في باب الفتيا وما فيه من الشدة، (172).

(4) وهم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم.

(5) كتاب «الفقيه والمتفقه»، باب القول في أنه يجب اتباع ما سنّه أئمة السلف (457).

فقيل: كيف؟

فقال: والله إنه[1] ليُحدث البدعة في مشرقٍ أو مغرب، فيحملها الرجل إلي، فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنة، فترد عليه[2][3].

وعن أبي حمزة قال: قلت لإبراهيم: إنك إمامي، وأنا أقتدي بك، فدلني على الأهواء.

قال: ما جعل الله فيها مثقال حبة من خردل من خير، وما الأمر إلا الأمر الأول[4].

فصل

في حال أهل البدع في الآخرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إنشاء الله بكم لاحقون، ودِدت أنَّا قد رأينا إخواننا.

فقالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟

قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد.

فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟

(1) أي الشيطان.
(2) أي على الشيطان.
(3) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (1/ 55).
(4) «حلية الأولياء» (4/ 247-248).

فقال: أرأيت لو أن رجلًا له خيل غُرٌّ[1] محجلة[2] بين ظهري خيل دُهم[3] بُهم[4]، ألا يَعرف خيله؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم[5] على الحوض، ألا ليُذادن[6] رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، فأناديهم: ألا هلم، فيقال: **إنهم قد بدّلوا بعدك.**

فأقول: سحقًا سحقًا»[7].

فصل

في تلاعب الشيطان بعقول أهل البدع

والبدعة يزينها الشيطان في عيون الناس، فيجتهد صاحبها فيها، كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾، ولهذا قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة[8].

---

(1) الغرة هي البياض في وجه الفرس. «النهاية».

(2) التحجيل هو بياض في القوائم يرتفع إلى موضع قيد الفرس. «النهاية».

(3) الدهم هم العدد الكثير. «النهاية».

(4) البهم جمع بهيم وهو اللون الذي لا يخالطه لون سواه. «النهاية».

(5) أي متقدمكم إليه. «النهاية».

(6) يذاد أي يطرد ويساق. «لسان العرب».

(7) رواه مسلم (249).

(8) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (1/ 179)، واللالكائي (1/ 104)، والمروزي في «السنة» (70).

وعن أيوب السختياني أنه كان يقول: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا[1].

وقال: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يتاب منها[2].

---

(1) «حلية الأولياء» (3/ 10)، وروي نحوه عن الحسن في «البدع والنهي عنها» (69).

(2) «حلية الأولياء» (7/ 28)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (238).

الحق الخامس: التحاكم لشريعته ﷺ

ومن حقوق الرسول ﷺ التحاكم لشريعته، والرضى بحكمه رضًا قلبيًّا كاملًا والاستسلام لها، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا»[1].

والرضا كلمة تجمع القبول والانقياد، فلا يكون الرضا إلا حيث يكون التسليم المطلق والانقياد الكامل ظاهرًا وباطنًا لما جاء به الرسول ﷺ من ربه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾.

(كلا الآيتين توجبان التسليم الكامل والانقياد التام من أهل الإيمان لِما حَكم به الله تعالى وحكم به رسوله ﷺ، فليس في ذلك اختيار، بل السمع والطاعة والقبول والتسليم بما جاء عن الله ورسوله.

ومن الملاحظ في كلا الآيتين أن الخطاب فيهما لأهل الإيمان، ففي الآية الأولى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وفي الثانية: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾، وهذا التخصيص للمؤمنين فيه من الدلالة ما فيه، فاسم الإيمان يُشعر بأن هذا

(1) رواه مسلم (34).

المطلوب منهم من موجبات الاسم الذي نُسبوا إليه، ولذلك فإنه يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله ﷺ أن يضع هاتين الآيتين وأمثالها من الآيات الموجبة للامتثال لأمر الله ورسوله ﷺ نصب عينيه، فيسمع ويطيع، ويؤمن بأنه لا اختيار له في ذلك ولا رأي، بل التسليم المطلق الذي لا يصاحبه شك ولا ارتياب.

فهذه حقيقة الإيمان ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله، التي تعني طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

ومثل هذه الآيات هي الفاصل بين دعوى الإيمان الحقيقية التي هي للمؤمنين الصادقين، وبين دعوى الإيمان الزائفة الباطلة التي هي سمة المنافقين الكاذبين، المظهرين خلاف ما يبطنون)[1].

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2].

قال ابن تيمية: فكل من خرج عن سنة رسول الله ﷺ وشريعته؛ فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله ﷺ في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين والدنيا، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه، ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة[3].

---

(1) «حقوق النبي ﷺ على أمته»، ص 184 – 185.

(2) سورة النساء: 65.

(3) «مجموع الفتاوى» (28/ 471).

وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾، أي إذا حكّموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلموا لذلك تسليمًا كليًّا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. انتهى.

قال ابن القيم: أقسم سبحانه بأجلِّ مقسَمٍ به - وهو نفسه ﷻ - على أنهم لا يَثبت لهم الإيمان ولا يكونون من أهله حتى يحكموا رسوله ﷺ في جميع موارد النزاع، وهو كل ما شجر بينهم من مسائل النزاع في جميع أبواب الدين، فإن لفظة «ما» من صيغ العموم، فإنها موصولة، تقتضي نفي الإيمان إذ لم يوجد تحكيمه في جميع ما شجر بينهم.

ولم يقتصر على هذا حتى ضم اليه انشراح صدورهم بحكمه، بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجًا - وهو الضيق والحصر[1] - من حكمه، بل يتلقوا حكمه بالإنشراح ويقابلوه بالتسليم، لا أنهم يأخذونه على إغماض[2] ويشربونه على إقذاء[3]، فإن هذا مناف للإيمان، بل لابد أن يكون أخذه بقبول ورضى وانشراح صدر.

---

(1) الحصر هو الحبس، والمقصود به هنا هو الضيق، لأن المحبوس يضيق بحبسه. انظر « النهاية ».

(2) الإغماض هو التنقص لقيمة الشيء. انظر « المعجم الوسيط ».

(3) الإقذاء من القذى، وهو الشوائب التي تكون في الشراب، والمقصود هو السكوت على الذل كما يشرب الإنسان من الماء الذي فيه شوائب وهو كاره لذلك، متصبر عليه.

ومتى أراد العبد أن يعلم منزلته من هذا فلينظر في حاله، وليطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها، ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾.

فسبحان الله، كم من حزازة في قلوب كثير من الناس من كثير من النصوص، وبودهم أن لو لم ترد، وكم من حزازة في أكبادهم منها، وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها، ستبدو لهم تلك السرائر بالذي يسوء ويخزي يوم تبلى السرائر.

ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى: ﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾، فذكر الفعل مؤكِّدًا له بمصدره القائم مقام ذكره مرتين، وهو الخضوع له والانقياد لما حَكم به طوعًا ورضًا وتسليمًا، لا قهرًا ومصابرةً، كما يُسلِّم المقهور لمن قهره كَرهًا، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه، ويعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه إليه، ويعلم بأنه أولى به من نفسه، وأبرّ به منها، وأرحم به منها، وأنصح له منها، وأعلم بمصالحه منها، وأقدر على تحصيلها.

فمتى علم العبد هذا من الرسول ﷺ؛ استسلم له، وسلَّم إليه، وانقادت كل ذرة من قلبه إليه، ورأى أنه لا سعادة له إلا بهذا التسليم والانقياد[1].

وقال أيضًا رحمه الله كلامًا نفيسًا في « الصواعق المرسلة »:

وقد أقسم سبحانه بنفسه المقدسة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله في

(1) « الرسالة التبوكية »، ص 80 – 83.

كل ما شجر بينهم، ولا يكفي ذلك في حصول الإيمان حتى يزول الحرج من نفوسهم بما حكم به في ذلك أيضًا، حتى يحصل منهم الرضا والتسليم، فقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾، فأكد ذلك بضروب من التأكيد:

أحدها: تصدير الجملة المقسم عليها بحرف النفي المتضمن لتأكيد النفي المقسم عليه[1]، وهو في ذلك كتصدير الجملة المثبتة بـ «إن».

الثاني: القسم بنفسه سبحانه.

الثالث: أنه أتى بالمقسم عليه بصيغة الفعل الدالة على الحدوث، أي لا يقع منهم إيمان ما حتى يحكموك.

الرابع: أنه أتى في الغاية بـ «حتى» دون «إلا» الـمُشعِرة بأنه لا يوجد الإيمان إلا بعد حصول التحكيم، لأن ما بعد «حتى» يدخل فيما قبلها.

الخامس: أنه أتى المحَكّم فيه بصيغة الموصول الدالة على العموم، وهو قوله: ﴿ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾، أي في جميع ما تنازعوا فيه من الدقيقة والجليلة.

السادس: أنه ضم إلى ذلك انتفاء الحرج، وهو الضيق من حكمه.

السابع: أنه أتى بهِ نكرةً في سياق النفي، أي لا يجدون نوعًا من أنواع الحرج البتة.

الثامن: أنه أتى بذكر ما قضى به بصيغة العموم، فإنها إما مصدرية، أي من قضائك، أو موصولة، أي من الذي قضيته، وهذا يتناول كل فرد من أفراد قضائه.

---

(1) أي قوله ﴿فلا﴾.

التاسع: أنه لم يكتف منهم بذلك حتى يضيفوا إليه التسليم، وهو قدر زائد على التحكيم وانتفاء الحرج، فما كل من حكَّم انتفى عنه الحرج، ولا كل من انتفى عنه الحرج يكون مسلِّما منقادًا، فإن التسليم يتضمن الرضا بحكمه والانقياد له.

العاشر: أنه أكَّد فعل التسليم بالمصدر المؤكد[1].

وضد التحاكم إلى الشريعة الإعراض عنها، وهذا من علامات الزيغ والنفاق، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[2].

❖❖❖

(1) «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (1520 – 1521)، الناشر دار العاصمة.

(2) سورة النساء: 60 – 61.

الحق السادس: تعظيم سنته ﷺ

تعظيم سنة النبي ﷺ تقتضي العمل بشريعته، والتأسي بسنته، والأخذ بأوامره ظاهرًا وباطنًا، والتمسك بها والحرص عليها، وتحكيم ما جاء به في الأمور كلها، والرضا بحكمه والتسليم له، والسعي في إظهار دينه، ونصر ما جاء به، وتبليغ رسالته للناس، ودعوتهم للإيمان به، والذب عن سنته والدفاع عنها وتعلُّمها وتعليمها وخدمتها، والموالاة والمعادة والحب والبغض لأجله، وجهاد من خالفه، واجتناب ما نهى عنه وزجر، والبعد عن معصيته ومخالفته والحذر من ذلك، والتوبة والاستغفار عما وقع فيه الزلل والتقصير.

ومن دلائل **تعظيم سنته** ﷺ؛ توقير حديثه، والتأدب عند سماعه، والوقار عند دراسته، وقد كان لسلف الأمة وعلمائها عمومًا والمحدثين خصوصًا منهم رصين ورصيد ثريٌّ وإسهام قوي في إجلال حديث رسول الله ﷺ، وتوقير مجلس الحديث، والتحفز لاستباق العمل به، تعظيمًا له، وقد كان محمد بن سيرين يتحدث فيضحك، فإذا جاء الحديث خشع[1].

وتعظيم سنته ﷺ يتضمن إجلال العاملين بها وتقديرهم وتوقيرهم، وخاصة العلماء منهم، فهم الشامة في جبين الأمة، وهم النور الذي يمشي بين الناس، كما هم الأمنة والأمناء على ميراث النبوة.

(1) رواه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع »، (985) عن حسين المعلم، باب خشوعه في حال الرواية، الناشر دار الكتب العلمية.

ولهذا قال سفيان بن عيينة: ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة لقول النبي ﷺ: «نضر الله امرأً سمع منا حديثًا فبلغه»[1].

ورواه الدينوري عن الفضيل بن عياض رحمه الله[2].

وقال الشافعي رحمه الله: إذا رأيت رجلًا من أصحاب الحديث؛ كأني رأيت رجلًا من أصحاب النبي ﷺ[3].

وقال أحمد بن حنبل: من عظم أصحاب الحديث؛ تعظَّم في عين رسول الله، ومن حقرهم؛ سقط من عين رسول الله، لأن أصحاب الحديث أحبار[4] رسول الله ﷺ[5].

---

(1) رواه الخطيب البغدادي في « شرف أصحاب الحديث »، باب قوله ﷺ: ليبلغ الشاهد منكم الغائب.

(2) « المجالسة وجواهر العلم »، الجزء الأول، أثر رقم 114، الناشر دار ابن حزم.

(3) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (9/116).

(4) الحبر هو العالم. « النهاية ».

(5) روى ذلك ابن الجوزي عنه في كتابه « مناقب الإمام أحمد بن حنبل »، الباب الثاني والعشرون في ذكر تعظيمه لأهل السنة والنقل، ص 249، الناشر دار هجر للنشر والتوزيع، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

الحق السابع: مجانبة الراغبين عن سنة النبي ﷺ

ومن أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ مجانبة أهل البدع، والحكمة في ذلك ألا يلبسوا على السني دينه، وليكون في هجره تأديبًا له لعله يرجع عن بدعته، فعن سفيان الثوري قال: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره[1]، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله في النار، وإما أن يقول (والله ما أبالي ما تكلموا، وإني واثق بنفسي)، فمن أَمِن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه[2].

وعن أبي قلابة[3] أنه قال: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تخالطوهم، فإني لا آمن أن يغمِسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون[4].

كان عمرو بن قيس الملائي يقول: لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك[5].

قال ابن المبارك لإسماعيل الطوسي: إياك أن تجالس صاحب بدعة[6].

وأعظم من ينبغي الحذر من مجالستهم من أهل البدع هم أهل البدع العقائدية، ويليهم أهل البدع العملية، والله أعلم.

---

(1) أي يراه الناس يجالس أصحاب البدع فيقلدونه.

(2) «البدع والنهي عنها» (120).

(3) هو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي، أبو قلابة البصري، ثقة فاضل. «تقريب التهذيب» لابن حجر رحمه الله.

(4) رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (244)، والدارمي في المقدمة، باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة (397)، والبيهقي في « كتاب الاعتقاد »، ص 319، وغيرهم.

(5) رواه أبو نعيم في « الحلية » (5/ 118).

(6) رواه اللالكائي (260).

الحق الثامن: الدعوة لدينه

ومن حقوق النبي ﷺ: الحرص على نشر سنته وهديه، وتبليغها للناس، وقد ثبت عنه أنه قال: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»[1]، وقال: «بلغوا عني ولو آية»[2].

وقد دعا رسول الله ﷺ لمن حمل هذا اللواء بقوله: «نضر الله امرأً سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»[3].

ومن حقوق النبي ﷺ الحرص على إماتة البدع والضلالات المخالفة لأمره وهديه، لأن البدع تهدم الدين، وتخالف هدي النبي ﷺ، بل هي زيادة في دين الإسلام، وهي مردودة على صاحبها، كما قال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[4].

فصل

والأدلة على فضل الدعوة إلى الله كثيرة جدًّا، ليس المقام مقام استقصائها، نكتفي منها بآية وثلاثة أحاديث، وفيها كفاية لمن أراد الهداية، أما الآية فقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾، أي لا أحد أحسن قولًا ممن دعا إلى الله.

(1) رواه البخاري (67) ومسلم (1679) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(2) رواه البخاري (3461) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(3) رواه ابن حبان (66) والترمذي (2657) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(4) تقدم تخريجه.

قوله: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ (أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد)[1].

وأما الأحاديث الثلاثة فأولها حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أرسل علي بن أبي طالب لغزو اليهود في خيبر، فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعم»[2].

وأما الحديث الثاني على فضل الدعوة حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، الحديث»[3].

وأما الحديث الثالث فهو حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا،

---

(1) قاله ابن كثير في تفسير الآية.

(2) رواه البخاري (4210) ومسلم (2406)، قال ابن حجر رحمه الله: (حُمْر النعم) بسكون الميم وبفتح النون والعين، وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل تقتنيها وتملكها، وكانت مما تتفاخر العرب بها. (باختصار).

(3) رواه مسلم (2674).

فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان، لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعهُ ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: قال القرطبي وغيره:

ضرب النبي ﷺ لِمَا جاء به من الدين مثلًا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت؛ فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة؛ شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها.

ومنهم الجامع للعلم، المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله «نضر الله امرأً سمع مقالتي فأداها كما سمعها».

ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء، التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها.

وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها، والله أعلم.

---

(1) رواه البخاري (79) ومسلم (2282).

فصل

والمبتدع لا يحب نشر السنة النبوية، ويسعى لكتمانها، قال ابن تيمية: ومن المعلوم أنك لا تجد أحدًا ممن يرد نصوص الكتاب والسنة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله، ويود أن تلك الآية لم تكن نزلت، وأن ذلك الحديث لم يرِد، ولو أمكنه كشط ذلك المصحف من قلبه لفعله.

قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا خرجت حلاوة الحديث من قلبه.

وقيل عن بعض رؤوس الجهمية - إما بشر المريسي أو غيره - أنه قال: ليس شيء أنقض لقولنا من القرآن، فأقِروا به في الظاهر، ثم صرِّفوه بالتأويل.

ويقال إنه قال: إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل.

ولهذا تجد الواحد من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية، بل قد يختار كتمان ذلك والنهي عن إشاعته وتبليغه، خلافًا لما أمر الله به ورسوله من التبليغ عنه، كما قال: «ليبلغ الشاهد الغائب»، وقال: «بلغوا عني ولو آية»، وقال: «نضر الله امرأً سمع منا حديثًا فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

وقد ذم الله في كتابه الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى، وهؤلاء يختارون كتمان ما أنزله الله لأنه معارض لما يقولونه، وفيهم جاء الأثر المعروف عن عمر، قال: (إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن، أعيتهم السنن أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، وسُئلوا فقالوا في الدين برأيهم)[1]، فذَكر أنهم أعداء السنن.

(1) تقدم تخريجه.

وبالجملة، فكل من أبغض شيئًا من الكتاب والسنة ففيه من عداوة النبي بحسب ذلك، وكذلك من أحب ذلك ففيه من الولاية بحسب ذلك، قال عبد الله بن مسعود: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله.

وأعداء الأنبياء هم شياطين الإنس والجن، وهؤلاء يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، والزخرف هو الكلام المزين، كما يزيَّن الشيء بالزخرف وهو المذهب، وذلك غرور، لأنه يغر المستمع، والشبهات المعارضة لما جاءت به الرسل هي كلام مزخرف يغر المستمع، ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، فهؤلاء المعارضون لما جاءت به الرسل تَصغى إليه[1] أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة كما رأيناه وجربناه[2].

(1) أي تصغي إلى كلامهم.

(2) «درء تعارض العقل والنقل» (5/ 217 – 220)، باختصار يسير.

الحق التاسع: الذب عن دينه ﷺ

الذب عن دين النبي ﷺ يتضمن أمورًا خمسة:

1. حفظ سنته من الضياع، وقد بذل أئمة الإسلام رحمهم الله جهودًا عظيمة في حفظ مخطوطات الحديث النبوي وآثار الصحابة والتابعين على مر القرون إلى وقتنا هذا الذي قامت فيه جهات حكومية متخصصة في حفظ السنة، من جامعات ومتاحف ومراكز مخطوطات ونحوها.

2. ومن الذب عن سنته أيضًا: حمايتها من انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، وهو باب عظيم من أبواب الذب عن الدين، وقد قام به خير قيام علماء المسلمين منذ ظهرت البدع، عملًا بوصية النبي ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون[1] وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خُلوف[2]، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[3].

---

(1) الحواريون هم خاصة الإنسان، من الأصحاب والأنصار. «النهاية».

(2) أي يأتي أناس، يخلف بعضهم بعضًا، كلما ذهب أناس جاء آخرون.

(3) رواه مسلم (50).

هذه الأحاديث والآثار تبين صفة أَتباع الأنبياء، فهم يطيعون أنبياءهم ويأخذون بسنتهم ويأتمرون بأمرهم، ولا يحيدون عن ذلك ولا يخالفونه إلى ما سواه.

وأما المخالفون لهم؛ فمنهم الذين ابتدعوا أمورًا في الدين لم تشرع لهم، وأخذوا يتعبدون الله بها، وهم المشار إليهم بقوله: «ويفعلون ما لا يؤمرون»، وهؤلاء ينطبق عليهم أيضًا قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾.

والذب عن الدين لا يقوم به إلا خواص المسلمين، جعلنا الله منهم، قال محمد بن المرتضى اليماني رحمه الله – الشهير بابن الوزير – في مقدمة كتابه «إيثار الحق على الخلق » ما نصه:

المحامي عن السنة، الذاب عن حماها؛ كالمجاهد في سبيل الله تعالى –، يعد للجهاد ما استطاع من الآلات والعدة والقوة، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1]، وقد ثبت في الصحيح أن جبريل عليه السلام كان مع حسان بن ثابت يؤيده ما نافح عن رسول الله ﷺ في أشعاره، فكذلك من ذب عن دينه وسنته من بعده، إيمانًا به وحبًّا ونصحًا له ورجاء أن يكون من الخلف الصالح الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين»، والجهاد باللسان أحد أنواع الجهاد وسبله.

---

(1) الأنفال: 60.

وقال الشيخ العلامة عبد اللطيف آل الشيخ:

إن الجهاد بالعلم والحجة مقدم على الجهاد باليد والقتال، وهو من أظهر شعائر السنة وآكدها، وإنما يختص به في كل عصر ومِصر أهل السنة وعسكر القرآن وأكابر أهل الدين والإيمان، فعليك بالجد والاجتهاد فيه، واعتد به من أفضل الزاد للمعاد[1].

3. ومن الذب عن سنته أيضًا الرد على الطاعنين في سنته، المتنقصين لها، من علمانيين وقرآنيين ورافضة وغيرهم، وبيان أكاذيبهم ودسائسهم.

4. ومن الذب عن سنته أيضًا: الرد على شبهات المستهزئين بما ثبت من هديه في القول أو الفعل أو الاعتقاد، كاستهزاء بعضهم بالحجاب، أو باللحية، أو برفع الإزار فوق الكعبين، أو بالسواك، ونحوها.

5. ومن الذب عن سنة النبي ﷺ تنقيحها مما أدخله المبطلون فيها من الأحاديث الضعيفة والمكذوبة على النبي ﷺ، وبيان صحيحها من سقيمها، وقد كان لأئمة الحديث القدَح المعلى في تنقيح السنة، وتمييز الطيب من الخبيث، وفحص الرواة ومعرفة أحوالهم.

والاستهزاء بالسنة الصحيحة الثابتة والطعن بها كفر يخرج من الملة، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[2].

(1) «الدرر السنية» (3/ 294 – 295).

(2) التوبة: 65 – 66.

والتهاون في الذب عن شريعة رسول الله ﷺ يعتبر من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وعرضه وسنته؛ فهو كاذب في دعواه.

6. ومن الذب عن دينه الجهاد في سبيل الله، وكتب الحديث عامرة بذكر غزوات النبي ﷺ ونصرة الصحابة له، وكذا كتب السير والتاريخ فيها الكثير من أخبار الغزوات في عهد الخلفاء وعهد التابعين ومن بعدهم، والجهاد باق إلى يوم القيامة، وهو من علامات صدق الإيمان وبذل النفس لنصرة الإسلام، والكلام فيه يطول، يوجد في مظانه.

ومن أروع ما سطره التاريخ في الذب عن دين الإسلام في ساحات الجهاد ما قاله أنس بن النضر يوم أحد لما انكشف المسلمون: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني أصحابه –، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ، ثم تقدم فاستقبله سعد، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحُد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع.

قال أنس بن مالك راوي الحديث: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه[1]»[2].

---

(1) بنانه أي أصابعه، وقيل أطراف الأصابع، مفردها بنانة. «النهاية».

(2) انظر البخاري (2805)، ومسلم (1903) عن أنس رضي الله عنه.

الحق العاشر

محبة النبي ﷺ أكثر من محبة النفس والمال والوالدين والولد والناس أجمعين

محبة النبي ﷺ وتعظيمه ﷺ من شرط إيمان العبد، ومن أصول الدين، بل الأمر كما قال ابن تيمية رحمه الله: قيام المِدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله[1].

والأدلة على وجوب حب النبي ﷺ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[2].

فكفى بهذه الآية حضًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾، ثم فسّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله.

فصـــل

وتمام وكمال محبة النبي ﷺ لا تكون إلا بتقديم محبة النبي ﷺ على النفس والمال والأهل، ودون هذا نقص في المحبة والإيمان، وقد دل على هذا

---

(1) «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»، (2/ 397)، الناشر: رمادي للنشر.

(2) التوبة: 24.

الكتاب والسنة، فأما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[1].

ومن السنة قوله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه»[3].

قال ابن القيم رحمه الله: وهذه الأولوية تتضمن أمورًا، منها:

أن يكون النبي أحب إلى العبد من نفسه؛ لأن الأولوية أصلها الحب، ونفسُ العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا فيجب أن يكون الرسول أولى به منها[4]، فبذلك يحصل له اسم الإيمان.

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة، من الرضا بحكمه، والتسليم لأمره، وإيثاره على من سواه.

ومنها: أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلًا، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ، يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده والوالد على ولده، فليس في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها.

(1) الأحزاب: 6

(2) رواه البخاري (2399) ومسلم (1619) عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(3) رواه مسلم (867) عن جابر رضي الله عنه.

(4) أي النفس.

فيا عجبًا كيف تحصل هذه الأولوية لعبد قد عزل ما جاء به الرسول ﷺ عن منصب التحكيم، ورضي بحكم غيره، واطمأن إليه أعظم من طمأنينته إلى رسول الله ﷺ، وزعم أن الهدى لا يُتلقى من مشكاته، وإنما يُتلقى من دلالات العقول، وإن ما جاء به لا يفيد اليقين، إلى غير ذلك من الأقوال التي تتضمن الإعراض عنه وعما جاء به، والحوالة في العلم النافع إلى غيره، ذلك هو الضلال المبين، ولا سبيل إلى ثبوت هذه الأولوية إلا بعزل كل ما سواه، وتوليته في كل شيء، وعرض ما قاله كل أحد سواه على ما جاء به، فإن شهد له بالصحة قبله، وإن شهد له بالبطلان رده، وإن لم تتبين شهادته له بصحة ولا بطلان جعله بمنزلة أحاديث أهل الكتاب، ووقّفه حتى يتبين أي الأمرين أولى به.

ومن العجب أن يدعي حصول هذه الأولوية والمحبة التامة من كان سعيه واجتهاده ونصَبه في الاشتغال بأقوال غيره وتقريرها والغضب والحمية لها والرضا بها والتحاكم إليها، وعرضِ ما قال الرسول عليها، فإن وافقها قبله، وإن خالفها التمس وجوه الحيل، وبالغ في رده[1] ليًّا وإعراضًا[2].

وأما الدليل من السنة على أن كمال محبة النبي ﷺ لا يكون إلا بتقديم محبة النبي ﷺ على النفس والمال والأهل فقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[3].

قال النووي في شرح الحديث: قال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما رحمة الله عليهم:

---

(1) أي ما قال الرسول ﷺ.

(2) « الرسالة التبوكية » ص 93 - 97 باختصار يسير.

(3) رواه البخاري (15) ومسلم (44) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس، فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته.

وأخرج البخاري عن عبد الله بن هشام قال: «كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك.

فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي.

فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر»[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار»[2].

فبين هذا الحديث أمرين؛ الأول: كيف يكون كمال المحبة، وهو بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فلا يكتفى بأصل الحب بل لا بد من أن يقدم على كل شيء ليحصل للعبد كمال الإيمان ويذوق حلاوته.

---

(1) رواه البخاري (6632).

(2) رواه البخاري (16)، ومسلم (43)، واللفظ لمسلم.

والثاني: لوازم المحبة وهن أمران؛ الأول: الحب في الله، والثاني: كره ما يكرهه الله ورسوله، وهو الكفر.

قال ابن تيمية رحمه الله: **ومحبة الله ورسوله على درجتين**: واجبة، وهي درجة المقتصدين، ومستحبة، وهي درجة السابقين، فالأولى: تقتضي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، بحيث لا يحب شيئًا يبغضه، كما قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه الله تعالى، وبغض ما حرمه الله تعالى، وذلك واجب، فإن إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أوجبه، كما تقتضي عدم الأشياء التي نهى الله عنها، وذلك مسلتزم لبغضها التام.

فيجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾.

وأما محبة السابقين؛ بأن يحب ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة، وهذه حال المقربين الذين قربهم الله إليه[1].

(1) « قاعدة في المحبة »، ص 277 – 278، وتقع في « جامع الرسائل » لابن تيمية، المجموعة الثانية، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

قال ابن رجب رحمه الله: فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبةً توجب له الإتيان بما وجب عليه منه، فإن زادت المحبة حتى أتى بما نُدب إليه منه كان ذلك فضلًا، وأن يكره ما كرِهه الله تعالى كراهة توجب له الكف عما حرَّم عليه منه، فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرِهه تنزيهًا كان ذلك فضلًا[1].

فصل

وقد جاء ذكر محبة الرسول مقترنًا بمحبة الله في عدة نصوص شرعية من الكتاب والسنة، فدل على عظم شأنه، كقوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، وكذلك في قوله ﷺ: «ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان؛ من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..» الحديث.

وهذا الاقتران يدل على مدى الصلة الوثيقة بين محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، وإن كانت محبة الرسول داخلة ضمن محبة الله تعالى أصلًا، لكن إفرادها بالذكر مع أنها ضمن محبة الله فيه إشارة إلى عظم قدرها وإشعار بأهميتها ومكانتها.

فتأمل هذا التلازم بين محبة الله تعالى ومحبة نبيه ﷺ.

قال ابن القيم: وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسِله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله ﷺ لهم.

---

(1) «جامع العلوم والحكم»، شرح الحديث الحادي والأربعين.

والمقصود أن النبي ﷺ ألقى الله سبحانه وتعالى عليه من المهابة والمحبة، ولكل مؤمن مخلص حظ من ذلك[1].

فصل

والحب الصادق للنبي ﷺ له دلائل عدة؛ أهمها وأولها: موافقة الرسول ﷺ في حب ما يحبه وكره ما يكرهه، قال ابن رجب رحمه الله: فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى بما يُرضي الله ورسوله، ويَسخط ما يسخَطُه الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمِل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه؛ دل ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة، قال أبو يعقوب النهرُجوري: كل من ادعي محبة الله عز وجل ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة، وكل مُحب ليس يخاف الله فهو مغرور[2].

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعي محبة الله عز وجل ولم يحفظ حدوده.

ولبعض المتقدمين:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع[3][4]

---

(1) «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد سيد الأنام»، الباب الثاني، ص 297 – 298، الناشر دار عالم الفوائد.

(2) «جامع العلوم والحكم»، شرح الحديث الحادي والأربعين.

(3) هذا البيت وإن كان مُتعلقه حب الله عز وجل فإن مطرد في حق النبي ﷺ، لأن كلا المحبتين مستلزمة للأخرى.

(4) «جامع العلوم والحكم»، شرح الحديث الحادي والأربعين، باختصار يسير.

فصـــل

وجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾.

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه[1].

ومن علامات محبة النبي ﷺ حب من أحبه الله ورسوله ﷺ، قال ابن رجب رحمه الله: وكذلك حب الأشخاص؛ الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عمومًا، ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ويحرم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عمومًا، وبهذا يكون الدين كله لله، ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصًا في إيمانه الواجب، فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول ﷺ من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها[2].

---

(1) «جامع العلوم والحكم»، شرح الحديث الحادي والأربعين.

(2) «جامع العلوم والحكم»، شرح الحديث الحادي والأربعين، باختصار.

فصل

ومن علامات محبة النبي ﷺ بغض من أبغضه الله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ سورة المجادلة آية: 22، وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والمؤمن عليه أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي والأمر بالإصلاح بينهم...

وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك.

فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتاب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه، والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة؛ استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة[1].

فصل

(والناس باعتبار الحب والبغض والولاء والبراء ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من يُحب جملة، وهو من آمن بالله ورسوله، وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام، علمًا وعملًا واعتقادًا، وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله، وانقاد لأوامره، وانتهى عما نهى الله عنه ورسوله، وأحب في الله، ووالى في الله، وأبغض في الله، وعادى في الله، وقدم قول رسول الله ﷺ على قول كل أحد كائنًا من كان.

الصنف الثاني: من يحب من وجه ويبغض من وجه، وهو المسلم الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فيُحَب ويوالى على قدر ما معه من الخير، ولا

(1) «مجموع الفتاوى» (28/ 208 - 209)، باختصار يسير.

يُبغض أكثر مما يصلح، وإذا أردت الدليل على ذلك؛ فهو في قصة ذلك الرجل من الصحابة والذي كان يشرب الخمر، فأُتي به إلى رسول الله ﷺ، فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله».

الصنف الثالث: من يُبغض جملة، وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره، وأنه كُلُّه بقضاء الله وقدره، وأنكر البعث بعد الموت، أو أنكر أحد أركان الإسلام الخمسة، أو أشرك بالله في عبادته أحدًا من الأنبياء والأولياء والصالحين، وصرف لهم نوعًا من أنواع العبادة، كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر والإنابة والذل والخضوع والخشية والرغبة والرهبة والتعلق، أو ألحَد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المُضلة، وكذلك من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو أحدهما)[1].

ومن دلائل الصدق في محبة النبي ﷺ تمني رؤية النبي ﷺ في الآخرة وصحبته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مِن أشد أمتي لي حبًا؛ ناسٌ يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله»[2].

ومن دلائل الصدق في محبة النبي ﷺ الاجتهاد في الأعمال التي تقرب لرؤية النبي ﷺ في الآخرة وصحبته، مثل التحلي بالأخلاق الفاضلة، فعن

---

(1) «إرشاد الطالب» للشيخ سليمان بن سحمان، ص 19، بتصرف يسير جدًا.

(2) رواه مسلم (2832).

جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون.

قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون».

قال الترمذي: والثرثار هو الكثير الكلام، والمتشدق الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو[1] عليهم[2].

ومن أسباب صحبة النبي ﷺ في الآخرة كفالة اليتيم، بأن يضمه إلى عِياله، فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئًا[3].

فصل

وقد ضرب السلف أروع الأمثلة في تشوقهم للقاء النبي ﷺ، فقد روى أبو يعلى في مسنده عن الحسن البصري عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنبِ خشبةٍ يُسند ظهره إليها، فلما كثر الناس قال: «ابنوا لي منبرًا»، فبنوا له منبرًا له عتبتان، فلما قام على المنبر يخطب حنَّت الخشبة إلى رسول الله ﷺ، قال أنس: وإني في المسجد، فسمعت الخشبة حين حنَّت حنين الوالِه[4]، فما زالت تَحِن حتى نزل إليها رسول الله ﷺ فاحتضنها

(1) أي يتلفظ بالكلام البذيء.

(2) رواه الترمذي (2018)، وصححه الألباني.

(3) رواه البخاري (5303)، وأحمد (5/ 333).

(4) الولَه ذهاب العقل، والتحير من شدة الوجد. «النهاية».

فسكنت، قال: فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه[1].

فصل

والذنوب تُنقِص من محبة الله تعالى ورسوله بقدرها، فكلما كثرت الذنوب وعظمت دل هذا على نقص في محبة النبي ﷺ ، ولكنها لا تزيل المحبة لله والرسول زوالًا كليًّا إلا إذا كانت عن كفر ونفاق أكبر، كما في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث حِمار الذي كان يشرب الخمر، وكان النبي ﷺ يقيم عليه الحد، فأُتي به يومًا، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: (اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به)، فقال النبي ﷺ : «لا تلعنه، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله»[2]، أي الذي علمت أنه يحب الله ورسوله، لأن « ما » هنا موصولة بمعنى « الذي ».

فهذا الحديث يفيد أن المعصية لا تزيل المحبة زوالًا كليًّا إلا إذا بلغت درجة الكفر، وفي الحديث دلالة على أنا منهيون عن لعنة أحد بعينه وإن كان مذنبًا، إذا كان يحب الله ورسوله[3].

---

(1) رواه أبو يعلى (5/ 142) (2756)، والترمذي مختصرًا (3627)، ورواه ابن ماجه (1414) عن أبي بن كعب، واللفظ لأبي يعلى.

(2) رواه البخاري (6780).

(3) « قاعدة في المحبة »، ص 259، وتقع في « جامع الرسائل » لابن تيمية، المجموعة الثانية، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

فصل

وفضائل محبة النبي ﷺ كثيرة، منها أن من أحب النبي ﷺ كان معه في الآخرة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟

قال: وماذا أعددت لها؟

قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ.

قال: أنت مع من أحببت.

قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت.

قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»[1].

وروي عن الشعبي قال: «جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ، فقال: لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهلي ومالي، ولولا أني آتيك فأراك لظننت أني سأموت، وبكى الأنصاري.

فقال له النبي ﷺ: ما أبكاك؟

قال: ذكرت أنك ستموت ونموت، فترفع مع النبيين، ونحن إن دخلنا الجنة كنا دونك.

---

(1) رواه البخاري (3688) ومسلم (2639).

فلم يخبره النبي ﷺ بشيء، فأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيمًا﴾.

فقال: أبشر»[1].

فصل

والأسباب المعينة على حب النبي ﷺ متعددة، وأهمها أربعة:

الأول: تذكر تضحياته لأمته وشفقته عليهم، فقد لقي النبي ﷺ في سبيل نشر الإسلام أذًى عظيمًا، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها، أنها قالت لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

فقال: **لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة**، إذ عَرضت نفسي على ابن عبدِ ياليل بن عبد كِلال، فلم يُجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفِق إلا بـ (قرن الثعالب)، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: (إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم)، قال: فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين»[2].

---

(1) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (4/ 1307).

(2) الأخشب هو الجبل الغليظ، والمقصود بالأخشبان هنا هما الجبلان المحيطان بمكة، وهما أبو قبيس والأحمر. انظر «رياض الصالحين» و «لسان العرب».

فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا»[1].

وقال ربيعة بن عَبَّاد: «رأيت رسول الله ﷺ وهو يدعو الناس إلى الإسلام بذي المجاز[2]، وخلفه رجل أحول يقول: لا يغلبنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم.

قلت لأبي وأنا غلام: من هذا الأحول الذي يمشي خلفه؟

قال: هذا عمه أبو لهب»[3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لما كان يوم حنين؛ آثر النبي ﷺ ناسًا، أعطى الأقرع مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى ناسًا، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله !

فقلت: لأخبرن النبي ﷺ.

قال: رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[4].

الثاني: ومما يقوي محبة النبي ﷺ تذكر شفقته العظيمة على أمته من الهلاك الأخروي، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

---

(1)رواه البخاري (3231) ومسلم (1795)، واللفظ لمسلم.

(2)ذي المجاز سوق مشهور من أسواق الحجاز، كان يقام في الجاهلية.

(3)رواه عبد الله أحمد في زوائده على مسند أبيه (3/ 492)، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(4)رواه البخاري (4336) ومسلم (1062).

(5)التوبة: 128.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجل يزَعهن[1] ويغلِبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بِحُجزكم[2] عن النار وأنتم تقحَّمون[3] فيها»[4].

الثالث: ومما يقوي محبة النبي ﷺ معرفة صفاته الحميدة وأخلاقه الطيبة، والكلام في هذا يطول جدًّا، ولكن يكفي القول بأنه ليس ثمة صفة حميدة إلا وقد تحلى بها النبي ﷺ، وما من خلق سيء إلا والنبي ﷺ منزه عنه، ويكفي في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5].

ومن أعظم صفات النبي ﷺ الصدق والعفو، فقد شهد له أعداؤه بصفة الصدق، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يَخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؟

قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا.

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

---

(1) أي يدفعها ويطردها.

(2) حُجَزكم جمع حُجزة وهي موضع شد الإزار. «النهاية».

(3) تقحَّمون أي ترمون بأنفسكم فيها من غير روية ولا تثبت. «النهاية».

(4) رواه البخاري (6483)، ومسلم (2284).

(5) القلم: 5.

فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟

فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾»[1].

وروى الطبري عن السدي في قوله: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الآية[2]:

التقى الأخنس وأبو جهل، فخلا الأخنس بأبي جهل فقال: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس هاهنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا.

فقال أبو جهل: ويحك، **والله إن محمدًا لصادق وما كذب محمد قط**، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟

فذلك قوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾.

فآيات الله؛ محمد ﷺ.

ولما أخبر النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها أنه خشي على نفسه لما أتاه جبريل في غار حراء؛ قالت له: «كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَل[3]، وتَكسِب المعدوم[4]، وتَقري الضيف[5]، وتعين على نوائب الحق»[6].

---

(1) رواه البخاري (4770)، ومسلم (208).

(2) سورة الأنعام: 33.

(3) تحمل الكل أي تحمل عن الناس ما يثقلهم من أعباء الدنيا. انظر «النهاية».

(4) تكسِب المعدوم أي تعطي المعدوم وهو الذي لا مال عنده. انظر «النهاية».

(5) تقري الضيف أي تكرمه.

(6) رواه البخاري (4953)، ومسلم (160).

وسأل هرقل أبا سفيان عن النبي ﷺ؛ هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فقال أبو سفيان: لا، فقال هرقل: أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله[1].

وأما العفو فقد ضرب النبي ﷺ أعظم الأمثلة في ذلك، وقد أتى ذِكر هذه الخصلة في النبي ﷺ في التوراة والإنجيل قبل أن يُرى هذا عيانًا منه ﷺ، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين[2]، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب[3] في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: «لا إله إلا الله»، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا[4].

ومن أعظم صفات النبي ﷺ أنه يعفو ويصفح، وهذه لا يستطيعها إلا ذو خلق عظيم، وسجايا كريمة، فقد قال عنه أهل مكة أنه ساحر، وشاعر، ومجنون، وصابئ، وضرب على عقبه، وخُنِق بسلا الجزور[5]، وكسرت

---

(1) رواه البخاري (7) ومسلم (1773).

(2) أي حافظا لدينهم. «تفسير غريب ما في الصحيحين» للحميدي.
والأميين هم العرب بالإجماع، قاله الشنقيطي في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة ﴿ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتك ويزكيهم﴾ الآية.

(3) سخاب ويصح صخاب، والسخب هو الصياح والضوضاء والجلبة، أي ليس ممن ينافس في الدنيا وجمعها، فيحضر الأسواق لذلك، ويصخب معهم في ذلك. «تفسير غريب ما في الصحيحين».

(4) رواه البخاري (2125).

(5) الجزور هو البعير، ذكرًا كان أم أنثى، وسلاه هي الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي، قاله العيني في «عمدة القاري»، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة.

رَباعِيَته، ودمي وجهه الشريف، ثم لما أمكنه الله من أهل مكة بعدما فعلوا به ما فعلوا؛ قال لهم: «يا أهل مكة، ما ترون أني فاعل بكم؟»

قالوا: خيرًا، أخٌ كريم وابن أخ كريم.

ثم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فأعتقهم رسول الله، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة، وكانوا له فيئًا، فبذلك يسمى أهل مكة الطلقاء[1].

ولما توفي رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، أتى قبره النبي ﷺ بعدما دفن، فأخرجه فنفث فيه من ريقه، وكفنه في قميصه، وصلى عليه صلاة الجنازة، وكان هذا قبل نزول النهي عن الصلاة على الكفار، قال ابن عمر: «لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه، أن يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما خيَّرني الله فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وسأزيد على سبعين.

قال: إنه منافق، فصلى عليه رسول الله ﷺ، وأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾»[2].

---

(1) رواه الطبري في «تأريخه»، ذكر الخبر عن فتح مكة، وانظر «أخبار مكة» (2/ 121) للأزرقي.

(2) رواه البخاري (1269)، ومسلم (2400) واللفظ له.

فإن قيل: فلماذا صلى عليه النبي ﷺ ونفث عليه من ريقه وكفنه بقميصه؟

فالجواب أن عبد الله بن عبد الله بن أبي – الصحابي الجليل – طلب من النبي ﷺ ذلك، فإنه كان صحابيًّا صالحًا، فلم يردُّه تطييبًا لقلبه، ولم يكن ﷺ يرد سائلًا.

وقيل: إنما أعطاه قميصه مكافأةً له لأنه كان ألبس العباس حين أُسر يوم بدر قميصًا.

قال النووي رحمه الله: إن النبي ﷺ أعطاه قميصه ليكفن فيه، وفي هذا الحديث بيان عظيم مكارم أخلاق النبي ﷺ، فقد علم ما كان من هذا المنافق من الإيذاء، وقابله بالحسنى، فألبسه قميصه كفنًا، وصلى عليه، واستغفر له. قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾. انتهى[1].

الرابع: ومما يقوي محبة النبي ﷺ الإكثار من قراءة كتب السيرة النبوية والمطالعة فيها، وتذكر أحوال الرسول ﷺ وأعماله وجهاده وتكوينه للمجتمع الإسلامي.

ومن الكتب التي ينصح بمطالعتها، «السيرة» لابن إسحاق، وكتاب «الفصول في سيرة الرسول ﷺ» لابن كثير، و «السيرة النبوية» لابن هشام، و «الرحيق المختوم» للمباركفوري، و «مختصر سيرة الرسول ﷺ» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وكتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» للقاضي عياض رحمه الله، وكتاب «السيرة النبوية الصحيحة» لأكرم ضياء العمري وهو كتابٌ قمة في التوثيق العلمي[2]، ونحوها من الكتب.

(1) « شرح صحيح مسلم ».

(2) قال ذلك د. أكرم ضياء العمري حفظه الله.

فصل

وقد ضرب السلف أروع الأمثلة في حب النبي ﷺ وتقديمه على النفس والأهل والمال، فعن زيد بن ثابت قال: «بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال لي: إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟

قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة، ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: خبرني كيف تجدك.

قال: على رسول الله السلام وعليك السلام، قل له: يا رسول الله، أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يُخلص[1] إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفر[2] يطرف[3].

قال: وفاضت نفسه رحمه الله»[4].

وسأل أبو سفيان بن حرب - وهو على الشرك حينذاك - زيد بن الدثنة رضي الله عنه حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه: أنشدك الله يا زيد، أتحب محمدًا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟

(1) أي يصل إليه من أراده، والمقصود هنا من أراده بسوء. «النهاية».

(2) الشفر بالضم وقد يفتح هو حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر. «النهاية».

(3) الطرف هو تحريك الجفون. «لسان العرب».

(4) رواه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (3/ 201)، وابن إسحاق في «السيرة» (3/ 314) (517)، في ذكر أخبار غزوة أحد، تحقيق محمد حميد الله.

قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي.

فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا[1].

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه[2].

وروى ابن جرير في «تاريخه» عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: «مر رسول الله بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله بـ « أحد »، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله؟

قالوا: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين.

قالت: أرنيه حتى أنظر إليه.

فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل»[3].

ولقد حكّم الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم قبيل غزوة بدر لما دنا المشركون منهم فقال سعد بن عبادة: «والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى «بَرَك الغماد» لفعلنا»[4].

(1) انظر «السيرة النبوية»، لابن هشام ذكر يوم الرجيع، سنة ثلاث، وعزاه لسيرة ابن إسحاق.
(2) رواه مسلم (121).
(3) رواه ابن إسحاق في «السيرة»، كما في «السيرة النبوية» لابن هشام، غزوة أحد.
وكلمة «الجلل» من الأضداد، تقال للأمر الهين والعظيم، والمقصود هنا الهين. «النهاية».
(4) رواه مسلم (1779) عن أنس رضي الله عنه.
قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: وبِـرَكِ الغِماد - بكسر الغين - موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل بلد باليمن.

بل كان بعض السلف يبكي إذا ذكر النبي ﷺ، فقد سُئل مالك: متى سمعت من أيوب السختياني؟

فقال: حج حجتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺ؛ كتبت عنه[1].

فصل

ومن تلبيس الشيطان على بعض الجهلة وأهل الأهواء أن زين لهم فعل أمور ليست من الدين يزعمون أنها من تمام المحبة له، وهذا جهل عظيم؛ لأن المحبة تقتضي التسليم للمحبوب، وتتبع آثاره، والوقوف عند أمره ونهيه، والحرص على عدم النقص أو الزيادة في دينه، ومن هذا ما يسمى بـ « المولد النبوي »، وفي خاتمة هذا البحث المبارك جواب عن هذه الظاهرة، والله المستعان.

(1) ذكره ابن عبد البر في « التمهيد »، كتاب الصلاة، باب ما يفعل من سلم من ركعتين ساهيًا، وذكره أبو الوليد الباجي في « التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح »، باب أيوب.

الحق الحادي عشر: توقيره ﷺ

جاءت الأدلة في الكتاب والسنة على وجوب توقير النبي ﷺ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

قال ابن تيمية: فالإيمان بالله والرسول، والتعزير والتوقير للرسول، والتسبيح بكرة وأصيلا لله وحده[1].

قال ابن جرير رحمه الله: معنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال[2].

وقال شيخ الإسلام: التعزير؛ اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه[3].

وقال ابن جرير الطبري: فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: التوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[5].

---

(1) «مجموع الفتاوى» (1/ 307)، باختصار يسير.

(2) « تفسير الطبري »، سورة الفتح، آية 9.

(3) «الصارم المسلول» (3/ 803).

(4) « تفسير الطبري »، سورة الفتح، آية 9.

(5) «الصارم المسلول» (3/ 803).

ومن دلائل توقير الله تعالى لنبيه ﷺ ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (أنه خصه في المخاطبة بما يليق به، فقال: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾، فنهى أن يقولوا: يا محمد أو يا أحمد أو يا أبا القاسم، ولكن يقولون: يا رسول الله، يا نبي الله.

وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾.

مع أنه سبحانه قال: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ﴾ الآية، ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾، ﴿ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾، ﴿ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ﴾، ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، ﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾، ﴿ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾، ﴿ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾)[1].

ومن دلائل توقير الله لنبيه ﷺ تحريم نكاح أزواجه من بعده أبدًا، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾.

---

(1) «الصارم المسلول» (3/ 803 - 806).

وتعظيم النبي ﷺ وتوقيره يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، فأما تعظيم القلب فيكون باستشعاره لهيبة النبي ﷺ وجلالَة قدْره وعظيم شأنه، واستحضاره لمحاسنه ومكانته ومنزلته، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكرًا لحقه من التوقير والتعزير، ومعترفًا به ومذعنًا له.

فالقلب مَلِك الأعضاء، وهي له جند وتبع، فمتى ما كان تعظيم النبي ﷺ مستقرًا في القلب مسطورًا فيه على تعاقب الأحوال؛ فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتمًا لا محالة، وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وترى باقي الجوارح ممتلئة لما جاء به ومتبعة لشرعه وأوامره، ومؤدية لما له من الحق والتكريم.

وأما تعظيم اللسان؛ فهو الثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير، ومن أعظم ذلك الصلاة والسلام عليه ﷺ، فقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يصلوا على النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾.

ومن تعظيم اللسان كذلك أن نتأدب عند ذكره بألسنتنا، وذلك بأن نقرن ذِكر اسمه بلفظ النبوة أو الرسالة، مع الصلاة والسلام عليه ﷺ.

ومن تعظيم اللسان؛ تعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته، وتعريف الناس بسنته وتعليمهم إياها، وتذكيرهم بمكانته ومنزلته وحقوقه، وذكر صفاته وأخلاقه وخِلاله، وما كان من أمر دعوته وسيرته وغزواته،

والتمدح بذلك شعرًا ونثرًا، بشرط أن يكون ذلك في حدود ما أمر به الشارع الكريم، مع الابتعاد عن مظاهر الغلو والإطراء المحظور.

وقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في توقير النبي ﷺ وتعظيمه فلم يكن من عادة الصحابة رضوان الله عليهم أن يتجادلوا في مجلس النبي ﷺ أو يرفعوا أصواتهم بنقاش أو حوار، عملًا بقول الله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، بل يعطون لهذا المجلس حقه من التشريف والاحترام.

وفي الآية دليل على أن سوء الأدب مع النبي ﷺ من الذنوب التي توجب حبوط العمل.

وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: «كنا إذا قعدنا عند رسول الله ﷺ لم نرفع رؤوسنا إليه إعظامًا له»(1).

ولما بعثت قريش أبا سفيان إلى رسول الله ﷺ وقدم المدينة؛ دخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية، أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟

فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت امرؤ نجس مشرك(2).

فأكرمت أم حبيبة فراش رسول الله ﷺ أن يجلس عليه أبوها، فهل بعد هذا التوقير من توقير؟

---

(1) رواه الحاكم (1/ 121)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (658).

(2) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى»، ذكر أزواج رسول الله ﷺ، (8/ 292)، الناشر دار إحياء التراث الإسلامي، والبيهقي في «الدلائل» (5/ 8).

وعن أسامة بن شريك قال: «أتيت رسول الله ﷺ فإذا أصحابه عنده كأن على رؤوسهم الطير»، الحديث[1].

فهذه العبارة هي كناية عن التعظيم الذي كانوا يظهرونه في مجلس الرسول ﷺ توقيرًا وإجلالًا له صلوات الله وسلامه عليه.

وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في تعظيم قدر النبي ﷺ التعظيم الشرعي، ومن هذا ما رآه عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه لما أتى للتفاوض مع النبي ﷺ في صلح الحديبية، وكان إذ ذاك مشركًا، فرأى من تعظيم الصحابة ما هاله، فقال عندما رجع إلى قريش: أيْ قومِ، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيمًا له[2].

---

(1) روى النسائي في «الكبرى» (7553)، وأبو داود (3855)، والبيهقي في «الشعب» (2/ 200)، واللفظ للنسائي، وصححه الألباني رحمه الله.

(2) رواه البخاري (2731، 2732).

الحق الثاني عشر

الذب عن ذات النبي ﷺ في حياته

الدفاع عن رسول الله ﷺ ونصرته آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال، تفضل بها الصحابة عمن أتى بعدهم، قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[1].

وقد سطر الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الذب عن رسول الله ﷺ، وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس في المنشط والمكره، في العسر واليسر، وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم التي تدل على غاية المحبة والإيثار والتعظيم.

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: «من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟

فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم لما أدركو النبي ﷺ قال: من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة»[2].

---

(1)الحشر: 8.

(2)رواه مسلم (1789) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ومن ذلك أن أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه كان يحمي الرسول ﷺ في غزوة أحد، ويرمي بين يديه، ويقول: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، لا تُشرف[1]، لايصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك[2].

وعن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة (أي طلحة بن عبيد الله) شلاء، وقى بها النبي ﷺ يوم أحد[3].

ولما قال رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلول: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)؛ قال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي عبد الله بن عبد الله بن أُبي، فدعاه، فقال: ألا ترى ما يقول أبوك؟»

قال: وما يقول، بأبي أنت وأمي؟

قال: «يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل».

فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعز وهو الأذل، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر مني، ولئن كان يُرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به.

فقال رسول الله ﷺ: «لا».

فلما قدموا المدينة؛ قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على بابها[4] بالسيف لأبيه، ثم قال: أنت القائل: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)؟

---

(1) الاشراف هو الاطلاع من مكان مشرف أي عالي وبارز. انظر «النهاية».

(2) رواه البخاري (3811)، ومسلم (1811) عن أنس بن مالك.

(3) رواه البخاري (4063) عن قيس بن أبي حازم.

(4) أي باب المدينة.

أما والله لتعرفَنَّ العزة لك أو لرسول الله، والله لا يأويك ظله ولا تَأويه أبدًا[1] إلا بإذن من الله ورسوله.

فقال: ياللخزرج، ابني يمنعني بيتي، ياللخزرج، ابني يمنعني بيتي !

فقال: والله لا تأويه أبدًا إلا بإذن منه.

فاجتمع إليه رجال فكلموه، فقال: والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه، فقال: «اذهبوا إليه، فقولوا له: خلِّه ومَسْكنَه»، فأَتوه، فقال: أما إذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم[2].

وفي رواية عند الترمذي؛ أن عبد الله قال لأبيه: والله لا تنفلِت[3] حتى تُقِر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل[4].

وقد ورد في ذلك عدة أدلة منها قصة الأعمى الذي كانت له أم ولد[5]، وكانت تشتم النبي ﷺ، فلما كان ذات ليلة جعلت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فأخذ مغولًا[6] فوضعه في بطنها فاتكأ عليه حتى ماتت، فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ دعا الأعمى فأخبره بأمرها، فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر»[7].

---

(1) أي ظل بيتك، كما سيأتي.

(2) رواه الطبري في تفسير سورة المنافقين، تفسير قوله تعالى: ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾.

(3) الانفلات هو التخلص من الشيء. «النهاية».

(4) برقم (3315)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(5) أم ولد أي أمة، وطأها فولدت له ولدًا.

(6) المِغول، قال في «عون المعبود»: مِثْل سَيْف قَصِير يَشْتَمِل به الرَّجُل تَحْت ثِيَابه فَيُغَطِّيه، وَقِيلَ حَدِيدَة دَقِيقَة لَهَا حَدّ مَاضٍ، وَقِيلَ هُوَ سَوْط فِي جَوْفه سَيْف دَقِيق يَشُدّهُ الْفَاتِك عَلَى وَسَطه لِيَغْتَال به النَّاس.

(7) رواه أبو داود (4361) والنسائي (4081) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله، وقال في الإرواء (5/ 92): إسناده صحيح على شرط مسلم.

وعن أبي برزة الأسلمي قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق، فقلت: أقتله؟

فانتهرني وقال: ليس هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ[1].

وقد نقل ابن تيمية رحمه الله في كتابه العظيم «الصارم المسلول على شاتم الرسول» إجماع أهل العلم على قتل من وقع في سب النبي ﷺ، سواء كان مسلمًا أو كافرًا.

وعن علي: «أن يهودية كانت تشتمُ النبيَّ ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها»[2].

رواه النسائي (4082)، وصححه الألباني.

رواه أبو داود (4362)، وقال في «الإرواء» (5/ 91): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

الحق الثالث عشر:

الأدب معه ﷺ حيًّا وميتًا

من الآداب مع النبي ﷺ إذ كان حيًّا؛ نداؤه بلفظ الرسالة أو النبوة، وضده النداء والإشارة إليه باسمه مجردًا، وقد نهى الله قومًا كانوا ينادونه باسمه: (يا محمد) كما ذكره كثير من المفسرين، يجئ التوجيه إلى هذا الأدب في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًا﴾[1].

ومن الآداب أيضًا عدم رفع الصوت واللغط في مسجده بعد مماته، لاسيما عند قبره، فقد روى البخاري ﵀ عن السائب بن يزيد، قال: كنت في المسجد فحصبني رجل[2]، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين فجئته بهما، قال: من أنتما؟ - أو: من أين أنتما؟ -

قالا: من أهل الطائف.

قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟[3].

ولهذا قال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام، لأنه محترم حيًّا وفي قبره ﷺ دائمًا.

---

(1) النور: 63.

(2) أي رماني بالحصباء، وهو الحصى.

(3) رواه البخاري (470).

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير سورة الحجرات عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾، قال رحمه الله:

ومعلوم أن حرمة النبي ﷺ بعد وفاته كحرمته في أيام حياته، وبه نعلم أن ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره ﷺ وهم في صخب ولغط، وأصواتهم مرتفعة ارتفاعًا مزعجًا؛ كله لا يجوز ولا يليق، وإقرارهم عليه من المنكر.

وقد شدد عمر رضي الله عنه النكير على رجلين رفعا أصواتهما في مسجده ﷺ وقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا[1]. انتهى.

قال مقيده عفا الله عنه: والدليل على قبح رفع الصوت عند النبي ﷺ هو قوله تعالى في آية الحجرات المتقدمة: ﴿ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾.

وقد بلغ الصحابة الغاية في احترام النبي ﷺ والتأدب معه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافير»[2].

وضد الأدب مع النبي ﷺ إيذاؤه، وإيذاؤه كفر – عياذًا بالله –، ومن أسباب لعنة الله، وقد قرن الله تعالى إيذاء النبي ﷺ بإيذائه تعالى، قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾[3].

---

(1) رواه البخاري (470).

(2) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (1080)، والبيهقي في « الشعب » (2/201)، وهو مخرج في « الصحيحة » (2092).

(3) الأحزاب: 57.

ومن مظاهر إيذاء النبي ﷺ سبه أو سب صحابته أو زوجاته أو سب دينه أو الاستهزاء بشيء منها أو التقليل من شأنها، وسيأتي في هذا البحث المبارك – إن شاء الله – ذكرٌ لألوان من مظاهر إيذاء النبي ﷺ عند الكلام عن حقوق صحابة النبي ﷺ وزوجاته.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»: اعلم أن عدم احترام النبي ﷺ، الـمُشعر بالغض منه، أو تنقيصه ﷺ والاستخفاف به أو الاستهزاء به؛ ردة عن الإسلام وكفر بالله، وقد قال تعالى في الذين استهزءوا بالنبي ﷺ وسخروا منه في غزوة تبوك لما ضلت راحلته: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[1]. انتهى.

(1) تفسير سورة الحجرات، الآية 3.

الحق الرابع عشر: الدعاء للنبي ﷺ

الدعاء للنبي ﷺ يتضمن أربعة أمور؛ الصلاة عليه، والسلام عليه، والدعاء له بالوسيلة والفضيلة، والدعاء له بأن يبعثه الله مقامًا محمودًا.

1 ـ معنى الصلاة على النبي ﷺ

معنى الصلاة على النبي ﷺ: الدعاء له بالرحمة وشريف المنزلة، فإن الصلاة تأتي بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[1].

ومعنى الصلاة على النبي ﷺ من الله: رحمته والثناء عليه في الملأ الأعلى.

ومعنى الصلاة على النبي ﷺ من الملائكة: الدعاء له بالرحمة، والثناء عليه.

قال أبو العالية: صلاة الله؛ ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء[2].

قال ابن حجر: وهو أولى الأقوال.

قال الحليمي: معنى الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه، فمعنى قولنا: (اللهم صل على محمد)؛ عظِّم محمدًا، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء

(1) التوبة: 103.

(2) رواه البخاري تعليقًا في صحيحه في تفسير سورة الأحزاب.

فضيلته بالمقام المحمود، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى: ﴿ صَلُّواْ عَلَيْهِ ﴾؛ ادعوا ربكم بالصلاة عليه[1].

فهي من الله إكرام وتعظيم ومحبة وثناء على نبيه ﷺ، ومن الناس والملائكة ثناء عليه أيضًا، وطلب من الله أن يُعلي ذكره، ويزيده تعظيمًا وتشريفًا.

قال ابن تيمية رحمه الله: الصلاة عليه تتضمن ثناء الله عليه، ودعاء الخير له، وقربته منه، ورحمته له.

والسلام عليه يتضمن سلامته من كل آفة.

فقد جمعت الصلاة عليه والتسليم جميع الخيرات.

ثم إنه يصلي سبحانه عشرًا على من يصلي عليه مرة، حضًّا للناس على الصلاة عليه، ليسعدوا بذلك، وليرحمهم الله بها[2].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير آية الأحزاب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾: والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا[3].

(1) نقله ابن حجر عنه في « فتح الباري »، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ.

(2) « الصارم المسلول » (3/ 801).

(3) تفسير سورة الأحزاب، الآية 56.

قال البيهقي في «الشعب»: أمر الله تعالى عباده أن يصلوا عليه ويسلموا بعد إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه، لينبههم بذلك على ما فيها من الفضل، إذ الملائكة - مع انفكاكهم من شريعته - تتقرب إلى الله تعالى بالصلاة والتسليم عليه، فهي في حق عباده أولى وأحق[1].

2ـ مكانة الصلاة على النبي ﷺ

ورد في شأن الصلاة على النبي ﷺ كثير من الأحاديث التي تبين مشروعيتها وكيفيتها ومواطنها وفضلها إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها.

وقد روى هذه الأحاديث جمع من الصحابة رضوان الله عليهم عدهم ابن القيم في كتابه «جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام»، فبلغوا اثنين وأربعين صحابيًّا.

وقد جمع ابن القيم هذه الأحاديث، وبيَّن طرقها وصحيحها من حسنها ومعلولها، وما في معلولها من العلل بيانًا شافيًا.

وقبل الدخول في كيفية الصلاة على النبي ﷺ، فإنه يجدر التنبيه إلى أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة إذا ذكر، ومما يدل على ذلك؛ أنه قد ورد الترهيب من ترك الصلاة عليه إذا ذكر في حديثين:

قوله ﷺ: «البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي»[2].

---

(1) «شعب الإيمان» (2/ 207)، بتصرف يسير.

(2) رواه ابن حبان (3/ 189)، والنسائي في «الكبرى» (9800)، كتاب عمل اليوم والليلة، باب من البخيل، والترمذي (3546)، وأحمد (1/ 201)، عن حسين بن علي بن أبي طالب، وصححه الألباني، وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي.

وقوله: «رغِم[1] أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ»[2].

وقال الشافعي رحمه الله: يُكره للرجل أن يقول: قال الرسول، ولكن يقول: قال رسول الله ﷺ، تعظيمًا لرسول الله ﷺ[3].

3ـ صفة الصلاة على النبي ﷺ

لقد ورد في السنة الصحيحة عدة صفات للصلاة على النبي ﷺ، وهي كالتالي:

- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة رضي الله عنه فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علِمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟

قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[4].

ولفظ مسلم: «كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد».

- وعن طلحة بن عبيد الله قال: قلت يا رسول الله، كيف الصلاة عليك؟

قال: «قل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم

---

(1) الرغام هو التراب، والمقصود الدعاء عليه بالإهانة بأن يلصق أنفه في التراب.

(2) رواه الترمذي (3545) وأحمد (2/ 254)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه محققو « المسند »، وقال الألباني: حسن صحيح.

(3) «ذم الكلام وأهله» (4/ 188)، رقم (972)، الناشر مكتبة الغرباء الأثرية.

(4) رواه البخاري (6357)، ومسلم (406).

إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[1].

• وعن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟

قال: «قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[2].

ولفظ مسلم: «وعلى أزواجه... » الحديث.

• وعن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله، هذا السلام عليك، فكيف نصلي؟

قال: «قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»[3].

والملاحظ في هذه الأحاديث هو اختلاف ألفاظها، وقد يتساءل المرء بأي هذه الألفاظ يدعو؟

فالجواب أن ينوع الألفاظ، فيذكر هذه تارة وهذه تارة، ليصيب السنة كلها، إلا ما ورد في موطن معين فينبغي لزومه وعدم تغيير الفظ، كلفظ الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة، وسيأتي بيانه قريبًا إن شاء الله.

(1) مسند أحمد (1/ 162)، وقال محققو المسند: إسناده قوي على شرط مسلم.

(2) رواه البخاري (6360)، ومسلم (407).

(3) رواه البخاري (6358).

4ـ مواطن الصلاة على النبي ﷺ

لقد وردت الصلاة على النبي ﷺ في عدة مواطن، وهي كالتالي:

- **الموطن الأول**: في الصلاة في التشهد الأخير، وقد ورد في التشهد عدة صيغ عن النبي ﷺ، وقد جمعها الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله في كتابه «صفة صلاة النبي ﷺ».

- **الموطن الثاني**: في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية: والدليل على ذلك حديث أبي أمامة أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرًّا في نفسه، ثم **يصلي على النبي** ﷺ... الحديث[1].

- **الموطن الثالث**: في الخطب كخطبة الجمعة والعيدين، والاستسقاء، وغيرها.

والدليل على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة؛ ما رواه الإمام أحمد في المسند بسنده عن عون بن أبي جحيفة قال: كان أبي من شُـرَط علي، وكان تحت المنبر، فحدثني أبي أنه صعد المنبر – يعني عليًّا –، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ[2].

وقال ابن القيم: الصلاة على النبي ﷺ في الخطب أمرًا مشهورًا معروفًا عند الصحابة رضي الله عنهم أجمعين[3].

(1)رواه الشافعي في « مسنده »، الباب الثالث والعشرون، في الجنائز وأحكامها، وصححه الألباني في «الجنائز»، ص 155، ط 1412 هـ.

(2)رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (1/ 106)، وقال محققو المسند: إسناده قوي.

(3)« جلاء الأفهام »، الموطن الخامس من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ص 441، الناشر دار عالم الفوائد.

• **الموطن الرابع: الصلاة عليه بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة،** لما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإن من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا»، الحديث[1].

• **الموطن الخامس: عند الدعاء:** والدليل على ذلك حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: «سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في صلاةٍ لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: عجلت أيها المصلي، ثم علمهم رسول الله ﷺ».

وسمع رسول الله ﷺ رجلًا يصلي[2]، فمجد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ادع تجب، وسل تعط»[3].

وفي رواية: «أن النبي ﷺ قال للرجل: عجِل هذا، ثم دعاه، فقال له ولغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ﷺ، ثم ليدع بعد بما شاء»[4].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء، حتى تصلي على نبيك ﷺ»[5].

---

(1) رقم (384).

(2) أي يدعو، لأن الصلاة تأتي بمعنى الدعاء.

(3) رواه النسائي (1283) والترمذي (3476) وأبو داود (1331)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه الألباني رحمه الله.

(4) رواه الترمذي (3477)، وابن خزيمة (1/ 351)، والبيهقي (2/ 148)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني رحمه الله.

(5) رواه الترمذي (486)، وصححه الألباني رحمه الله.

● **الموطن السادس: عند دخول المسجد وعند الخروج منه**، فقد ثبت عنه أنه كان إذا دخل المسجد صلى وسلم على رسول الله ﷺ ثم قال: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك».

وإذا خرج صلى وسلم على رسول الله ﷺ ثم قال: «اللهم افتح لي أبواب فضلك»[1].

والصلاة والسلام على النبي ﷺ مأثور عنه ﷺ وعن غير واحد من الصحابة والتابعين، فقد روى ابن أبي شيبة السلام على النبي ﷺ عن عبد الله بن سلام وعلقمة وإبراهيم النخعي رحمهم الله، إلا إبراهيم النخعي فقد روى عنه الصلاة أيضًا[2].

● **الموطن السابع: أثناء السعي بين الصفا والمروة**، فعن وهب بن الأجدع قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمكة وهو يخطب الناس قال: إذا قدم الرجل منكم حاجًّا فليطف بالبيت سبعًا، وليصل عند المقام ركعتين، ثم ليبدأ بالصفا، فيستقبل البيت فيكبر سبع تكبيرات، بين كل تكبيرتين حمدًا لله وثناء عليه وصلى على النبي ﷺ، وسأل لنفسه، وعلى المروة مثل ذلك[3].

● **الموطن الثامن: عند اجتماع القوم قبل تفرقهم**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم مجلسًا فلم يذكروا الله ولم يصلوا على

---

(1) انظر سنن ابن ماجه (771) والترمذي (314) وابن أبي شيبة (3412)، وصححه الألباني رحمه الله دون جملة المغفرة الواردة في تلك الروايات، انظر « صحيح الترمذي ».

(2) « المصنف » (3415 – 3418).

(3) رواه البيهقي (5/ 94) (9343)، ورواه ابن أبي شيبة (14501) مختصرا، وحسنه صاحب «جامع الآثار الصحيحة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه »، ص 159.

نبيه ﷺ إلا كان مجلسهم عليهم ترة[1] يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء آخذهم»[2].

● الموطن التاسع: يوم الجمعة، فعن أوس بن أبي أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة عليَّ، قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمت - أي يقولون: قد بليت - ؟

قال: إن الله ﷻ قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام»[3].

5ـ فضائل الصلاة على النبي ﷺ[4]

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في الباب الرابع من كتابه القيم «جلاء الأفهام» عددًا من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ، أنتقي منها ما يلي:

1. **الفائدة الأولى:** امتثال أمر الله تعالى بالصلاة والسلام عليه الوارد في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

---

(1) أي نقص. «النهاية».

(2) رواه أحمد (2/ 484)، والترمذي (3380)، وصححه محققو «المسند»، والألباني كما في «السلسة الصحيحة» (1/ 156).

(3) رواه النسائي (1373)، وأبو داود (1047)، وابن ماجه (1085)، وأحمد (4/ 8)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

(4) استفدت هذه الفوائد من كتاب «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ»، الباب الرابع في الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ.

ثم إن صلاة العبد على النبي ﷺ دعاء، والدعاء عبادة مستقلة، أمر بها الله، ويؤجر عليها العبد.

2. **الفائدة الثانية:** أن الصلاة والسلام على النبي ﷺ من الذكر المستحب، ومن المعلوم أن الذكر من أفضل الأعمال وأزكاها.

3. **الفائدة الثالثة:** حصول عشر صلوات من الله على من صلى على النبي صلاة واحدة، كما قال ﷺ: «من صلى عليَّ صلاة؛ صلى الله عليه بها عشرًا»[1].

والجزاء من جنس العمل، فمن أثنى على رسول الله ﷺ؛ جزاه الله من جنس عمله، بأن يثني عليه ويزيد تشريفه وتكريمه.

4. **الفائدة الرابعة والخامسة والسادسة:** أنه يُرفع عشر درجات، ويُكتب له عشر حسنات، ويُمحى عنه عشر سيئات، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحُطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات»[2].

5. **الفائدة السابعة: أنها سبب لمغفرة الذنوب وكفاية العبد ما أهمه،** فعن أبي بن كعب عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس، اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه.

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه النسائي (1297)، وصححه الألباني رحمه الله.

وفي الباب عن ابن عمر، رواه ابن أبي شيبة (8698).

وفي الباب أيضًا عن أبي بردة، رواه البزار (9/ 260)، والبيهقي في «الدعوات الكبير»، باب في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

قال أبي: قلت يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟

فقال: ما شئت.

قال: قلت: الربع؟

قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك.

قلت: النصف؟

قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك.

قال: قلت: فالثلثين؟

قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك.

قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟

قال: إذًا تُكفى همك، ويُغفر لك ذنبك»[1].

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

6. الفائدة الثامنة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له، فعن عبد الله بن عمرو أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى عليَّ صلاة؛ صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»[2].

---

(1) رواه الترمذي (2457)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (14) بنحوه، وأحمد (5/ 136) مختصرًا، وحسنه الألباني رحمه الله كما في « الصحيحة » (954).

(2) رواه مسلم (384).

7. الفائدة التاسعة: أنه يُرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تُصاعِد الدعاء إلى رب العالمين، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء، حتى تصلي على نبيك ﷺ»[1].

8. الفائدة العاشرة: أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه؛ تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه.

وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه؛ نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه، ولا أقرَّ لقلبه من ذكرِه[2] وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه.

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) والمقصود بالذكر هنا الذكر المشروع، وعلى رأسه الصلاة والسلام عليه ﷺ، امتثالًا لأمر الله تعالى الوارد في قوله: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾.
ويدخل ضمن الذكر المشروع؛ تعداد فضائله وخصائصه وما وهبه الله من الصفات والأخلاق والخِلال الفاضلة، وما أكرمه به من المعجزات والدلائل، وذلك من أجل التعرف على مكانته ومنزلته والتأسي بصفاته وأخلاقه، وتعريف الناس وتذكيرهم بذلك، ليزدادوا إيمانًا ومحبة له ﷺ ولكي يتأسوا به.
أما التمدح الذي يتجاوز به حدود بشريته، ليصرف له شيء من الأمور الخاصة بالله عز وجل؛ فهذا محرم بلا شك، كما فعل بعض الغلاة في أشعارهم ومدائحهم للنبي ﷺ كمحمد البوصيري في قصيدة البردة وغيره.
ومن الأمور المنهي عنها؛ الذكر المقترن بالغناء وأدوات اللهو والطرب والرقص، وهذا هو الذكر البدعي الذي عليه حال أرباب الطرق والتصوف، وقد وافقهم على ذلك كثير من عوام الناس ظنًّا منهم أن فعل مثل هذه الأمور هو الطريق إلى تحقيق محبة النبي ﷺ، وهو في الحقيقة ليس إلا محادّة لله ورسوله، ومما أحدث في دين الله، وقد تبرأ ﷺ ممن أحدث في الدين، حيث قال: من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد.

9. **الفائدة الحادية عشرة: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه**، فإنه كلما أكثر من الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه، ومحبة النبي ﷺ من أسباب حياة القلوب.

10. **الفائدة الثانية عشرة: أنها سبب لعرض صلاة المصلي عليه ﷺ**، كما دل على هذا قوله ﷺ: «إن صلاتكم معروضة علي»، وكفى بالعبد شرفًا أن تعرض صلاته على رسول الله ﷺ.

11. **الفائدة الثالثة عشرة: أنها سبب لرد النبي ﷺ على المصلي صلاته وسلامه.**

12. **الفائدة الرابعة عشرة: أن في الصلاة عليه ﷺ أداءً لأقل القليل من** حقه، وشكرًا له على نعمته التي أنعم الله بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علمًا ولا قدرة ولا إرادة، ولكن الله سبحانه وتعالى لكرمه رضي عن عباده باليسير من شكره وأداء حقه.

13. **الفائدة الخامسة عشرة: أنها سبب لطيب المجلس وزكاته**، بخلاف المجلس الذي لا يصلى فيه على النبي ﷺ فإنه يعود حسرة على أهله يوم القيامة، كما تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم مجلسًا فلم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيه ﷺ إلا كان مجلسهم عليهم ترة[1] يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء آخذهم»[2].

---

(1) أي نَقص. « نهاية ».
(2) تقدم تخريجه.

14. **الفائدة السادسة عشرة**: أنها تنفي عن قائلها وصف البخل الذي وُصف به من لم يصل على النبي ﷺ، فعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي»[1].

15. **الفائدة السابعة عشرة**: أنها تنجي قائلها من دعوة النبي ﷺ عليه برُغم أنفه[2] إذا ذكر عنده ولم يصل عليه، والرُّغام هو التراب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَغِم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي»[3].

6ـ السلام عليه ﷺ

وقد جاء الحث بالسلام عليه مقترنًا بالأمر بالصلاة عليه في الكتاب والسنة، فلا داعي من إعادة الأدلة هنا.

والسلام عليه ﷺ تعني تحيته بتحية الإسلام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قاله ابن جرير في تفسير آية الأحزاب (56).

ولفظ السلام يتضمن معنيين؛ **أحدهما** ذكر الله تعالى، لأن (السلام) اسم من أسماء الله تعالى، فعلى هذا يكون معنى قول القائل (السلام عليكم)؛ أي نزلت بركة اسم الله عليكم وحلَّت بكم[4].

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) أي التصاقه بالتراب، والمقصود هو الدعاء بالإذلال لمن دُعي عليه، لأن الذي يرغم قهرًا على أن يلامس أنفه التراب هو في الحقيقة مستذل ومستصغر.

(3) تقدم تخريجه.

(4) قاله ابن القيم في «بدائع الفوائد»، مسألة (سلام عليكم ورحمة الله)، (2/ 610).

والثاني طلب السلامة، والسلامة تشمل السلامة من الآفات الدينية والدنيوية.

ويدخل في السلامة أيضًا؛ الأمن من فزع اليوم الأكبر؛ لأن الفزع من الآفات الأخروية.

قال ابن جرير رحمه الله: وقوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ يقول: وأمنةٌ من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أممهم الذي ذكرهم في هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر وغير ذلك من مكروهٍ أن ينالهم من قِبل الله تبارك وتعالى[1].

وتسليم الله على أنبيائه من الجزاء بالمثل، لسلامة ما قالوه في ربهم لأقوامهم من الخطأ والزلل، ولتوقيهم الذنوب والمعاصي وسلامتهم منها.

ويستفاد من الآية الكريمة أن يسلم المسلم على جميع الأنبياء أيضًا ولا يهجر ذلك، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

وتسليم المسلم على من لقيه من إخوانه إذا لقيهم هو أفضل تحية يحيي بها المسلم إخوانه، وهو من غاية الإكرام لهم، وبها يحيي الله تعالى عباده المؤمنين: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾، جعلنا الله منهم.

فـائدة

قال النووي رحمه الله: إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم،

---

(1) انظر ما قاله ابن كثير وابن سعدي في تفسيريهما للآية، وكذا الشوكاني في « فتح القدير »، وابن الجوزي في «زاد المسير»، تفسير سورة الصافات، الآية 181، وكذا ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (3/ 5)، (3/ 130)، (6/ 37)، وابن القيم في « بدائع الفوائد »، مسألة: (سلام عليكم ورحمة الله)، (2/ 615).

ولا يقتصر على أحدهما، فلا يقول (صلى الله عليه) فقط، ولا (عليه السلام) فقط[1].

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[2].

فإن قيل: فلِمَ نصلي في التشهد الأخير ولا نسلم؟

فالجواب أن التسليم سبق في أول التشهد في قوله (السلام عليك أيها النبي...).

ذكره النووي في « شرح مسلم ».

فائدة في بيان أن المشتغلين بالحديث النبوي هم أكثر الناس صلاة وسلامًا على النبي ﷺ

قال أبو نعيم رحمه الله: (لا يُعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله ﷺ أكثر مما يُعرف لهذه العصابة نسخًا وذكرًا)[3]، أي عصابة علماء الحديث، ونسخًا أي كتابة، فليس أحد أكثر منهم كتابة للفظ الصلاة والتسليم على النبي ﷺ، وليس أحد أكثر منهم ذكرًا للصلاة والسلام عليه؛ لأن الصلاة والسلام عليه تمر عليهم عند قراءة كل حديث، وهذا هو دأبهم وفنهم.

---

(1) كتاب « الأذكار »، باب صفة الصلاة على رسول الله ﷺ.

(2) تفسير القرآن العظيم، سورة الأحزاب، نهاية تفسيره للآية 56.

(3) رواه الخطيب البغدادي عنه في «شرف أصحاب الحديث »، باب كون أصحاب الحديث أولى الناس بالرسول ﷺ لدوام صلاتهم عليه ﷺ.

فائدة في حكم الصلاة على غير النبي ﷺ

قال ابن كثير في تفسير آية الأحزاب، (ص 1082) فيما يتعلق بالصلاة على غير النبي ﷺ:

الصلاة على غير الأنبياء إن كانت على سبيل التبعية كما في الحديث «اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته» فهذا جائز بالإجماع.

وإذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقد قال قائلون بالجواز، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾، وبقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾، وبقوله: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية، وبحديث عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صل عليهم»، فأتاه أَبي بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى»(1).

وبحديث جابر قال: أتانا رسول الله ﷺ فنادته امرأتي فقالت: يا رسول الله، صلِّ علي وعلى زوجي، فقال: «صلى الله عليكِ وعلى زوجك»(2).

قال الجمهور من العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعارًا للأنبياء إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال: (قال أبو بكر صلى الله عليه)، أو (قال علي صلى الله عليه)، وإن كان المعنى صحيحًا، كما لا يقال: (قال محمد عز وجل)، وإن كان عزيزًا جليلًا، لأن هذا من شعار ذِكر الله عز وجل،

(1) رواه البخاري (4166) ومسلم (1078).

(2) رواه ابن حبان (3/ 197)، وأبو داود (1533)، والنسائي في «الكبرى» (10184)، وأحمد (3/ 398)، وصححه الألباني رحمه الله والشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله.

وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم، ولهذا لم يثبت شعارًا لآل أبي أوفى، ولا لجابر وامرأته، **وهذا مسلك حسن.**

وأما السلام فلا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال علي عليه السلام، وهذا مجمع عليه. قاله أبو محمد الجويني.

وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ أن ينفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو كَرَّم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحًا؛ لكن ينبغي أن يُسوّى بين الصحابة في ذلك، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه، رضي الله عنهم أجمعين[1].

الدعاء الثالث والرابع والخامس:

الدعاء له بالوسيلة والفضيلة وأن يبعثه الله مقامًا محمودًا الذي وعده

الأصل في هذا حديث جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة؛ آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته)؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة»[2].

وعن عبد الله بن عمرو أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى عليَّ صلاة؛ صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»[3].

---

(1) باختصار من تفسير ابن كثير لآية الأحزاب: 56.

(2) رواه البخاري (614).

(3) تقدم تخريجه.

فـ«الوسيلة» هي منزلة عالية في الجنة كما في الحديث، وأما «الفضيلة»؛ فهي عموم الفضل والبركة والخير، كما في دعاء التشهد: «وبارك على محمد وعلى آل محمد... » الحديث.

قوله «مقامًا محمودًا»، أي يُحمد القائم فيه[1]، والمقام هو الشفاعة الكبرى لأهل الموقف لبدء الحساب، والقائم هو النبي ﷺ، ودليل ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المقام المحمود؛ الشفاعة»[2].

وروى ابن أبي خيثمة عن علي بن الحسين وابن عمر أن المقام المحمود هو شفاعة النبي ﷺ الشفاعة العظمى حين تنتهي إليه[3].

وروى ابن حبان عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «يُبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تلٍّ، فيكسوني ربي حلة خضراء، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود»[4].

قال ابن جرير الطبري: قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.

---

(1) «فتح الباري»، شرح الحديث المذكور.

(2) رواه أحمد (2/ 478)، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره، وكذا رواه ابن جرير في تفسير سورة الإسراء، تفسير قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾، آية 79.

(3) «التاريخ الكبير»، (1/ 204)، الناشر الفاروق الحديثة.

(4) (14/ 399)، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط، وكذا ابن جرير في تفسير سورة الإسراء، تفسير قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾، آية 79، وكذا الشيخ الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (5/ 485).

ثم روى عدة أحاديث وآثار عن السلف تدل على ذلك[1].

قال ابن الجوزي: والأكثر على أن المراد بالمقام المحمود؛ الشفاعة[2].

قال ابن حجر: هو المشهور.

وقال: ويظهر أن المراد بالقول المذكور[3] هو الثناء الذي يقدمه بين يدي الشفاعة، ويظهر أن المقام المحمود هو مجموع ما يحصل له في تلك الحالة. انتهى[4].

---

(1) رواها في تفسير سورة الإسراء، قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾، آية 79، عن حذيفة وابن عباس وابن مسعود وسلمان الفارسي والحسن البصري وعن مجاهد من طريقين وقتادة.

(2) حكاه عنه ابن حجر في « فتح الباري »، شرح الحديث المذكور.

(3) أي قوله: (فأقول ما شاء الله أن أقول).

(4) « فتح الباري »، شرح الحديث المذكور.

تنبيه: قال مجاهد في تفسير قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما﴾: (يوسع له على العرش فيجلسه معه).

رواه ابن عبد البر في « التمهيد »، كتاب القرآن، باب الدعاء، وكذا ابن جرير في « تفسيره »، سورة الإسراء، آية 79.

وقد تعقبه ابن عبد البر رحمه الله في « التمهيد »، (كتاب القرآن، باب الدعاء) فقال:

وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية، والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته.

وقد روي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك، فصار إجماعًا في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة. انتهى.

ثم ذكر ابن عبد البر بعض الآثار عن السلف من الصحابة ومن بعدهم في تفسير المقام المحمود بالشفاعة، كابن مسعود وسلمان الفارسي وحذيفة وقتادة، ثم قال: وممن روي عنه أيضًا أن المقام المحمود؛ الشفاعة: الحسن البصري وإبراهيم النخعي وعلي بن الحسين بن علي، وابن شهاب وسعيد بن هلال وغيرهم. انتهى.

وقال ابن جرير بعدما ساق القولين: وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ. «تفسير الطبري»، سورة الإسراء، آية 79.

وأما الحديث الوارد عن النبي ﷺ في أن المقام المحمود هو إجلاسه على العرش فضعيف، انظر «السلسلة الضعيفة» (865).

لطيفة: أدى الاختلاف في هذه المسألة إلى قتال، قال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» حوادث سنة 317 هجريًا:

=

وقوله في آخر الحديث: «حلت له شفاعتي»؛ هذا من الجزاء بالمثل، فلما دعا الداعي للنبي ﷺ أن يبعثه المقام المحمود، وهو المقام الذي يشفع فيه للناس كلهم في البدء في فصل القضاء؛ استحق بذلك أن يكون ممن يشفع لهم النبي ﷺ في تكفير السيئات ورفع الدرجات، فاللهم اجعلنا ممن تدركه شفاعة نبيك ﷺ.

فائدة:

والأحاديث الواردة في الشفاعة العظمى متواترة، رواها كثير من الصحابة منهم أنس وأبو هريرة وغيرهم، وسنأتي هنا بحديث أنس رضي الله عنه، فقد روى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا[1]، فيأتون آدم فيقولون:

أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا.

فيقول: لست هناكم - ويذكر ذنبه فيستحي - ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.

وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروذي الحنبلي وبين طائفة من العامة، اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾، فقالت الحنابلة: (يجلسه معه على العرش)، وقال الآخرون: (المراد بذلك الشفاعة العظمى)، فاقتتلوا بسبب ذلك، وقتل بينهم قتلى، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد ثبت في صحيح البخاري أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة في فصل القضاء بين العباد، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم، ويغبطه به الأولون والآخرون. انتهى.

(1) أي التمسنا من يشفع لنا إلى ربنا للبدء في فصل القضاء بين العباد، والذين يقولون هذا هم عموم الناس من مؤمنين وكافرين بعد أن يضيق بهم الموقف ويشتد الحر.

فيأتونه فيقول: لست هناكم - ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي - فيقول: ائتوا خليل الرحمن، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ائتوا موسى، عبدًا كلمه الله، وأعطاه التوراة، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر قتل النفس بغير نفس، فيستحي من ربه، فيقول: ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلِمة الله وروحه، فيقول: لست هناكم، ائتوا محمدًا ﷺ، عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتونني فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا، فيدَعُني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تُشفّع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع... » الحديث[1].

(1) رواه البخاري (4476).

الحق الخامس عشر: حقوق صحابته ﷺ

ومن دلائل توقير النبي ﷺ وبِرِّه؛ توقيرُ أصحابه وبِرُّهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإعراض عن الأخبار القادحة في أحد منهم، والتي نقلها بعض المؤرخين، وجهلة الرواة، وضلال الشيعة والمبتدعين، وأن نلتمس لهم فيما نقل عنهم فيما كان بنيهم من الفتن أحسن التأويلات، ويخرّج لهم أصوب المخارج، إذْ هم أهل لذلك، ولا يُذكر أحد منهم بسوء ولا يُعاب عليه أمر، بل تُذكر حسناتهم وفضائلهم، وحميد سيرتهم، ويُسكت عما وراء ذلك[1].

وقال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته المسماة بـ « العقيدة الطحاوية »: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفرِط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[2].

---

(1) بتصرف يسير من « الشفا » للقاضي عياض، الفصل السادس: ومن توقيره وبره توقير أصحابه وبرهم.

(2) قاله في كتابه «العقيدة الواسطية».

والصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم، وثنائه عليهم، وثناء رسوله ﷺ عليهم، قال ابن عبد البر: الصحابة كلهم عدول مرضيون ثقات أثبات، وهذا أمر مجتمع عليه عند أهل العلم بالحديث[1].

قال النووي في «التقريب»: الصحابة كلهم عدول، من لابس الفتن وغيرهم، بإجماع من يعتد به[2].

وقال الخطيب البغدادي: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

وهذا اللفظ وإن كان عامًّا؛ فالمراد به الخاص.

وقيل: هو وارد في الصحابة دون غيرهم.

ثم قال بعد ذكر عدة آيات وأحاديث في فضل الصحابة:

وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم، المطلع على بواطنهم، إلى تعديل أحد من الخلق له.

ثم قال: على أنه لو لم يرد من الله ﷻ ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المُهج[3]

(1)«التمهيد»، كتاب الصيام، باب ما جاء في الصيام في السفر، (2/ 224)، الناشر: الفاروق الحديثة.
(2)النوع التاسع والثلاثون.
(3)المهج جمع مُهجة، وهي الروح. « لسان العرب ».

والأموال وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع الـمُعَدّلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.

هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتد بقوله من الفقهاء[1]. انتهى.

بم فُضل الصحابة؟

الصحابة أناس اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ، وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إلى النبي ﷺ وسماع حديثه من فمه الشريف، وتلقي الشريعة وأمور الدين عنه، وتبليغ ما بعث به رسول الله ﷺ من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها، فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله، وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام والدعوة إليه، ولهم من الأجر مثل أجور من بعدهم؛ لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ، ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

ولقد أوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقرة الإيمان واليقين؛ القطع على عدالتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون بعدهم، أبد الآبدين.

---

(1) «الكفاية في علوم الرواية»، باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة وأنه لا يحتاج للسؤال عنهم، وإنما يجب ذلك فيمن دونهم، باختصار.

ولقد أثنى ربهم عليهم أحسن الثناء، ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن، ووعدهم المغفرة والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾.

وأخبر أنهم أحق بكلمة التقوى وأهلها كما في سورة الفتح: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾.

وأخبر أن الناس إن آمنوا بمثل ما آمن به الصحابة فقد اهتدوا: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾.

وشهد لهم الله تعالى أنهم المؤمنون حقًّا، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

وأمره بمشاورتهم، تنبيهًا لمن بعدهم من الحكام على المشاورة في الأحكام، فقال: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾.

وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم، وأن لا يجعلوا في قلوبهم غلًّا للذين آمنوا، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وأوضح أنهم خير القرون، فقال ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1].

ولفظ مسلم: «خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم».

وفي الحديث شهادته ﷺ لهم بأنهم خير الأمم.

وأجرهم مضاعف على أجر من جاء بعدهم، لقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه[2]»[3].

قال ابن حجر في شرح الحديث:

قال البيضاوي: معنى الحديث: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحدٍ ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مُدِّ طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية.

قلت: وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عِظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال، كما وقع في الآية: ﴿ مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَ ﴾، فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته، وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيمًا لشدة الحاجة إليه وقلة المعتني به، بخلاف ما وقع بعد ذلك؛ لأن المسلمين كثُروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا، والله أعلم[4].

---

(1) رواه البخاري (2652) ومسلم (2533)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(2) النصيف هو النصف، أي نصف المد.

(3) رواه البخاري (3673)، ومسلم (2541) عن أبي سعيد الخدري، وفي الباب عن أبي هريرة، رواه مسلم (2540).

(4) باختصار من « فتح الباري ».

وقد جاء في التنزيل ذكْر رضى الله عنهم في موطنين من القرآن، وهما قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[1].

كما ورد الرضى عنهم في سورة التوبة، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2].

وما أحسن قول عبد الله بن عمر رضي الله عنه: من كان مستنًا فليستنن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ، كانوا على الهدى المستقيم[3].

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فيما يدل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم ووجوب تعظيمهم وإكرامهم وكونهم خير قرون هذه الأمة بعد النبي ﷺ، ولقد عقد البخاري ومسلم في صحيحيهما، وكذا أهل السنن وغيرهم، فصولًا في فضائل الصحابة، أوردوا فيها الكثير من الأحاديث الواردة في فضلهم، وبعضهم أفرد كتبًا مستقلة في فضائلهم، كالنسائي وأحمد رحمهم الله.

---

(1) الفتح: 18.

(2) التوبة: 100.

(3) رواه أبو نعيم في « الحلية » (1/ 379)، ورواه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (2/ 134) عن عبد الله بن مسعود بنحوه.

وبناء على هذه النصوص فقد أجمعت الأمة على أن الصحابة ﷺ أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ، اعتمادًا على النصوص المتواترة في الكتاب والسنة في بيان ذلك.

والحاصل أن الصحابة فُضّلوا على من بعدهم بإحدى عشر خصلة

1. رؤيتهم للنبي ﷺ وصحبتهم له.

2. اختيار الله لهم لصحبة نبيه ﷺ.

3. حب النبي ﷺ لهم.

4. أنهم خير الناس قاطبة، كما قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني،...» الحديث.

5. ذكر فضلهم وخيريتهم في التوراة والإنجيل والقرآن، وثناؤها عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾، وقوله: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾، وقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾.

6. سابقتهم في الإسلام.

7. ما قدموا لله وللدين وللنبي ﷺ من النفس والمال والولد، وشدهم من عزم الرسول ﷺ وتثبيته، وتحملهم الأذى في سبيل قيام دين الإسلام.

8. ما اتصفوا به من الصفات الحميدة، التي تلقوها وتربوا عليها من مشكاة النبوة مباشرة.

9. أن للخلفاء الراشدين منهم سنةً متبعةً.

10. حفظهم للقرآن والسنة وتبليغهما للناس، وانتشارهم لأجل ذلك في الآفاق.

11. أنهم أعلم الخلق بدين الله بعد النبي ﷺ، وما أجمعوا عليه لا يسع أحدًا خلافه.

وأهل السنة والجماعة يقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، فيؤمنون بأن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم، ويُقدمون المهاجرين على الأنصار، ويُفضلون من أنفق قبل الفتح[1] وقاتل، على من أنفق من بعده وقاتل، ويؤمنون بأن الله تعالى قال لأهل بدر – وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر –: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[2]، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر به ﷺ، بل قد رضي الله تعالى ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، كالعشرة وغيرهم من الصحابة.

ومذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة وسَطٌ بين الإفراط والتفريط، فليسوا من المفرِّطين الغالين الذين يرفعون من يُعظمون منهم ما لا يليق إلا بالله أو برسله، وليسوا من المفرِّطين الجافين الذين ينتقصونهم ويسبونهم، فهم وسط بين الغلاة والجفاة.

---

(1) أي فتح الحديبية.

(2) رواه البخاري (3007) ومسلم (2494) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ويحبونهم جميعًا، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، فلا يرفعونهم إلى ما لا يستحقون، ولا يقصرون بهم عما يليق بهم، فألسنتهم رطبة بذكرهم بالجميل اللائق بهم، وقلوبهم عامرة بحبهم، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون، إما مصيبون ولهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور، وليسوا معصومين، بل هم بشر يصيبون ويخطئون، **ولكن ما أكثر صوابَهم بالنسبة لصواب غيرهم، وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم**، ولهم من الله المغفرة والرضوان.

وقد انحرف طوائف من المبتدعة في حق الصحابة ﭫ انحرافًا عظيمًا، فقدحوا فيهم، وقللوا من شأنهم، واتهموهم بالكذب والنفاق والخيانة، ولم يعرفوا لهم فضلهم وسابقتهم، وهم الرافضة قبحهم الله ومن سلك مسلكهم.

وهذا الفعل محرم، لقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي»، فمن سب صحابيًّا أو صحابيين فلا شك في أنه آثم لأنه عصى النبي ﷺ وسب أصحابه، وأما من طعن في عمومهم كما تفعل الرافضة؛ فإن هذا كفر؛ لأن الدين نُقل من طريقهم، فمن طعن فيهم لزم من هذا الطعن فيما نقلوه، من آيات وأحاديث، وهذا كفر بيِّن.

والقدح في الصحابة ﭫ قدح في النبي ﷺ، فهم خاصته وبطانته، ولهذا قال ابن تيمية ﵀: فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام، كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في

أصحاب رسول الله ﷺ، إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: (رجل سوء، كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين)! [1].

وقال أبو زرعة الرازي، وهو من أجل شيوخ الإمام مسلم:

إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا [2] ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح أولى بهم، وهم زنادقة [3].

وقد روى مسلم عن عروة قال: قالت لي عائشة: (يا ابن أختي، أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم) [4]، تشير إلى الاستغفار الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾.

والذين عرف عنهم القدح في الصحابة هم فرقة الرافضة، قبحهم الله، قال ابن تيمية: وأما الرافضة فيطعنون في الصحابة ونقلهم، وباطن أمرهم الطعن في الرسالة [5].

---

(1) « مجموع الفتاوى » (4/ 429).

(2) الشهود هم العلماء، والمقصود بالعلماء هنا خصوص علماء الصحابة، فإن الزنادقة يطعنون فيهم لإسقاط الشريعة، وقد وصف الله تعالى العلماء بأنهم شهداء في قوله ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾.

(3) « تهذيب الكمال »، ترجمة أبو زرعة الرازي.

(4) رواه مسلم (3022).

(5) « منهاج السنة النبوية » (3/ 463).

والقدح في زوجات النبي ﷺ داخل في القدح في الصحابة، وقد وقع في هذا بعض المنافقين، فاتهموا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بتهمة الزنا، فبرأها الله عز وجل من ذلك في آيات تتلى إلى قيام الساعة، ثم تبعهم على هذا الرافضة، قبحهم الله، وسيأتي الكلام على هذا في حق مستقل قريبًا إن شاء الله.

وقد وردت خصوصية تفضيل لبعض أصناف من الصحابة، وهذا التفضيل تفضيل جنس لا تفضيل عين، فأفضل الصحابة جنسًا هم المهاجرين، قال تعالى في وصفهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(1).

ويجمع النص القرآني بين المهاجرين والأنصار: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(2).

وبعد المهاجرين يأتي الأنصار في المرتبة، وقد قدمهم الله عليهم في الذكر كما في آيتي الحشر والتوبة اللتان تقدمتا.

والأنصار آووا النبي ﷺ ونصروه، وجعلوا له منطلقًا للدعوة إلى دين الإسلام، فعن أنس رضي الله عنه قال: «مرّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟

قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية بُردٍ، قال: فصعد المنبر -

(1) الحشر: 8.

(2) التوبة: 100.

ولم يصعده بعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي[1]، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزا عن مسيئهم»[2].

بل تبلغ الدعوة إلى حب الأنصار أن جعل رسول الله ﷺ حبهم آية على الإيمان، وبغضهم آية على النفاق، فقال فيهم: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».

وممن وردت النصوص بتفضيلهم من الصحابة وإجلالهم؛ أهل بيت النبي ﷺ، سواء كانوا من المهاجرين أو الأنصار، فقد روى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خمًّا، بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثَقَلين[3]:

أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.

فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، وأذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[4].

---

(1) كرشي أي بطانتي وموضع سري وأمانتي، واستعيرت الكرش لذلك لأنها مجمع الغذاء، والعيبة هي ما يجمع فيه الإنسان نفيس ما عنده. انظر « فتح الباري ».

(2) رواه البخاري (3799)، ورواه مسلم (2510) مختصرا عن أنس بن مالك.

(3) قال ابن الأثير رحمه الله: سماهما ثقلين، لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، ويقال لكل خطير نفيس: ثقل، فسماهما ثقلين، إعظامًا لقدرهما وتفخيمًا لشأنهما. «النهاية».

وكلمة الثقلان تطلق أيضًا على الجن والإنس.

(4) رواه مسلم (2408).

وسيأتي مزيد كلام قريبًا إن شاء الله في بيان من هم آل بيته ﷺ.

وسيأتي خصوص كلام في حق آل بيت النبي ﷺ في الحق الرابع عشر إن شاء الله.

وخلاصة القول أن القيام بحقوق الصحابة يتضمن أربعة أمور:

1. محبتهم والترضي عنهم، كما أمر الله المؤمنين في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[1].

2. الإيمان بأنهم أفقه الأمة بأمر دينها؛ لأنهم تربوا على عين النبي ﷺ وعاينوا التنزيل، ولهذا أخبر النبي ﷺ بأن للأربعة المقدمين منهم - وهم الخلفاء الراشدون - سنة متبعة، ينبغي على من أتى بعدهم أن يتبعها، قال رسول الله ﷺ: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[2].

3. الكف عما شجر بينهم.

4. الذب عنهم مما قاله بعض المبتدعة فيهم، كالروافض ومن سلك مسلكهم.

---

(1) الحشر: 10.

(2) رواه أبو داود (4607) وابن ماجه (42) والترمذي (2676) وغيرهم، وصححه الألباني رحمه الله.

الحق السادس عشر: توقير زوجاته[1]

رفع الله مقام أزواج النبي ﷺ وبَوَّأهن منزلة عالية، بل رفعهن إلى منزلة الأمومة لجميع المؤمنين في قوله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾، وفي ذلك من الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ما يوجب على كل مسلم أن يحفظ لهن هذا الحق، ويؤديه على الوجه المطلوب منه شرعًا.

وهذه المنزلة لأمهات المؤمنين هي من التشريف والتعظيم الذي أعطاه الله للنبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصًا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان له منها المنزلة العالية.

والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، التي قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[2].

---

(1) زوجات النبي ﷺ داخلات في آل بيته، وسيأتي الكلام عليهن في الحق الرابع عشر، وإنما أفردناه هنا لعظم حقهن رضي الله تعالى عنهن أجمعين.

(2) انظر « مجموع الفتاوى » (3/ 154) وهي جزء من « العقيدة الواسطية »، والحديث رواه البخاري (3769) ومسلم (2446) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ومما يدل على عظم حق أمهات المؤمنين تخصيصهن بالصلاة عليهن، فعن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟

قال: «قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[1].

ولفظ مسلم: «وعلى أزواجه... » الحديث.

ومن حقوق أمهات المؤمنين الاستغفار لهن، وذكر مدائحهن وفضائلهن وحسن الثناء عليهن، وما على الأولاد في أمهاتهم اللاتي ولدنهم وأكثر، وذلك لمكانتهن من رسول الله ﷺ، وزيادة فضلهن على غيرهن من نساء هذه الأمة.

وقد تقدم الكلام على أن الرافضة قبحهم الله هم ممن تبع المنافقين في اتهام أم المؤمنين بالزنا ؛، فهم يدينون الله بهذا الاعتقاد الفاسد، وهذا الاعتقاد كفر عياذًا بالله، لأن الذي يتهم عائشة بالزنا لم يصدق بخبر براءتها الوارد في القرآن في صدر سورة النور، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

(1) تقدم تخريجه.

(2) النور: 11 – 17.

قال ابن كثير: وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية؛ فإنه كافر لأنه معاند للقرآن[1].

وقد نص القرآن على طهارة زوجات النبي ﷺ من الرجس، كما في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، قال ابن جرير رحمه الله: إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرًا. انتهى.

قلت: وأعظم الرجس الوقوع في الزنا عياذًا بالله، وفراش النبوة مطهر من ذلك، والرافضة لا يتحاشون اتهام عائشة بذلك، مع تطهير الله لها من فوق سبع سماوات.

وطهارة فراش النبوة مطرد في الأنبياء كلهم، والطعن في فراش النبوة طعن فيهم، عياذًا بالله من تنقص الأنبياء.

وعلى هذا فالوقيعة في زوجات النبي ﷺ واتهامهن بالباطل من أعظم الإيذاء للنبي ﷺ، وقد حرم الله إيذاء النبي ﷺ في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ سورة **الأحزاب آية: 57.**

وأزواج النبي ﷺ هن من دخل بهن من النساء، وهن إحدى عشرة:

1- خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

---

(1) «تفسير ابن كثير»، سورة النور، الآيات: 23.

2- عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها.

3- سودة بن زمعة رضي الله عنها.

4- حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن أبيها.

5- أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها.

6- أم سلمة رضي الله عنها.

7- زينب بنت جحش رضي الله عنها.

8- زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها.

9- جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

10- صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها.

11- ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها.

الحق السابع عشر: الترضي عن آل بيته ﷺ

من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ.

والأدلة على هذا الأصل كثيرة، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خمًّا، بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثَقَلين[1]:

أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.

فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، وأذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

فقيل لزيد: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته **من حُرِم الصدقة بعده**[2].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (اُرقُبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته)[3].

---

(1) قال ابن الأثير رحمه الله: سماهما ثقلين، لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، ويقال لكل خطير نفيس: ثقل، فسماهما ثقلين، إعظامًا لقدرهما وتفخيما لشأنهما. «النهاية».

وكلمة الثقلين تطلق أيضًا على الجن والإنس.

(2) رواه مسلم (2408).

(3) رواه البخاري (3713)

قال ابن حجر رحمه الله: المراقبة للشيء المحافظة عليه، يقول: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيؤوا إليهم[1].

والأحاديث في فضائل آل بيت النبي ﷺ ومناقبهم كثيرة جدًّا، وهي مبسوطة في الصحيحين والسنن والمسند وغيرها من كتب الحديث[2].

وآل بيت النبي ﷺ هم الذين تحرم عليهم الصدقة كما تقدم، وقد حرم الله الصدقة على آل محمد تعظيمًا لقدرهم؛ لأن الصدقة أوساخ الناس، قال ﷺ: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وآل محمد ﷺ هم الذين حرُمت عليهم الصدقة، هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء[4].

وعلى هذا فآل بيت النبي ﷺ هم بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب بن عبد مناف، وبنو هاشم أربعة، هم أبو طالب وعبد المطلب وعبد الله وأبو لهب، وأبناء أبو طالب هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر، وأبناء عبد المطلب هم آل العباس وآل الحارث، وعبد الله لم يترك إلا محمدًا ﷺ ، وأبو لهب لا كرامة له، لأنه لم ينصر النبي ﷺ كغيره، فلا تحرم الصدقة على أبنائه، وقد تقدم أن مناط التحريم هو التكريم، وأبو لهب لا كرامة له.

وبنو المطلب قد أشركهم النبي ﷺ مع بنو هاشم في سهم ذوي القربى، ولا يكون إشراكهم معهم إلا لأنهم ممن حرم الصدقة، والصدقة لا تحرم إلا على آل محمد ﷺ، فيدخلون في وصفهم بآل محمد، أو آل البيت.

(1) « فتح الباري »، شرح الحديث المتقدم.

(2) انظر «الصحيح المسند من فضائل آل بيت النبوة» لأم شعيب الوادعية.

(3) رواه مسلم (1072) عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث.

(4) «مجموع الفتاوى» (3/ 407).

قال في «سيرة النبي المختار»[1]: وأخذ أبو طالب يحشد بطون بني عبد مناف وهم أربعة: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو عبد شمس، وبنو نوفل، فأجابه بنو هاشم وبنو المطلب، وخذله بنو عبد شمس وبنو نوفل، وانسلخ أيضًا من بني هاشم أبو لهب.

ثم قال:

قال العلماء: ولأجل نصرة بني المطلب لبني هاشم وموالاتهم لهم شاركوهم في التشريف بتسميتهم أهل البيت، وفضل الكفاءة على سائر قريش، واستحقاق سهم ذوي القربى، وتحريم الزكاة، دون البطنين الآخرين، إذ لم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام.

وروى البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم بن عدي بن الحارث بن نوفل بن عبد مناف قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان، أي ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، إلى رسول الله ﷺ فقلنا: «يا رسول الله، أعطيت بني المطلب، أي ابن عبد مناف، وتركتنا، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة!

فقال: إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد».

وفي رواية: «أعطيت بني المطلب من خمس خيبر».

وفي أخرى: «ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئًا».

(1) (1/ 180 - 182)، «حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار»، تأليف محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي، دار النشر: دار الحاوي - بيروت - 1998م، الطبعة الأولى، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول.

قال البخاري: وقال ابن إسحاق: عبد شمس وهاشم. انتهى.

وزوجات النبي ﷺ داخلات في آل البيت بنص القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1]، قال ابن كثير رحمه الله: وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا، لأنهن سبب نول هذه الآية.

قال ابن كثير رحمه الله: ولا ننكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعليّ وأهل بيته وذريته، رضي الله تعالى عنهم أجمعين[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله: ولا ريب أن لآل محمد ﷺ حقًّا على الأمة لا يشرَكُهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر بطون قريش، كما أن قريشًا يستحقون من المحبة والموالاة ما لا يستحقه غير قريش من القبائل، كما أن جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر أجناس بني آدم، وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم، وفضل قريش على سائر العرب، وفضل بني هاشم على سائر قريش، وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره[3].

---

(1) سورة الأحزاب: 34.

(2) تفسير ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾، الشورى: 23.

(3) « منهاج السنة النبوية » (4/ 599).

ثم ذكر حديث واثلة بن الأسقع الذي دل على التفضيل المذكور[1].

وقد جعل الله لآل البيت حقًّا في الخمس والفيء، عوضًا عما حرموا من الصدقة، فقد روى البخاري عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي ﷺ، فقلنا: «يا رسول الله، أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا، ونحن وهم بمنزلة واحدة.

فقال رسول الله ﷺ: إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد»[2].

ومن دلائل توقير آل البيت؛ أن النبي ﷺ علم أمته أن يقولوا في التشهد: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

فهل بعد الدعاء لهم في الصلوات الخمس توقير أفضل من هذا التوقير؟!

ولما سأل الصحابة النبي ﷺ كيف يصلون عليه قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى **آل محمد** كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى **آل محمد** كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[3].

فالصلاة على النبي ﷺ حق له ولآله دون سائر الأمة.

---

(1) ونصه: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ﷻ اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم. رواه مسلم (2276) وغيره.

(2) رواه البخاري (3140).

(3) أخرجه البخاري (3370) ومسلم (406) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه.

وقد ضرب السلف المثل الأعلى في توقير آل بيت النبي ﷺ، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: والذي نفسي بيده؛ لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي[1].

والمؤمنون يتولون أهل البيت ويحبونهم، لا كما يزعم الروافض أنهم المخصوصون بحب أهل البيت وحدهم، وأن غيرهم ظلموهم، فالحقيقة أن الروافض هم الذين ظلموا أهل البيت ظلمًا لا نظير له، فهم الذين خذلوهم وغروهم، وتسببوا في رد كثير من روايات أهل البيت، بسبب ما اشتهر عن أولئك الروافض من الكذب على آل البيت.

ثم إن الروافض يحصرون محبتهم في نفر قليل من أهل البيت، أما أهل السنة المستقيمين عليها يحبون أهل البيت كلهم ويتولونهم، ثم إن الذين يبغضهم الروافض من أهل البيت أكثر بكثير ممن يحبونهم.

(1) رواه البخاري (3712)، ومسلم (1759).

نواقض الإيمان بالنبي ﷺ

شهادة أن محمدًا رسول الله تنتقض بالوقوع في أحد خمسة أمور:

الأول: مناقضة شرط من شروط تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله، وهي الثمانية التي تقدم ذكرها في جزء ما يتضمنه الإيمان بالنبي ﷺ.

الثاني: إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة، كإنكار نبوته، أو بشريته، أو إنكار أن له حقوقًا على أمته، أو أنه خاتم النبيين، أو أن رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع، أو إنكار أنه بعد بعثة النبي ﷺ لا دين مقبول عند الله إلا دين الإسلام، أو إنكار أن النبي ﷺ قد بلغ الدين كله، أو إنكار عموم رسالته للإنس والجن.

الثالث: إيذاؤه ﷺ، سواء في حياته أو بعد مماته، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾، واللعن هو الإبعاد عن الرحمة، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرًا.

وفي هذه الآية نرى أن الله تعالى قرن بين أذى النبي ﷺ وأذاه، كما قرن في آيات أخر بين طاعته وطاعة نبيه، وهذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله؛ لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة النبي ﷺ، وليس لأحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه[1].

---

(1) انظر «الصارم المسلول»، ص 86.

ومن ألوان إيذائه ﷺ الاستهزاء به، أو الطعن في شخص النبي ﷺ مما يتنافى مع اصطفاء الله له لتبليغ دينه إلى عباده كفر، كالطعن في صدقه، أو عقله، أو عفته.

قال القاضي عياض في «الشفا»: اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي ﷺ، أو عابه، أو ألحق به نقصًا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله، أو عرّض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له، أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له؛ فهو سابٌّ له، والحكم فيه حكم الساب، يقتل كما نبينه.

ثم قال: وكذلك من لعنه، أو دعا عليه، أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عيّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غَمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه.

وهكذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا[1].

والاستهزاء بالنبي ﷺ كفر، والدليل على ذلك قصة النفر الذين خرجوا مع النبي ﷺ في غزوة، فلما كانوا ببعض الطريق قال أحدهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنزل القرآن بتكفيره في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

(1) باختصار يسير من « الشفا » للقاضي عياض رحمه الله، القسم الرابع، الباب الأول.

قال عبد الله بن عمرو: أنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ الآية.

وفي هذه الآية أعظم تنبيه على أهمية حق التوقير والتعظيم والإجلال للنبي ﷺ، قال ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآية: فإن الاستهزاء بالله ورسوله كفر مخرج عن الدين؛ لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة. انتهى.

وفي الآية أيضًا تنبيه على الحكم بكفر المستهزئ يستوي فيه الجاد والهازل؛ لأن الرجل جاء معتذرًا بأنه إنما كان يخوض ويلعب، ولم يكن جادًّا في استهزائه، فجاء الحكم العام بكفره، ليبين دخوله الجاد والهازل في الحكم سواء[1].

فصل

وموضوع الاستهزاء بالنبي ﷺ فيه عشرة مسائل:

المسألة الأولى: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ لون من ألوان إيذائه، وقد تقدم بيان ذلك.

المسألة الثانية: حكم الاستهزاء بالنبي ﷺ، وقد تقدم الكلام في ذلك، وبيان أنه كفر.

المسألة الثالثة: عقوبة المستهزئ بالنبي ﷺ، فقد أجمع المسلمون على وجوب قتل من سب النبي ﷺ، حكى ذلك القاضي عياض في كتاب «الشفا

(1) انظر القصة مسندة في تفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم.

بتعريف حقوق المصطفى ﷺ»[1]، وكذا إسحاق بن راهويه ومحمد بن سحنون، حكى ذلك عنهما ونقل كلامهما ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»، ص 15.

وقال أيضًا: وتحرير القول فيها[2]؛ أن الساب إن كان مسلمًا فإنه يكفر ويُقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم[3].

كما أجمع المسلمون على قتل من سب رسول الله ﷺ، وقد حكى الإجماع جمع من العلماء، منهم القاضي عياض في كتاب «الشفا»[4]، وأبو بكر بن المنذر، حيث قال: أجمع عوام أهل العلم على أن حَدَّ من سب النبي ﷺ القتل، وممن قال ذلك: مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي.

ومما يحتج به في هذا الباب قصة كعب بن الأشرف، وأن النبي ﷺ قال: «من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله؟»

فانتدب له جماعة بإذن النبي ﷺ فقتلوه[5].

وتغيظ أبو بكر الصديق رضي الله عنه على رجل، فقال -من أصحابه- أبو برزة: أضرب عنقه؟

---

(1) انظر «الشفا» للقاضي عياض رحمه الله القسم الرابع، الباب الأول.

(2) أي في مسألة سب النبي ﷺ.

(3) «الصارم المسلول»، ص 16.

(4) انظر كتاب «الشفا» للقاضي عياض رحمه الله القسم الرابع، فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه ﷺ.

(5) رواه البخاري (4037) ومسلم (1801) من حديث جابر رضي الله عنه.

فقال: «ما كانت لأحد بعد رسول الله ﷺ»[1].

قال أبو بكر: فأما من بعد رسول الله ﷺ فلا أعلم أحدًا يوجب قتل من سُبَّ بعد رسول الله ﷺ[2].

وكذا قال الخطابي ومحمد بن سحنون وأبو بكر الفارسي من أصحاب الشافعي، حكى ذلك عنهم ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الصارم المسلول»، ص 14-15.

المسألة الرابعة: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ معاداة له، والمعادي لولي الله معاديًا لله في الحقيقة، كما قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»[3].

فعلى هذا؛ فمن عادى أولياء الله فقد عادى الله، ومن عادى الله فقد حاربه، وأولى الناس بوصف الولاية هو النبي ﷺ بلا شك ولا ريب.

المسألة الخامسة: أن المستهزئ بالنبي ﷺ حقيق بعقوبة الله له في الدنيا قبل الآخرة، وفي التاريخ شواهد على ذلك، فقد روى الطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾، قال:

«المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، وأبو زمعة من بني أسد بن عبد العزى، والحارث بن غيطل السهمي،

---

(1) رواه أبو داود (4363)، والنسائي (4083)، وصححه الألباني رحمه الله.

(2) «الإشراف» لابن المنذر، كتاب المرتد، باب ما يجب على من سب نبي الله ﷺ (8/ 60)، باختصار يسير، وانظر «الإجماع»، كتاب المرتد.

(3) رواه البخاري (6502) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والعاص بن وائل السهمي، فأتاه جبريل عليه السلام، فشكاهم إليه رسول الله ﷺ، فأراه أبا عمرو الوليد بن المغيرة، فأومأ جبريل إلى أبجله[1] فقال[2]: ما صنعت شيئًا[3].

قال: كفيتُكه.

ثم أراه الحارث بن غيطل السهمي فأومأ إلى بطنه، فقال: ما صنعت شيئًا.

فقال: كفيتكه.

ثم أراه العاص بن وائل السهمي، فأومأ إلى أخمصه[4]، فقال: ما صنعت شيئًا.

فقال: كفيتكه.

فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة وهو يرِيش[5] نبلًا له، فأصاب أبجله فقطعها.

وأما الأسود بن عبد المطلب فعَمي، فمنهم من يقول عمي هكذا، ومنهم من يقول: نزل تحت شجرة فجعل يقول: يا بني، ألا تدفعون عني، قد هلكت، أُطعن بشوك في عيني، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئًا، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه.

---

(1) قال ابن الأثير: الأبجل؛ عرق في باطن الذراع، وقيل: عرق غليظ في الرجل فيما بين العصب والعظم. انتهى مختصرًا من «النهاية».

(2) أي النبي ﷺ.

(3) قول النبي ﷺ لجبريل (ما صنعت شيئًا)؛ أي بحسب علم النبي ﷺ، وإلا فإنه صنع فيه وصنع، كما سيتضح بعد أسطر.

(4) الأخمص هو الموضع من القدم الذي لا يلصق بالأرض إذا وطأها. انظر «النهاية».

(5) أي ينحتها لتستقيم. انظر «النهاية».

وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها.

وأما الحارث بن غيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه، فمات منها.

وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يومًا حتى دخل في رجله شِبرِقة[1] حتى امتلأت منها فمات».

وفي رواية للبيهقي: «فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة، فدخلت في أخمص قدمه شوكة، فقتلته»[2].

وفي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: «كان رجلًا نصرانيًّا، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانيًّا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا فألقوه.

فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقوه خارج القبر، فحفروا له، فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه»[3].

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في «الصارمِ المسلولِ» معلقًا على القصةِ:

فهذا الملعونُ الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كَتب له؛

(1) قال ابن الأثير: نبت حجازي يؤكل وله شوك. «النهاية».

(2) رواه البيهقي في « الكبرى » (9/ 8)، والطبراني في « الأوسط »، باب من اسمه القاسم (5/ 173)، واللفظ للطبراني.

(3) رواه البخاري (3617) ومسلم (2781).

قصمهُ اللهُ وفضحهُ بأن أخرجهُ من القبرِ بعد أن دُفن مرارًا، وهذا أمرٌ خارجٌ عن العادةِ، يدلُّ كلّ أحدٍ على أن هذا عقوبة لما قالهُ، وأنه كان كاذبًا، إذ كان عامةُ الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجُرمَ أعظمُ من مجرد الارتداد، إذ كان عامةُ المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وأن اللهَ منتقمٌ لرسولهِ ﷺ ممن طعن عليه وسبهُ، ومُظهرٌ لدينه، ولكذبِ الكاذبِ إذا لم يُمكن للناسِ أن يقيموا عليه الحد[1].

وذكر القاضي عياض في «الشفا» أن فقهاء القيروان وأصحاب سحنون أفتوا بقتل إبراهيم الفزاري، وكان شاعرًا متفننًا في كثير من العلوم، وكان يستهزئ بالله تعالى وأنبيائه ونبينا محمد ﷺ، فأمر القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء بقتله وصلبه، فطعن بالسكين وصلب منكسًا، ثم أنزل وأحرق بالنار.

وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة، فكان آية للجميع وكبر الناس، وجاء كلب فولغ في دمه[2].

وحكى الشيخ العلامة أحمد شاكر أن خطيبًا فصيحًا مفوهًا أراد أن يثني على أحد كبار المسئولين؛ لأنه احتفى بطه حسين، فلم يجد إلا التعريض بالنبي ﷺ، فقال في خطبته: جاءه الأعمى (أي طه حسين)، فما عبس وما تولى.

قال الشيخ أحمد: ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجازيه جزاءه في الأخرى، فأُقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي بعد بضع سنين، وبعد أن كان عاليًا منتفخًا مستعزًّا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء؛ رأيته

---

(1) ص 233.

(2) « الشفا » للقاضي عياض رحمه الله، القسم الرابع، الباب الأول.

مهينا ذليلًا خادمًا على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين، يحفظها في ذلة وصغار.

وذكروا أن رجلًا ذهب لنيل الشهادة العليا من جامعة غربية، وكانت رسالته متعلقة بالنبي ﷺ، وكان مشرفه شانئًا حانقًا، فأبى أن يمنحه الدرجة حتى يُضمن رسالته انتقاصًا للنبي ﷺ، فضعفت نفسه وآثر الأولى على الآخرة، فلما حاز شهادته ورجع إلى دياره فوجئ بهلاك جميع أولاده وأهله في حادث مفاجئ.

وصدق الله: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أي إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره.

المسألة السادسة: أن النبي ﷺ لم يسلم من السخرية والأذى والاعتداء منذ بعث إلى يومنا هذا، شأنه شأن إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم على الحق، وصدق الله: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾، فوصفوه بالجنون والكذب والسحر والشعر، وغمزوه في عرضه الشريف، ولكن الله عصمه من أذاهم، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾، وقال: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾، وقال: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾.

ومن استهزائهم بالنبي ﷺ أنهم كانوا يسمونه مذمم بعد أن كانوا يسمونه بالأمين وبمحمد، وفي هذا قال النبي ﷺ: «ألم تروا كيف يصرف الله عني لعن قريش وشتمهم؟ يشتمون مذممًا، وأنا محمد»[1].

(1) رواه أحمد (2/ 340)، وصححه محققو «المسند».

وإيذاء النبي ﷺ والاستهزاء به ليس أمرًا حديثًا، فقد استهزىء بالأنبياء قبله وأوذوا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[1].

وقال تعالى لنبيه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾[2].

ولهذا سلى الله نبيه فقال: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ﴾[3].

المسألة السابعة: أن الاستهزاء لا يضر الدين شيئًا، فدين الله سيبلغ ما بلغ الليل والنهار لا محالة، كما روى الإمام أحمد عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر[4] ولا وبر[5] إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلًّا يذل الله به الكفر»[6].

المسألة الثامنة: أن من سب الرسول ﷺ مكرهًا فهذا لا يؤاخذ، والدليل على ذلك أن عمار بن ياسر رضي الله عنه عذبه المشركون بمكة ليكفر بمحمد ﷺ، فوافقهم في ظاهر القول مكرهًا، ثم جاء معتذرًا إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله

---

(1) سورة الأنعام/ 10.

(2) سورة الأحزاب: 69.

(3) سورة آل عمران: 186.

(4) المدَر هي بيوت القرى والمدن.

(5) الوبر هي الخيام المبنية من وبر الإبل.

(6) (4/ 103)، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

هذه الآية ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله **في تفسير الآية**: ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته، ويجوز له أن يأبى، كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل. انتهى.

المسألة التاسعة: ما ذكره ابن تيمية عن بعض أهل التجارب؛ أن الكفار المحاربين إذا وقعوا في عرض النبي ﷺ جاء النصر، قال رحمه الله في «الصارم المسلول»:

ونظيرُ هذا ما حدثناه أعدادٌ من المسلمين العُدول، أهل الفقه والخبرة، عما جربوهُ مراتٍ متعددةٍ في حصر الحصونِ والمدائنِ التي بالسواحلِ الشاميةِ، لما حُصر فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصرُ الحصن أو المدينةَ الشهر أو أكثر من الشهرِ، وهو ممتنعٌ علينا حتى نكادُ نيأسُ منه، **حتى إذا تعرَّض أهلهُ لسبِّ رسولِ الله ﷺ والوقيعة في عرضه تعجّلنا فتحه وتيسّر**، ولم يكد يتأخرُ إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتحُ المكانُ عَنْوةً، ويكونُ فيهم مَلحمةٌ عظيمةٌ، قالوا: **حتى إنا كنا لَنتباشر بتعجيلِ الفتحِ إذا سمعناهم يقعون فيه**، مع امتلاءِ القلوب غيظًا بما قالوه فيه.

---

(1) النحل: 106.

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع أهل المغرب كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين[1].

المسألة العاشرة: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ مستلزم للاستهزاء بالشريعة الإسلامية التي جاء بها؛ لأنه لولا الشريعة التي جاء بها لما استهزأ بها من استهزأ، ولأن النبي ﷺ علمٌ عليها، ولأن الاستهزاء به ﷺ لم يحدث إلا بعد بعثته، عافانا الله من ذلك.

الرابع: الوقوع في شيء من نواقض الإسلام، ورؤوس تلك النواقض عشرة، قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله:

ذكر أهل العلم نواقض الإسلام، وذكر بعضهم أنها قريب من أربعمائة ناقض، ولكن الذي أجمع عليه العلماء هو ما ذكره شيخ الإسلام، وعَلم الهداة الأعلام، الشيخ محمد بن عبد الوهاب من نواقض الإسلام، وأنها عشرة، فقال رحمه الله:

إعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2]، ﴿ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[3]، ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن أو للقبر.

---

(1) ص 233 – 234.

(2) سورة النساء: 48.

(3) سورة المائدة: 72.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، كفر إجماعًا.

الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حُكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء الرسول ﷺ - ولو عمل به - كفر.

السادس: من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[1].

السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[2].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

---

(1) سورة التوبة: 65 - 66.

(2) سورة البقرة: 102.

(3) سورة المائدة: 51.

العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[1].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[2]. انتهى.

قال مقيده عفا الله: ومن نواقض الإسلام أيضًا إنكار شيء معلوم من الدين بالضرورة، كإنكار وجوب الصلاة أو الزكاة أو الحج، أو إنكار تحريم الخمر والسرقة، أو إنكار شيء من أركان الإيمان، ونحو ذلك.

ولعل الشيخ لم يذكر هذا الناقض لأنها لم تكن واقعة في عهده بشكل صريح، والذي يظهر من كلام الشيخ أنه اكتفى بذكر ما هو أكثر وقوعًا، كما قال في آخر كلامه.

الخامس: الغلو فيه ﷺ، والغلو في اللغة هو مجاوزة الحد، وفي الشرع مجاوزة الحد الشرعي في باب الاعتقاد أو العبادة، والذي يعنينا في هذا السياق هو مجاوزة الحد في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره حتى يصل الأمر إلى صرف شيء من خصائص الله له، سواء من صفات كصفة علم الغيب، أو من عبادات، كصرف الدعاء أو الذبح أو النذر له، وهو الشرك بعينه[3].

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله في معرض كلام له عن حقوق الأنبياء صلى الله عليهم وسلم:

---

(1) سورة السجدة: 22.

(2) « الدرر السنية من الأجوبة النجدية » (2/ 350 - 362).

(3) انظر ما قاله ابن تيمية في تعريف الغلو، في «اقتضاء الصراط المستقيم»، ص 106 تحقيق محمد حامد الفقي رحمه الله.

فإن فضلهم وحياتهم وكرامتهم ونبوتهم ورسالتهم لا تقتضي صرف حق الله لهم، وتنزيلهم منزلة الملك الخلاق في القصد والدعاء والخوف والرجاء والرغبة والرهبة، ولا يوجب ذلك صرف الوجوه عن علام الغيوب إليهم في شيء من المطالب والمقاصد الإلـٰهية التي بيده تعالى وتقدس، بل ذلك لله وحده لا شريك له، لا يشرَكه فيه نبي مرسل، ولا ملَك مقرب ولا غيرهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه وأفضل رسله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[1].

والغلو قد لا يصل إلى الكفر، بل يكون في دائرة البدع الغير مكفرة، فلا يعتبر الواقع فيه مرتكب لشيء من نواقض الإيمان بالنبي ﷺ، بل يكون قادح فيه، منتقص لأجره، محتمل لوزر الغلو.

وإن مما امتاز به هذا الدين الوسطية في كل شيء، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا إجحاف، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: والوسط هنا المراد به الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسبًا ودارًا، أي خيرها.

ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا؛ خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[2].

---

(1) «السيف المسلول على عابد الرسول»، ص 156 – 157.

(2) «تفسير القرآن العظيم»، سورة البقرة: 129، باختصار يسير.

فصل

والغلو في النبي ﷺ حرام؛ لأن الغلو في الصالحين – عمومًا – هو الذي أدى بكثير من الأمم إلى الوقوع في الشرك، بدءًا من قوم نوح إلى أمة محمد ﷺ، فقد كان منشأ الشرك في عهد نوح عليه الصلاة والسلام من تعظيم الصالحين، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ قال: أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا[1] أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا[2]، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم[3] عُبدت[4].

وروى ابن جرير بإسناده إلى الثوري عن موسى عن محمد بن قيس أنه قال عن يغوث ويعوق ونسرا: كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، **فعبدوهم**[5].

---

(1) أي ماتوا.

(2) أي اصنعوا أنصابًا، وهي تماثيل تصنع على هيئتهم ثم تنصب في المجالس ليراها الناس فيقتدوا بهم في أفعالهم ! وهكذا دخل عليهم الشيطان.

(3) أي تحول من حال إلى حال. « النهاية »، قال مقيده: وسبب التحول والتحريف هو عدم الحفظ.

(4) رواه البخاري (4920).

(5) « تفسير ابن جرير »، سورة نوح: 24.

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم[1].

وبعد نشوء الشرك وعبادة الأصنام في قوم نوح تـتابع الناس على ذلك وانتشر بينهم كما قال ابن عباس رضي الله عنه: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، أما وَدٌّ فكانت لكلب بدومة الجندل[2]، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لِحمير لآل ذي الكلاع[3].

وقال قتادة: كانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، **ثم اتخذها العرب بعد ذلك**[4].

وبناء على ما تقدم من الحقائق التاريخية، فقد قرر ابن القيم في « زاد المعاد » أن غالب شرك الأمم كان من جهة الصور والقبور[5].

فصل

ولما كان الغلو من أعظم أسباب الانحراف، سواء كان في حق من كانوا أنبياء أو من ليسوا بأنبياء؛ نهى الله أهل الكتاب عن ذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[6].

---

(1) « إغاثة اللهفان »، (1/ 184)، تحقيق محمد حامد الفقي.

(2) موضع في شمال جزيرة العرب.

(3) رواه البخاري (4920).

(4) « تفسير ابن جرير »، تفسير سورة نوح: 24، (12/ 254).

(5) «زاد المعاد» (3/ 458).

(6) سورة المائدة: 77.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي لا تجاوزا الحد في اتباع الحق، ولا تُطروا[1] من أُمرتم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلـٰهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلـٰها من دون الله، وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخكم، شيوخ الضلال، الذين هم سلفكم ممن ضل قديمًا. انتهى.

وقال في تفسير آية النساء: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾:

ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله، يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقًّا أو باطلًا، أو ضلالًا أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

ثم ساق حديث عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»[2]. انتهى.

---

(1) الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح.

(2) رواه البخاري (3445) واللفظ له، وأحمد (1/ 55)، والدارمي (2787).

وكما تقدم؛ فإن صورة الغلو بالنبي ﷺ أن يُجعل له شيء من حقوق الله الخاصة به، فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مشارِك هو الكمال المطلق، والغنى المطلق، والتصرف المطلق من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه، فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبًا من هذه الأشياء؛ فقد ساوى به رب العالمين، ووقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة قبل المات.

فصل

في أقسام الناس في تعظيم النبي ﷺ

وينقسم الناس في معاملة النبي ﷺ إلى ثلاثة أقسام:

أهل الجفاء الذين يهضمونه حقه، ولا يقومون بحقه الواجب من الحب والموالاة له والتوقير والتبجيل.

وأهل الغلو الذين يرفعونه فوق منزلته التي أنزله الله إياها، بنسبة شيء من خصائص الله له، والتي تقدم ذكرها في صورة الغلو.

وأهل الحق الذين يحبونه ويوالونه ويقومون بحقوقهم الحقيقية، ويبرءون من الغلو فيه.

فصل

وقد سلك بعض أهل البدع مسالك منحرفة في باب تعظيم النبي ﷺ، فالرافضة الغلاة فضلوا أئمتهم المعصومين - بزعمهم - على النبي ﷺ.

والصوفية الباطنية الذين فضلوا الأولياء والأقطاب على النبي ﷺ.

يقابل هاتين الطائفتين طائفة الغلاة، الذين غلوا في تعظيم النبي ﷺ حتى عبدوه، وصرفوا له خالص حق الله تعالى من أفعال العباد، من دعاء ونذر وذبح وغير ذلك، أو وصفوه بصفات الله الخاصة به كعلم الغيب ونحو ذلك، ويغلب هذا في عباد القبور.

ومن ألوان الغلو ما يفعله بعض أهل البدع من تعظيم للنبي ﷺ بأنواع من التعظيم البدعي، لم يعرفها صحابة رسول الله ﷺ، كعمل الموالد، أو التوسل بجاهه، وغير ذلك مما سيأتي ذكر بعض أنواعه.

أما أهل السنة والجماعة - جعلنا الله والقارئين منهم - فعظموا النبي ﷺ التعظيم الشرعي، واجتنبوا طرق التعظيم البدعي والشركي.

فصل

في تحذير النبي ﷺ من الغلو فيه

وقد كان النبي ﷺ يزجر الناس ويحذرهم عن الغلو فيه في حياته وحتى سياق الموت، وسنقتصر هنا على ذكر عشرة أحاديث:

1. عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»[1].

والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح[2].

---

(1) رواه البخاري (3445) واللفظ له، وأحمد (1/ 23)، والدارمي (2787).

(2) «النهاية في غريب الحديث».

قال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله:

والإطراء هو أن يُرفع فوق منزلته، ويُعطي أكثر من حقه.

وقد فرّق الله بين حقه الخاص به والحق المشترك بينه وبين رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾.

فجعل الطاعة مشتركة بينه وبين رسوله، وخص نفسه بالخشية والاتقاء، لأن هاتين الخصلتين من خصائصه سبحانه وتعالى[1].

2. وعن قيس بن سعد قال: «أتيت الحِيرة[2]، فرأيتهم يسجدون لمرزُبان[3] لهم فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك، قال: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟

قلت: لا.

قال: فلا تفعلوا، لو كنت آمرا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله عليهن من الحق»[4].

3. ولما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: «ما هذا يا معاذ؟

---

(1) «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة»، ص 295 – 300، باختصار وتصرف يسير.

(2) الحيرة بلد معروف بالعراق آنذاك.

(3) المرزبان هو الفارس الشجاع، وهو مقدم عندهم.

(4) رواه أبو داود (2140)، والدارمي في «كتاب الصلاة» (1435)، والحاكم (2/ 187)، وصححه الألباني.

فقال: أتيت الشام، فوجدتهم يسجدون لأساقفتهم[1] وبطارقتهم[2]، فأردت أن أفعل ذلك بك.

قال: فلا تفعل، فإني لو أمرت شيئًا أن يسجد لشيء؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[3].

4. وعن ابن بريدة عن أبيه قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إيذن لي فلأسجد لك.

قال: لو كنت آمرا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة تسجد لزوجها»[4].

وقد تكرر هذا الفعل عدة مرات أمام النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ ينكره في كل مرة أشد الإنكار[5].

5. وعن ابن عباس أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت.

فقال له النبي ﷺ: «أجعلتني والله عدلًا؟ بل ما شاء الله وحده»[6].

---

(1) الأساقفة جمع أُسقف – بضم الهمزة –، وهو رئيس النصارى في الدين. «لسان العرب».

(2) بطارقة جمع بِطريق، بكسر الباء، ويقال بطريك، وهو من المقدمين عند النصارى. «لسان العرب» و «المعجم الوسيط».

(3) رواه ابن ماجه (1853) وابن حبان (4171)، وحسنه الشيخ الألباني كما في «الإرواء» (7/ 55)، وكذا الشيخ شعيب كما في حاشيته على «صحيح ابن حبان».

(4) رواه الدارمي في كتاب الصلاة، باب النهي أن يسجد لأحد، (1436)، الناشر دار القلم.

(5) انظر ما رواه الدارمي في كتاب الصلاة، باب النهي أن يسجد لأحد عن قيس بن سعد، والحديث الآخر عن ابن بريدة عن أبيه.
وانظر أيضًا ما رواه ابن ماجه (1852) وابن أبي شيبة كلاهما في كتاب النكاح عن عائشة رضي الله عنها.
وانظر أيضًا ما رواه الترمذي (1159) وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(6) رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (988)، وأحمد (1/ 214)، واللفظ له، وصححه لغيره محققو « المسند »، وخرجه الألباني في « الصحيحة » (139). ولفظ النسائي: أجعلتني لله عدلًا؟

وفي لفظ: «جعلت لله ندًا؟ ما شاء الله وحده»[1].

6. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شئت»[2].

7. وعن طفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها: «أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن اليهود.

قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرًا ابن الله.

فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

ثم مر برهط من النصارى فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن النصارى.

فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله.

قالوا: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: هل أخبرت بها أحدًا؟

قال عفان[3]: قال: نعم، فلما صلوا خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن طفيلا رأى رؤيا، فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها، قال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد»[4].

---

(1) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (784).

(2) رواه ابن ماجه (2117)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (1093).

(3) وهو الذي روى عنه أحمد، وهو عفان بن مسلم الصفار.

(4) رواه أحمد (5/ 72)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (138)، وكذا محققو «المسند».

8. وعن خالد بن ذكوان قال: قالت الرُّبيِّع بنت مُعوِّذ: «جاء النبيُّ ﷺ يدخل حين بُنِيَ عليَّ، فجلسَ على فِراشي كمجلِسكَ[1] منّي، فجعلتْ جُوَيْرِياتٌ[2] لنا يَضربنَ بالدُفِّ ويَندُبنَ[3] مَن قُتلَ من آبائي يومَ بدرٍ، إذ قالت إحداهنَّ: وفينا نبيٌّ يَعلمُ ما في غَدٍ.

فقال: دَعي هذِهِ وقولي بالذي كنتِ تقولين»[4].

وفي لفظ قال: «أَمَّا هٰذَا فَلاَ تَقُولُوهُ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللهُ»[5].

وأخرج الطبراني في « الأوسط » من حديث عائشة: «أن النبي ﷺ مر بنساء من الأنصار في عرس لهن يغنين:

وأهـــدَى لهـــا أكبُـــشًا تَبَحْـــبَح في المَرْبَـــدِ[6]
وزَوْجُـــكِ في النَّـــادي[7] ويعلـــم مـــا في غـــدِ

فقال رسولَ الله ﷺ: لا يعلم ما في غدٍ إلا الله»[8].

ولم يقف النبي ﷺ عند هذا، بل قد نهى عن مدحه بما فيه من الخصال سدًّا لباب الغلو فيه، فكيف بمن مدحه بما ليس فيه، كمن نسب له شيئًا من خصائص الربوبية أو الألوهية؟

---

(1) لم يأتِ في الحديث بيان من هو المخاطَب، والظاهر أنه خالد بن ذكوان، راوي الحديث عن عائشة، رضي الله عنها.
(2) الجُويرية تصغير جارية، والمقصود بنيات صغيرات.
(3) النّدب هو عَدُّ خصال الميت.
(4) قال ابن حجر: فيه إشارة إلى جواز سماع المدح والمرثية مما ليس فيه مبالغة تفضي إلى الغلو.
(5) رواه البخاري (5147)، واللفظ الآخر لابن ماجه (1897) وصححه الألباني.
(6) المريد: هو الموضع الذي تحبس فيه الغنم والإبل. « النهاية ».
(7) النادي: هو مجتمع القوم وأهل المجلس. « النهاية »
(8) رقم (3401)، وحسن إسناده ابن حجر في « الفتح »، شرح حديث رقم (5147).

9. فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا.

فقال: السيد الله تبارك وتعالى.

قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طَولًا[1].

فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»[2].

10. وعن أنس رضي الله عنه أن أناسًا قالوا: «يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: يا أيها الناس، عليكم بتقواكم[3]، لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني»[4].

ففي هذين الحديثين وغيرهما نرى كيف سدّ النبي ﷺ طرق الغلو بأن نهى عن مجرد الزيادة في مدحه وإن كان المدح منصبًّا على ما فيه من الخصال، فهو سيد ولد آدم وخير الناس وأفضلهم، ولكن لما كان ذلك المدح يفضي إلى

---

(1) أي أعظمُنا عطاءً وعلُوًا على الأعداء، «عون المعبود».

(2) رواه أبو داود (4806)، والنسائي في «الكبرى» (10076)، والبخاري في «الأدب المفرد» (211)، وأحمد (4/ 24 – 25)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

(3) أي عليكم بمراعاة تقوى الله في أقوالكم.

واللفظ الآخر لأحمد وهو لفظ ابن حبان: (قولوا بقولكم)، أي تكلموا بما يحضركم من القول، ولا تتكلفوا، كأنكم وكلاء الشيطان ورسله، تنطقون عن لسانه. نقلا من حاشية «المسند» (21/ 167).

(4) رواه أحمد (3/ 153، 241)، واللفظ له، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (248) (249)، وابن حبان (6240)، وصححه محققو «المسند» وقالوا: على شرط مسلم. (20/ 23).

الغلو فيه وربما عبادته، نهاهم عنه، وقال لهم: «لا يستجرينكم الشيطان» أي لا يتدرج بكم ويستزلكم إلى الغلو فيَّ.

قال الشيخ صالح آل الشيخ في « كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد »:

فإن في سنة النبي عليه الصلاة والسلام من الدلائل على قاعدة سد الذرائع ما يبلغ مائة دليل أو أكثر، وأعظم الذرائع التي يجب أن تسد ذرائع الشرك التي توصل إليه، ومن تلك الذرائع قول القائل: أنت سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا ونحو ذلك[1].

11. وعن جابر قال: «اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يُسمِع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قيامًا فأشار إلينا فقعدنا، فصلينا بصلاته قعودًا، فلما سلم قال: إن كدتم آنفًا لتفعلون فعل فارس والروم؛ يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا، ائتموا بأئمتكم؛ إن صلى قائمًا فصلوا قيامًا، وإن صلى قاعدًا فصلوا قعودًا»[2].

قال ابن تيمية رحمه الله: فإذا كان قد نهاهم مع قعوده – وإن كانوا قاموا في الصلاة – حتى لا يتشبهوا بمن يقومون بعظمائهم، وبيّن أن من سره القيام له كان من أهل النار، فكيف بما فيه[3] من السجود له، ومن وضع الرأس، وتقبيل الأيادي؟[4]

(1) شرح « باب حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك ».
(2) رواه مسلم (413).
(3) أي بما في ذلك القيام للمعظمين.
(4) « مجموع الفتاوى » (27/ 93).

فصل

في اتباع الصحابة لنبيهم في اجتناب الغلو في الأنبياء والصالحين

وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على هدي نبيهم في التحرز من الغلو في الأنبياء والصالحين، ومن ذلك تعميتهم لقبر « دانيال » وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل وجد الصحابة قبره في « تستر »[1] لما فتحوها، فما كان منهم إلا أن أخفوا قبره حتى لا يفتتن به الناس إذا وجدوه فيغلون في تعظيمه، وقصته رواها محمد بن إسحاق عن خالد بن دينار قال: حدثنا أبو العالية قال:

لما فتحنا « تستر » وجدنا في بيت مال الهرمزان[2] سريرًا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية[3]، فأنا أول رجل من العرب قرأه قراءةً مثل ما أقرأ القرآن هذا، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيركم وأموركم ولحون كلامكم[4] وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا ينبشونه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون. قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال رجل يقال له دانيال. قلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة ما تغير منه

---

(1) تُستر مدينة بإقليم خوزستان، فتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر رضي الله عنه.

(2) أطلق العرب لقب الهرمزان على الكبير من ملوك العجم. « المعجم الوسيط ».

(3) أي ترجمه إليها.

(4) لحن الكلام هو معناه وفحواه.

شيء؟ قال: لا، إلا شعرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليه الأرض ولا تأكله السباع.

قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح إلى أبي العالية، ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظًا منذ ثلثمائة سنة فليس بنبي، بل هو رجل صالح؛ لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في « البخاري »، والفترة التي كانت بينهما كانت أربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة، وقيل ستمائة وعشرون سنة، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت دانيال، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر، فإنه قد يكون رجلًا آخر إما من الأنبياء أو الصالحين، ولكن قربت الظنون أنه دانيال؛ لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجونا كما تقدم.

وقد روي بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول أنفه شبر.

وعن أنس بن مالك بإسناد جيد أن طول أنفه ذراع.

فيحتمل على هذا أن يكون رجلًا من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد، والله أعلم[1].

فالشاهد من القصة هو ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم من تعمية قبر ذاك النبي؛ لئلا يفتتن به الناس إذا علموا أنه قبر نبي فيغلون في تعظيم قبره، الأمر الذي يؤدي إلى عبادته، فسد الصحابة ذلك الباب بأن عموا قبره تمامًا.

---

(1) « البداية والنهاية »، (2/ 40)، ذكر شيء من خبر دانيال عليه السلام.

وهذا علي بن أبي طالب ﵁ لما أُتي بالزنادقة الذين قالوا أنه هو اللهُ أحرقهم بالنار، كما روى ابن حجر في « الجزء الثالث » من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قومًا على باب المسجد يدّعون أنك ربهم !

فدعاهم فقال لهم: ويلكم، ما تقولون؟

قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا !

فقال: ويلكم، إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا.

فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قَنبر [1] فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام.

فقال: أدخلهم.

فقالوا كذلك [2].

فلما كان الثالث [3] قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قِتلة.

فأبوا إلا ذلك، فأمر بفَعَلة [4] مَعهم مَرُورهم [5]، فخد لهم أخدودًا بين باب

(1) قَنبر هو مولى لعلي ﵁.
(2) أي كقولهم في اليوم الأول.
(3) أي اليوم الثالث.
(4) الفَعلة صفة غالبة على عملة الطين والحفر ونحوهما. « لسان العرب ».
(5) المَرُّ هو المسحاة. « لسان العرب ».

المسجد والقصر، وقال: (احفروا)، فأبعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا.

فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيـــت أمـــرا منكـــرًا أوقـــدت نـــاري ودعـــوت قَـــنبرًا

ثم قال الحافظ: وهذا سند حسن[1].

---

(1) «فتح الباري» شرح حديث (6922)، باختصار يسير.

ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ط دار الفكر) (42/ 475-476) في (ترجمة علي بن أبي طالب)، والأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (2/ 342-343) (ط الرسالة) عن عثمان بن أبي عثمان قال: جاء أناس إلى علي بن أبي طالب من الشيعة، فذكره بنحوه.

فائدة: قال السمعاني في «الأنساب» (5/ 396) (ط دار الكتب العلمية) في النسبة إلى (النصيري):

وهذه النسبة لطائفة من غلاة الشيعة يقال لهم النصيرية، والنسبة إليها نُصيري، وهذه الطائفة ينتسبون إلى رجل اسمه نُصير، وكان في جماعة قريبًا من سبعة عشر نفسًا كانوا يزعمون أن عليًّا هو الله، وهؤلاء شر الشيعة، وكان ذلك في زمن علي، فحذّرهم وقال: إن لم ترجعوا عن هذا القول وتجددوا إسلامكم وإلا عاقبتكم عقوبة ما سُمِع مثلها في الإسلام.

ثم أمر بأخدود، وحُفِر في رحَبة جامع الكوفة، فأشعل فيه النار، وأمرهم بالرجوع فما رجعوا، فأمر غلامه قنبر حتى ألقاهم في النار، فهرب واحد من الجماعة اسمه نصير، واشتهر هذا الكفر منه، وأن عليًّا لما ألقاهم في النار التفت واحد وقال: الآن تحققت أنه هو الله، لأنه بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال: لا يعذب بالنار إلا ربُّها، وكان علي يرميهم في النار وينشد:

إني إذا أبصرت أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قَنبرا

ولما بلغ ابن عباس ما فعل علي رضي الله عنه قال: لو كنت مكان علي رضي الله عنه كنت أقتلهم وما كنت أحرقهم.

وهذه الطائفة بالحديثة، بلدة على الفرات.

سمعت الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني شيخ الزيدية بالكوفة يقول: لما انصرفت من الشام دخلت الحديثة مجتازًا، فسألوا عن اسمي فقلت: عمر، فأرادوا أن يقتلوني لأن اسمي عمر، حتى قلت إني علوي وإني كوفي، فتخلصت منهم، وإلا كادوا أن يقتلوني. انتهى كلام السمعاني.

وروى البخاري بسنده عن عكرمة قال: أُتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تعذبوا بعذاب الله)، ولقتلتهم، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه). «الجامع الصحيح» (6922).

وعلى هذا سار أئمة الهدى، قال علي بن عبد الله الطيالسي: مسحت يدي على أحمد بن حنبل، ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر[1]، فغضب غضبًا شديدًا، وجعل ينفض نفسه ويقول: (عمن أخذتم هذا؟!)، وأنكره إنكارًا شديدًا[2].

فالحاصل من هذه الأحاديث والآثار هو تحريم الغلو في النبي ﷺ، ومن باب أولى من هم دونه من الصالحين.

فصل

في بيان مظاهر الغلو في الأنبياء والصالحين

ومظاهر الغلو في النبي ﷺ كثيرة، بعضها يعتبر من نواقض الإسلام، وفاعله يعتبر في حكم الإسلام مشركًا، وبعضها يدخل في حيز البدع الغير مكفرة، وصاحبها من أهل الكبائر، أما المظاهر المكفرة فستة، وهي كالتالي على سبيل الإجمال:

المظهر الأول: دعاؤه، كقول يا نبي الله أغثني ونحو ذلك، فهذا شرك؛ لأن الدعاء عبادة، قال ﷺ: «الدعاء هو العبادة، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾»[3].

---

(1) أي بقصد التبرك كما يفعله بعض الناس هداهم الله !

(2) « طبقات الحنابلة » (1/ 216)، ترجمة رقم (316)، الناشر دار الكتب العلمية.

(3) رواه أبو داود (1479)، والترمذي (2969)، وغيرهما عن النعمان بن بشير، وصححه الشيخ الألباني.

فمن صرف دعاءه لغير الله فهو ضال مشرك، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ .﴾

المظهر الثاني: الذبح له، والذبح لغير الله شرك؛ لأن الذبح عبادة، وجميع العبادات لا يجوز صرفها إلا لله، قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

المظهر الثالث: الطواف حول قبره، وهذا شرك أيضًا؛ لأن الطواف عبادة، لا يجوز صرفه إلا لله، والطواف حول القبر النبوي متعذر في هذه الأزمنة بسبب الحاجز الذي وضعته الحكومة السعودية، جزاها الله خيرًا.

والطواف الشرعي يكون لله وحده، ومحله حول الكعبة الشريفة، ﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾، فمن طاف لغير الله، أيا كان ذلك المطاف به، فهو مشرك.

المظهر الرابع: النذر له، وهذا شرك، والنذر لا يجوز إلا لله، كما قال ﷺ: «لا نذر إلا فيما ابتغي به وجه الله ﷻ»[1].

المظهر الخامس: دعوى الربوبية فيه، كقول أنه يخلق أو يرزق أو يدبر الأمر، وهذا شرك ظاهر، وهو من أقبح أنواع الشرك، والله هو المتفرد بالربوبية على خلقه سبحانه وتعالى.

---

(1) رواه أحمد (2/ 185)، وأبو داود (3273)، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وحسنه الشيخ الألباني كما في « صحيح أبي داود »، وكذا الشيخ شعيب في تحقيقه على « المسند ».

المظهر السادس: ادعاء علم الغيب له، سواء في حياته أو بعد مماته، وهذا شرك في توحيد الأسماء والصفات، وعلم الغيب خاص بالله تعالى، ﴿ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ ﴾، فمن وصف غير الله بهذه الصفة فقد رد خبر القرآن، وجعل لله شريكًا فيما هو من خصائص الله.

فصل

في بيان مظاهر محرمة في الغلو بالنبي ﷺ دون الشرك

وهناك مظاهر محرمة في الغلو بالنبي ﷺ، تدخل في حيز البدع، وبعضها في حيز الكبائر التي دون البدع، وليست هي من نواقض الإيمان بالنبي ﷺ، ولا مكفرات بحد ذاتها، ولكنها قد تؤدي إليه، ففاعلها على خطر عظيم، فلهذا حذر منها النبي ﷺ، لأن من قواعد الشريعة أن ما كان وسيلة إلى محرم فهو محرم، والوسائل لها أحكام المقاصد.

وبعض هذه المظاهر واقع، وبعضها لم يقع بحمد الله، وهي بمجملها أحد عشر مظهرًا:

المظهر الأول: اتخاذ قبره مسجدًا، أي مكانًا يصلى فيه، وهذا متعذر بحمد الله بسبب الحجرة النبوية والحاجز الحديدي المحيط بها، والدليل على تحريم اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجدًا حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس[1] يقول: «... ألا وإن من كان

(1) أي خمس ليال.

قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فأني أنهاكم عن ذلك»[1].

ولهذا دفن الصحابة رسول الله ﷺ في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في المقبرة؛ لئلا يُتخذ قبره مصلى، وقد صرحت عائشة بهذه العلة كما سيأتي، رضي الله تعالى عنها وعن أبيها.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

قالت: لولا ذلك أُبرز قبره غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدًا[2].

المظهر الثاني: بناء مسجد على قبره، وهذا لم يحصل بحمد الله؛ لأن النبي ﷺ مدفون بحجرة عائشة، ودليل التحريم حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[3].

---

(1) رواه مسلم (532).

(2) رواه البخاري (1330)، ومسلم (529) واللفظ له، وأحمد (6/ 80)، والنسائي (702)، وابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (11819).

(3) رواه البخاري (1341)، ومسلم (528) واللفظ له، والنسائي (703)، وأحمد (6/ 51)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (11814).

قال ابن عبد البر رحمه الله: هذا يُحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد[1].

المظهر الثالث: دعاء الله عند قبره ﷺ، والذين يفعلون هذا يظنون أن الدعاء عند قبره قريب للاستجابة، وهذا قول على الله بغير علم، ولهذا أنكره سبط النبي ﷺ، فقد رآى علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب رجلًا يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها **فيدعو** فنهاه فقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وسلموا عليَّ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم»[2].

قال ابن تيمية رحمه الله: فهذا علي بن الحسين، زين العابدين، وهو من أجل التابعين علمًا ودينًا، حتى قال الزهري: ما رأيت هاشميًّا مثله، وهو يذكر هذا الحديث بإسناده، ولفظه: «لا تتخذوا بيتي عيدًا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم».

وهذا يقتضي أنه لا مزية للسلام عليه عند بيته، كما لا مزية للصلاة عليه عند بيته[3]، بل قد نهى عن تخصيص بيته بهذا وهذا[4].

---

(1) « التمهيد »، كتاب الجامع، باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة، (14/ 326)، الناشر دار الفاروق الحديثة.

(2) رواه أبو يعلى في « مسنده »، (1/ 361) رقم (469)، وإسماعيل القاضي في « فضل الصلاة على النبي » (20)، وابن أبي شيبة في المصنف (7541)، وعنه الحافظ الضياء المقدسي في « الأحاديث المختارة » (428)، وقال الألباني في تحقيقه عليه: حديث صحيح بطرقه وشواهده، وقد خرجتها في «تحذير الساجد»، ص (98-99).

(3) يشير إلى حديث: لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا... الخ.

(4) « الرد على الإخنائي »، ص 265.

المظهر الرابع: طلب الدعاء منه بعد مماته، وهذا سفه في العقل؛ لأن النبي ﷺ قد مات بنص القرآن وإجماع الصحابة، والميت ليس له اتصال بالحياة الدنيا البتة، بل هو في حياة برزخية، لا يعلم كنهها إلا الله، ولو أن النبي ﷺ يدعو لمن طلب منه الدعاء لفعل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم، لاسيما وقد دهمتهم نوائب، وأصابتهم خطوب، ولم يرد عنهم طلب دعاء ولا غيره، بل يصلون ويسلمون عليه في اليوم والليلة، ويتبعوا أمره، ويجتنبوا نهيه، ولم يرد عنهم غير ذلك البتة.

المظهر الخامس: الحلف به ﷺ، وهذا محرم، وقد يكون شركًا مخرجًا من الملة وقد لا يكون، فإن كان الحالف معظِّمًا للمحلوف به كما يعظم الله فقد أشرك؛ لأنه ساوى بين الله وبين خلقه في المنزلة، وإن كان دون ذلك فهو من الشرك الأصغر الذي هو من كبار الذنوب، عافانا الله من ذلك، والدليل على تحريم الحلف بغير الله حديث سعد بن عبيدة أن ابن عمر سمع رجلًا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يُحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[1].

المظهر السادس: اتخاذ قبره عيدًا، أي معاودة قبره كل يوم أو كل أسبوع ونحو ذلك، وهذا محرم؛ لأنه من الزيادة في التعظيم فوق القدر المشروع، ودليل التحريم حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

---

(1) رواه الترمذي (1535) واللفظ له، وأبو داود (3251)، وأحمد (2/ 125)، وصححه الألباني في « صحيح الترمذي ».

تتخذوا قبري عيدًا، ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني»[1].

والمأثور عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يزور القبر النبوي كلما جاء من سفر أو أرد سفرًا، وعلى هذا فما يفعله بعض الناس - من زوار المدينة خصوصًا - من ارتياد القبر النبوي كل يوم، أو بعد كل فريضة؛ فهذا مخالف للشريعة، وليس من التعظيم المشروع في شيء.

المظهر السابع: السفر إلى قبره ﷺ، وهذا محرم؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا»[2]، أي المسجد النبوي.

فعلى هذا فمن أراد السفر للمدينة فلتكن نيته شد الرحال للمسجد النبوي لا القبر النبوي، وبعد زيارة المسجد النبوي يجوز له زيارة القبر النبوي ومسجد قباء، ولكن لا يجعل ينته لهما ابتداء.

المظهر الثامن: تعظيم الأماكن التي مر بها أو صلى عندها، وهذا محرم؛ لأنه من التعلق بالجمادات، فقد روى سعيد بن منصور في « سننه »[3] عن المعرور بن سويد قال: خرجنا مع عمر في حجة حجها، فقرأ بنا في الفجر بـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

(1) رواه أحمد (2/ 367)، وأبو داود (2042)، واللفظ لأحمد، وسنده حسن كما قال الألباني في « الجنائز »، وقال: وهو صحيح بما له من طرق وشواهد، ثم ساقها.

(2) رواه البخاري (1995) ومسلم (827) والترمذي (326) وابن ماجه (1410) وأحمد (3/ 45) عن أبي سعيد رضي الله عنه ، ورواه البخاري (1189) ومسلم (1397) وأبو داود (2033) والنسائي (699) والدارمي في كتاب الصلاة عن أبي هريرة.

(3) نقل هذا الأثر ابن تيمية في « الاقتضاء ».

﴿فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾، و ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ في الثانية، فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد فقال: ما هذا؟ قالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: **هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم، اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعًا، من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل، ومن لم تعرض له الصلاة فليمض.**

وفى رواية أنه رأى أناس ينزلون فيصلون في مسجد، فسأل عنهم فقالوا: مسجد صلى فيه النبي ﷺ.

فقال: **إنما هلك من كان قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بِيعًا**[1]، **من مر بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فليصل، وإلا فليمض**[2].

ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بايع تحتها رسول الله ﷺ أصحابه أرسل فقطعها، رواه ابن وضاح في كتابه فقال: سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة[3].

المظهر التاسع: التبرك بقبره، أو التمسح بجدران حجرته والحديد المحيط بها ونحو ذلك ابتغاء البركة، وهذا باطل من وجهين؛ الأول: أن الله لم يجعل البركة في التمسح بها، ولم يرد به دليل لا في الكتاب ولا في السنة، ثم إنه من

---

(1) جمع بيعة بكسر الباء، وهي معبد النصارى.

(2) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (2/ 118) رقم (2734)، وابن وضاح في « البدع والنهي عنها »، باب ما جاء في اتباع الأذان، وصححه ابن تيمية رحمه الله كما في « الاستغاثة في الرد على البكري » (2/ 433).

(3) رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها»، برقم (106)، وجزم ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (27/ 33) بثبوت خبر عمر في قطع الشجرة.

التعلق بالجمادات، بل قد ورد النص في النهي عن ذلك، فعن أبي واقد الليثي: «أن رسول الله ﷺ خرج وأصحابه إلى حنين، فمروا بشجرة خضراء عظيمة يقال لها ذات أنواط[1]، كان المشركون يعكفون عندها، ويتبركون بها، ويعلقون عليها سيوفهم، معتقدين أن ذلك يزيدها مضاءً فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فقال النبي ﷺ: سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، **والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**»[2].

وروي عن أنس رضي الله عنه أنه رأى رجلًا وضع يده على قبر النبي ﷺ فنهاه وقال: «ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله ﷺ»[3].

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر بدأ بقبر النبي ﷺ، فصلى عليه وسلم ودعا له **ولا يمس القبر**، ثم يسلم على أبي بكر، ثم قال: السلام عليك يا أبت[4].

وروى أبو الحسن علي بن عمر القزويني في « أماليه » عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ[5].

---

(1) الأنواط هي الأغصان.

(2) رواه الترمذي (2180) واللفظ له، وأحمد (5/ 218)، وصححه الألباني كما في « صحيح الترمذي».

(3) قاله نور الدين السمهودي في « وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى »، (4/ 1402)، ط دار إحياء التراث.

(4) (8/ 88 - 89) برقم (3854).

(5) نقلا من « الرد على الإخنائي »، ص 413 - 414.

تنبيه: الكراهة عند السلف تعني التحريم كما هي طريقة القرآن ﴿وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾، وعند علماء الفقه: ما يثاب تاركه، ولا يعاقب عليه فاعله.

المظهر العاشر: التوسل به، أي بذاته ﷺ كقول اللهم إني أتوسل بجاه نبيك أن ترزقني الولد أو تسقينا الغيث، فهذا من التوسل البدعي؛ لأن النبي ﷺ لم يعلمنا أن نتوسل بذاته، بل علمنا أن نتوسل إلى الله إما بدعائه، وهذا متعذر بعد موته، أو بعمل صالح قام به الداعي نفسه، أو التوسل بأسماء الله الحسنى، أما التوسل بأعمال الآخرين أو ذواتهم فلم يرد إطلاقًا، لا في الكتاب ولا في السنة، وما لم يرد في الكتاب ولا في السنة فالتعبد به بدعة كما تقرر آنفًا.

المظهر الحادي عشر: الاحتفال بذكرى مولده ﷺ، وهذا المظهر يعتبر من المظاهر البدعية المشتهرة، وقد أنكره علماء الإسلام على مر العصور، وبينوا أنه من التشبه بالكفار من النصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، فإن النصارى تحتفل بيوم مولد عيسى ويتخذونه عيدًا، وذلك بإيقاد الشموع وصنع الطعام وارتكاب المحرمات وفعل الموبقات من شرب للخمور وفعل الفواحش وغير ذلك من القبائح.

وقد صرح بعضهم معللًا مشروعية الاحتفال بفعل المولد: (إذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيدًا أكبر، فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر)، وكلام هذا القائل مردود عليه، فقد حذر النبي ﷺ من مشابهة اليهود والنصارى، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.

قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟

قال: فمن؟»[1]

أي فمن غير أولئك.

ثم إن المولد النبوي لو كان خيرًا لفعله الصحابة والتابعون، الذين هم أشد الناس تعظيمًا للنبي ﷺ، بل لم يعرفه المسلمون في القرون الثلاثة المفضلة الأولى، ولم يدخل على المسلمين إلا في بداية القرن الرابع، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، فالأمر كما قال الأول:

وخير الأمور السابقات على الهدى ... وشر الأمور المحدثات البدائع

ثم إن المتأمل للقصائد التي تلقى في الموالد يجدها مرصوفة بعبارات التوسل والاستشفاع والاستغاثة، وجعل النبي ﷺ هو المتصرف في هذا الكون، وجعله أول الموجودات والقطب الذي تدور عليه الأفلاك، وجعله الغاية التي من أجلها وجد هذا الكون، وتسويته بالله، ونسبته إلى علم الغيب، وتدبير أمر الآخرة، إلى غير ذلك من الافتراءات والأباطيل التي شُحنت بها تلك القصائد.

ثم تطور الأمر، فادعوا أن النبي ﷺ يحضر هذه الموالد إما بجسده - كما يدعيه بعضهم - أو بروحه، كما يدعه البعض الآخر منهم.

يضاف إلى ذلك ما قد يحصل في بعض الموالد من منكرات وبدع أخرى، كالرقص الصوفي، والذكر البدعي، وضرب الدفوف، والتزمير بالمزامير، وليس هذا بغريب، فالإنحراف تتسع دائرته شيئًا فشيئًا.

---

(1) رواه البخاري (3269) ومسلم (2669).

فأهل البدع قلبوا دين الله، وجعلوا المنكر معروفًا والمعروف منكرًا، وقلدهم في ذلك ضعاف النفوس والعقول من العامة الدهماء.

وقد جمع أحد الباحثين بعض فتاوى أهل العلم في حكم الاحتفال بالمولد النبوي فوقعت في مجلدين.

وفيما يلي فتوى جامعة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، حفظه الله، في الاحتفال بالمولد النبوي، هذا نصها:



حكم الاحتفال بذكرى المولد النبوي

الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا يخفى ما ورد في الكتاب والسنة من الأمر باتباع ما شرعه الله ورسوله، والنهي عن الابتداع في الدين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[3]، وقال ﷺ: «إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها»، وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد».

وإن من جملة ما أحدثه الناس من البدع المنكرة؛ الاحتفال بذكرى المولد النبوي في شهر ربيع الأول، وهم في هذا الاحتفال على أنواع:

---

(1) سورة آل عمران: 31.

(2) سورة الأعراف: 3.

(3) سورة الأنعام: 153.

فمنهم من يجعله مجرد اجتماع تُقرأ فيه قصة المولد، أو تُقدم فيه خطب وقصائد في هذه المناسبة.

ومنهم من يصنع الطعام والحلوى وغير ذلك، ويقدمه لمن حضر.

ومنهم من يقيمه في المساجد، ومنهم من يقيمه في البيوت.

ومنهم من لا يقتصر على ما ذكر، فيجعل هذا الاجتماع مشتملًا على محرمات ومنكرات من اختلاط الرجال بالنساء، والرقص والغناء، أو أعمال شركية، كالاستغاثة بالرسول ﷺ ونداائه والاستنصار به على الأعداء وغير ذلك.

وهو[1] بجميع أنواعه واختلاف أشكاله واختلاف مقاصد فاعليه لا شك ولا ريب أنه بدعة محرمة محدثة أحدثها الشيعة الفاطميون بعد القرون الثلاثة المفضلة لإفساد دين المسلمين، وأول من أظهره بعدهم الملك المظفر أبو سعيد كوكبوري ملك إربل في آخر القرن السادس أو أول القرن السابع الهجري، كما ذكره المؤرخون، كابن كثير وابن خَلِّكان وغيرهما.

وقال أبو شامة: وكان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا، أحد الصالحين المشهورين، وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيره.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية» في ترجمة سعيد كوكبوري: "وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالًا هائلًا...

---

(1) أي الاحتفال بالمولد النبوي.

إلى أن قال: قال السبط:

حكى بعض من حضر سماط[1] المظفر في بعض الموالد أنه كان يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية[2]، وثلاثين ألف صحن حلوى...

إلى أن قال: ويعمل للصوفية سماعًا من الظهر إلى الفجر، ويرقص بنفسه معهم.

وقال ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: "فإذا كان أول صَفر زينوا تلك القِباب بالأنواع الفاخرة المتجملة، وقعد في كل قبة جَوق[3] من الأغاني، وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي، ولم يتركوا طبقة من تلك الطبقات (طبقة القباب) حتى رتبوا فيها جوقًا، وتبطل معايش الناس في تلك المدة، وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم..

إلى أن قال: فإذا كان قبل يوم المولد بيومين أَخرج من الإبل والبقر والغنم شيئًا كثيرًا زائدًا عن الوصف، وزَفّها[4] بجميع ما عنده من الطبول والأغاني والملاهي، حتى يأتي بها إلى الميدان..

إلى أن قال: فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة.

---

(1) السماط هو المائدة.

(2) الزِّبدية وعاء يخثر فيه اللبن. «المعجم الوسيط».

(3) الجوق هم كل خليط من رعاء الناس أمرهم واحد. انظر «المعجم الوسيط».

(4) زفها أي ذهب بها. انظر «المعجم الوسيط».

فهذا مبدأ حدوث الاحتفال وإحيائه بمناسبة ذكرى المولد، حدث متأخرًا ومقترنًا باللهو والسرف وإضاعة الأموال والأوقات وراء بدعة ما أنـزل الله بها من سلطان.

والذي يليق بالمسلم إنما هو إحياء السنن وإماتة البدع، وألا يُقدم على عمل حتى يعلم حكم الله فيه.

حكم الاحتفال بذكرى المولد النبوي

الاحتفال بمناسبة مولد الرسول ﷺ ممنوع ومردود من عدة وجوه:

أولًا: أنه لم يكن من سنة الرسول ﷺ ولا من سنة خلفائه، وما كان كذلك فهو من البدع الممنوعة، لقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

والاحتفال بالمولد محدث، أحدثه الشيعة الفاطميون بعد القرون المفضلة لإفساد المسلمين، ومن فعل شيئًا يتقرب به إلى الله تعالى، لم يفعله الرسول ﷺ، ولم يأمر به، ولم يفعله خلفاؤه من بعده؛ فقد تضمن فِعله اتهام الرسول بأنه لم يبين للناس دينهم، وتكذيب قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]، لأنه جاء بزيادة يزعم أنها من الدين ولم يأت بها الرسول ﷺ.

ثانيًا: في الاحتفال بذكرى المولد تشبه بالنصارى؛ لأنهم يحتفلون بذكرى مولد المسيح عليه السلام، والتشبه بهم محرم أشد التحريم، ففي الحديث النهي عن التشبه بالكفار، والأمر بمخالفتهم، فقد قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»، وقال: «خالفوا المشركين»، ولاسيما فيما هو من شعائر دينهم.

(1) سورة المائدة: 3.

ثالثًا: أن الاحتفال بذكرى مولد الرسول، مع كونه بدعة وتشبهًا بالنصارى، وكل منهما محرم؛ فهو كذلك وسيلة إلى الغلو والمبالغة في تعظيمه حتى يفضي إلى دعائه والاستغاثة به من دون الله، كما هو الواقع الآن من كثير من يحيون بدعة المولد، من دعاء الرسول من دون الله، وطلب المدد منه، وإنشاء القصائد الشركية في مدحه، كقصيدة البردة وغيرها، وقد نهى ﷺ عن الغلو في مدحه فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدهُ، فقولوا عبد الله ورسوله».

أي تغلو في مدحي وتعظيمي كما غلت النصارى في مدح المسيح وتعظيمه حتى عبدوه من دون الله، وقد نهاهم الله عن ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾[1].

ونهانا نبينا ﷺ عن الغلو خشية أن يصيبنا ما أصابهم، فقال: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو».

رابعًا: إن إحياء بدعة المولد يفتح الباب للبدع الأخرى والاشتغال بها عن السنن، ولهذا تجد المبتدعة ينشطون في إحياء البدع ويكسلون عن السنن، ويبغضونها ويعادون أهلها، حتى صار دينهم كله ذكريات بدعية وموالد، وانقسموا إلى فرق، كل فرقة تحيي ذكرى موالد أئمتها، كمولد البدوي وابن عربي والدسوقي والشاذلي، وهكذا لا يفرغون من مولد إلا وينشغلون بآخر، ونتج عن ذلك الغلو بهؤلاء الموتى وبغيرهم: دعاؤهم من دون الله، واعتقاد

---

(1) سورة النساء: 171.

أنهم ينفعون ويضرون، حتى انسلخوا من دين الإسلام وعادوا إلى دين أهل الجاهلية الذين قال الله فيهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[2].

مناقشة شبه مقيمي المولد

هذا، وقد يتعلق من يرى إحياء هذه البدعة بشُبه أوهى من بيت العنكبوت، ويمكن حصر هذه الشبُه فيما يلي: -

1- دعواهم أن في ذلك تعظيمًا للنبي ﷺ.

والجواب عن ذلك أن نقول: إنما تعظيمه ﷺ بطاعته وامتثال أمره واجتناب نهيه ومحبته ﷺ وليس تعظيمه بالبدع والخرافات والمعاصي، والاحتفال بذكرى المولد من هذا القبيل المذموم لأنه معصية، وأشد الناس تعظيمًا للنبي ﷺ هم الصحابة رضي الله عنهم كما قال عروة بن مسعود لقريش: «أيْ قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدًا ﷺ، والله إن تَنخم نخامة إلا وقعت في كفٍّ رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدون النظر إليه تعظيمًا له».

---

(1) سورة يونس: 18.

(2) سورة الزمر: 3.

ومع هذا التعظيم ما جعلوا يوم مولده عيدًا واحتفالًا، ولو كان ذلك مشروعًا ما تركوه.

2- الاحتجاج بأن هذا عمل كثير من الناس في كثير من البلدان.

والجواب عن ذلك أن نقول: الحجة بما ثبت عن الرسول ﷺ، والثابت عن الرسول ﷺ النهي عن البدع عمومًا، وهذا منها، وعمل الناس إذا خالف الدليل فليس بحجة وإن كثروا، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1]، مع أنه لا يزال – بحمد الله – في كل عصر من ينكر هذه البدعة ويبين بطلانها، فلا حجة بعمل من استمر على إحيائها بعد ما تبين له الحق.

فممن أنكر الاحتفال بهذه المناسبة شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم»، والإمام الشاطبي في «الإعتصام»، وابن الحاج في «المدخل»، والشيخ تاج الدين علي بن عمر اللخمي ألف في إنكاره كتابًا مستقلًّا، والشيخ محمد بشير السهسواني الهندي في كتابه «صيانة الإنسان»، والسيد محمد رشيد رضا ألف فيه رسالة مستقلة، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ألف فيه رسالة مستقلة، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وغير هؤلاء ممن لا يزالون يكتبون في إنكار هذه البدعة كل سنة في صفحات الجرائد والمجلات في الوقت الذي تقام فيه هذه البدعة.

3- يقولون: إن في إقامة المولد إحياءً لذكر النبي ﷺ.

---

(1) سورة الأنعام: 116.

والجواب عن ذلك أن نقول: إن ذكرى الرسول ﷺ تتجدد مع المسلم، ويرتبط بها المسلم كلما ذُكر اسمه ﷺ في الأذان والإقامة والخطب، وكلما ردد المسلم الشهادتين بعد الوضوء، وفي الصلوات، وكلما صلى على النبي ﷺ في صلواته وعند ذِكره، وكلما عمل عملًا صالحًا واجبًا أو مستحبًا مما شرعه الرسول ﷺ فإنه بذلك يتذكره، ويصل إليه من الأجر مثل أجر العامل، وهكذا المسلم دائمًا يحيي ذكرى الرسول ويرتبط به في الليل والنهار طوال عمره بما شرعه الله، **لا في يوم مولده فقط** وبما هو بدعة ومخالفة لسنته، فإن ذلك يُبعد عن الرسول ﷺ ويتبرأ منه، والرسول ﷺ غني عن هذا الاحتفال البدعي بما شرعه الله له من تعظيمه وتوقيره كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[1]، فلا يذكر الله ﷻ في أذان ولا إقامة ولا خطبة إلا ويذكر بعده الرسول ﷺ، وكفى بذلك تعظيمًا ومحبة وتجديدًا لذكراه، وحثًا على اتباعه.

والله سبحانه وتعالى لم يُنوه في القرآن بولادة الرسول ﷺ، وإنما نوه ببعثته، فقال: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[2]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾[3].

4- قد يقولون: الاحتفال بذكرى المولد النبوي أحدثه ملك عادل عالم، قصد به التقرب إلى الله !

والجواب عن ذلك أن نقول: البدعة لا تُقبل من أي أحد كان، وحُسن القصد لا يُسوغ العمل السيئ، وكونه عالمًا وعادلًا لا يقتضي عصمته.

(1) سورة الشرح: 4.

(2) سورة آل عمران: 164.

(3) سورة الجمعة: 2.

5- قولهم: إن إقامة المولد من قبيل البدعة الحسنة؛ لأنه ينبئ عن الشكر لله على وجود النبي الكريم!

ويجاب عن ذلك بأن يقال: ليس في البدع شيء حسن، فقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وقال ﷺ: «فإن كل بدعة ضلالة»، فحكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة، بل هناك بدعة حسنة!

قال الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين»: فقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة» من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء[1]، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريئ منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة. انتهى.

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: نعمت البدعة هذه.

وقالوا أيضًا: إنه أُحدثت أشياء لم يستنكرها السلف، مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذلك: أن هذه الأمور لها أصل في الشرع، فليست محدثة.

(1) أي لا يستثنى شيء من البدع من هذا الأصل، فكل بدعة ضلالة.

وقول عمر: (نعمت البدعة)؛ يريد البدعة اللغوية لا الشرعية، فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل إنه بدعة؛ فهو بدعة لغة لا شرعًا؛ لأن البدعة شرعًا ما ليس له أصل في الشرع يُرجع إليه.

وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع؛ لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوبًا متفرقًا، فجمعه الصحابة في كتاب واحد حفظًا له.

والتراويح قد صلاها النبي ﷺ بأصحابه ليالي وتخلف عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم، واستمر الصحابة ﷺ يصلونها أوزاعًا متفرقين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلف إمام واحد كما كانوا خلف النبي ﷺ، وليس هذا بدعة في الدين.

وكتابة الحديث أيضًا لها أصل في الشرع، فقد أمر النبي ﷺ بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طُلب منه ذلك، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده ﷺ خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما توفي ﷺ انتفى هذا المحذور؛ لأن القرآن قد تكامل وضُبط قبل وفاته ﷺ، فدون المسلمون السنة بعد ذلك حفظًا لها من الضياع، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا، حيث حفظوا كتاب الله وسنة نبيهم ﷺ من الضياع وعبث العابثين.

ويقال أيضًا: لما تأخر القيام بهذا الشكر[1] – على زعمكم –، فلم يقم به أفضل القرون من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وهم أشد محبة للنبي ﷺ وأحرص على فعل الخير والقيام بالشكر، فهل كان من أحدث بدعة المولد أهدى منهم وأعظم شكرًا لله عز وجل؟ حاشا وكلا.

---

(1) انظر شبهة رقم 5.

6- قد يقولون: إن الاحتفال بذكرى مولده ﷺ ينبئ عن محبته، فهو مظهر من مظاهرها، وإظهار محبته ﷺ مشروع.

والجواب أن نقول: لا شك أن محبته ﷺ واجبة على كل مسلم أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين -بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه-، ولكن ليس معنى ذلك أن نبتدع في ذلك شيئًا لم يشرعه لنا، بل محبته تقتضي طاعته واتباعه، فإن ذلك من أعظم مظاهر محبته، كما قيل:

لو كان حبك صادقًا لأطعته … إن المحبّ لمن يحب مطيع

فمحبته ﷺ تقتضي إحياء سنته، والعض عليها بالنواجذ، ومجانبة ما خالفها من الأقوال والأفعال، ولا شك أن كل ما خالف سنته فهو بدعة مذمومة ومعصية ظاهرة، ومن ذلك الاحتفال بذكرى مولده وغيره من البدع، وحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين، فإن الدين مبني على أصلين: الإخلاص والمتابعة، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]، فإسلام الوجه هو الإخلاص لله، والإحسان هو المتابعة للرسول وإصابة السنة.

7- ومن شبههم أنهم يقولون: إن في إحياء ذكرى المولد وقراءة سيرة الرسول ﷺ في هذه المناسبة حثًّا على الإقتداء والتأسي به !

---

(1) سورة البقرة: 112.

فنقول لهم: إن قراءة سيرة الرسول ﷺ والتأسي به مطلوبان من المسلم دائمًا طوال السنة وطوال الحياة، أما تخصيص يوم معين لذلك بدون دليل على التخصيص فإنه يكون بدعة، وكل بدعة ضلالة، والبدعة لا تثمر إلا شرًّا وبعدًا عن النبي ﷺ.

وخلاصة القول أن الاحتفال بذكرى المولد النبوي بأنواعه واختلاف أشكاله بدعة منكرة يجب على المسلمين منعها ومنع غيرها من البدع، والاشتغال بإحياء السنن والتمسك بها، ولا يُغتر بمن يروج هذه البدعة ويدافع عنها، فإن هذا الصنف يكون اهتمامهم بإحياء البدع أكثر من اهتمامهم بإحياء السنن، بل ربما لا يهتمون بالسنن أصلًا، ومن كان هذا شأنه فلا يجوز تقليده والاقتداء به، وإن كان هذا الصنف هم أكثر الناس، وإنما يُقتدى بمن سار على نهج السنة من السلف الصالح وأتباعهم وإن كانوا قليلًا، فالحق لا يُعرف بالرجال، وإنما يُعرف بالرجال بالحق، قال ﷺ: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

فبين لنا ﷺ في هذا الحديث الشريف بمن نقتدي عند الاختلاف، كما بين أن كل ما خالف السنة من الأقوال والأفعال فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة.

والاحتفال بالمولد النبوي لم نجد له أصلًا في سنة رسول الله ﷺ، ولا في سنة خلفائه الراشدين، إذن فهو من محدثات الأمور ومن البدع المضلة، وهذا الأصل الذي تضمنه هذا الحديث قد دل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ

فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1].

والرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابه الكريم، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرجوع إلى سنته بعد وفاته، فالكتاب والسنة هما المرجع عند التنازع، فأين في الكتاب والسنة ما يدل على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي؟ فالواجب على من يفعله أو يستحسنه أن يتوب إلى الله تعالى منه ومن غيره من البدع، فهذا هو شأن المؤمن الذي ينشد الحق، وأما من عاند وكابر بعد قيام الحجة فإنما حسابه عند ربه.

هذا، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا التمسك بكتابه وسنة رسوله إلى يوم نلقاه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

انتهى الكتاب بحمد الله، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

عصر السابع والعشرين من ذي القعدة لعام 1429 هجري.

---

(1) سورة النساء: 59.

ثبت المراجع



ثبت لبعض المراجع

✍ السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، الناشر مكتبة الرشد.

✍ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة.

✍ السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية.

✍ سنن الدارمي، الناشر دار القلم، دمشق.

✍ المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحديث، القاهرة.

✍ شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر دار الكتب العلمية.

✍ دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر دار الكتب العلمية.

✍ الصحيح المسند من دلائل النبوة، مقبل بن هادي الوادعي، الناشر مكتبة صنعاء الأثرية، ط 1424.

✍ سنن سعيد بن منصور، تحقيق د. سعد بن عبد الله آل حميد، الناشر دار الصميعي.

✍ الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر مكتبة المعارف.

✍ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن أبي شيبة، الناشر مكتبة دار الباز، مكة.

✍ مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر المكتب الإسلامي.

✍ كتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم، تحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

✍ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن اللالكائي، الناشر دار طيبة.

✍ كتاب الاعتقاد، الحافظ البيهقي، الناشر دار الفضيلة.

✍ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، الناشر دار إحياء التراث العربي.

✍ البدع والنهي عنها، ابن وضاح القرطبي، الناشر مكتبة ابن تيمية.

✍ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، الناشر دار الكتب العلمية.

✍ أخبار مكة، محمد بن عبد الله الأزرقي، تحقيق د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.

✍ سيرة ابن إسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله.

✍ السيرة النبوية، ابن هشام، الناشر دار الخير.

✍ جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر النمري، الناشر دار ابن الجوزي.

✍ المدخل إلى السنن الكبرى، الحافظ البيهقي، تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر أضواء السلف.

✍ كتاب الفقيه والمتفقه، الحافظ البغدادي، الناشر دار ابن الجوزي.

✍ السنة، محمد بن نصر المروزي، الناشر دار غراس.

✍ تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق كمال بن السيد سالم، الناشر مكتبة العلم.

✍ النبوات، ابن تيمية، تحقيق د. عبد العزيز الطويان، دار أضواء السلف.

✍ الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، ابن تيمية، الناشر: رمادي للنشر.

✍ الرد على الإخنائي، ابن تيمية، تحقيق أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز.

✍ الاستغاثة في الرد على البكري، ابن تيمية، تحقيق عبد الله السهلي، ط 1، مدار الوطن.

✍ البداية والنهاية، عماد الدين بن كثير، الناشر دار ابن كثير .

✍ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي.

✍ الرسالة التبوكية، ابن القيم، تحقيق سليم الهلالي، الناشر مكتبة الخراز، جدة.

✍ بدائع الفوائد، ابن القيم، الناشر دار عالم الفوائد.

✍ الفوائد، ابن القيم، الناشر مكتبة الرشد.

✍ الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر دار القاسم.

✍ حقوق النبي ﷺ على أمته، د. محمد بن خليفة التميمي، الناشر أضواء السلف.



الفهرس

فهرست

